



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي



## المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في اللسانيات التداولية  
تخصص: دراسات لغوية

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالب:

أمبارك بن مصطفى

### أعضاء لجنة المناقشة

أ.د.	جامعة	رئيساً
أ.د. عبد الجليل مرتاض	جامعة تلمسان	مشرفاً
أ.د.	جامعة	عضواً
أ.د.	جامعة	عضواً
أ.د.	جامعة	عضواً
أ.د.	جامعة	عضواً

السنة الجامعية: 2018/2017 م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي



## المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في اللسانيات التداولية  
تخصص: دراسات لغوية

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالب:

أمبارك بن مصطفى

السنة الجامعية: 2018/2017 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# الإهداء

إلى قرة العين إلى من حرمت نفسها وأعطتني ومن نبع حنانها  
سقتني إلى من وهبتني الحياة ومنحتني الحب والحنان إلى من  
علمتني الرحمة مع الغير وحب العلم والدتي . أعزها الله .  
إلى أعظم الرجال صبورا رمز الحب والعطاء إلى من تعب من أجل  
راحتي وأفنى حياته من أجل تعليمي إلى من علمني الصبر  
والاجتهاد والدي . حفظه الله

إلى من كانت فرحتهم بنجاحي أكبر من فرحتي إلى أعز وأغلى  
الناس إلى من أحببتهم بالوفاء والصدق وبادلونني نفس الشعور  
إخوتي . حفظهم الله .

إلى جميع الأصدقاء...

إلى كل طلاب العلم...





## شكر وعرفان

بادئ ذي بدء ولله الحمد من قبل ومن بعد أن وفقني إلى الاغتراف  
من بحر العلم وأطمح ساعيا لأجالس نجوم الثور  
فكان نجاحي بفضلته ومنه، ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ  
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ {النمل: 19}

كما أشكر الاستاذ المشرف على إنجازي -الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض -  
على ما قدم لي من توجيهات و إرشادات لبناء مشوارنا العلمي، أحسن الله جزاءه  
لأن يكون نبراسًا للعلم و المعرفة .

كما أجزل الشكر للأساتذة الذين أشرفوا على تأطيرنا في هذه السنوات .  
وشكري موصول إلى جميع أساتذة جامعة تلمسان، والقائمين على  
التأطير العلمي والبيداغوجي للدراسات ما بعد التدرج، لما قدموه لنا من يد العون  
لتحقيق هذا الوسام العلمي.

كما أشكر كل من كانت له يد في جني هذه الثمرة العلمية  
وأخص بالذكر الأستاذ سليمان الحرفيف، والأخ محمد قاسمي حفظهم الله ورعاهم.  
وإلى جميع زملاء العلم والمعرفة.

✍ الطالب: أمبارك بن مصطفى



# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة وحجة الله البالغة وآياته المتجددة أيّد الله -عز وجل- به رسوله عليه الصلاة والسلام. وهو الخطاب الموجّه لكل العقول والأفهام، معجزة لكل جيل وقبيل خصّه الله سبحانه بحسن بيانه وكان إعجازه في بيانه وجها من وجوه الإعجاز.

فالكشف عن وجوهه، والوقوف على أسراره، والتدبر في معانيه، عمل لا تنضب مادته ولا يقل زاده، وجهد لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاء من خاض فيه.

ومن هذا المنطلق كثرت الدراسات القرآنية حوله ولعلّ من بين الدراسات التي عنيت بالكشف عن إعجازه اللغوي والبياني الدراسات التي اهتمت بالتفسير ممثلة في الكثير من الكتب والمؤلفات لعل من أبرزها تفسير الكشاف للزمخشري الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث الموسوم بـ: " المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري" حيث سنسلط عليه الضوء من خلال الكشف عن منجزه العلمي وقراءته في ضوء اللسانيات التداولية، محاولين قدر المستطاع الكشف عن بعض الجوانب التي تقاطع فيها الزمخشري مع بعض المفاهيم التداولية الحديثة.

فالتداولية تعتبر اليوم أحدث تيار لساني، إذ جاءت كرد فعل على المناهج اللسانية ( البنيوية، التوليدية التحويلية ) التي تركت فراغا كبيرا في ساحة الدرس اللساني الحديث، ومن هذا المنطلق فإن قراءة التراث ومقارنته من منظور حديثي وبآليات معاصرة ضمن التيارات اللسانية الحديثة أصبح ضرورة ملحة ليتمكن الباحث من الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين ما هو موجود عندنا وموجود عند الغرب، وللوقوف أيضا على القيمة العلمية والفكرية لعلمائنا القدماء.

وقراءتنا لتفسير الكشاف عند الزمخشري في ضوء النظرية التداولية هو محاولة للكشف عن الأدوات الإجرائية التي قرئ بها الخطاب الإلهي والتي فيها الكثير من السمات التداولية، إذ لا يمكن النظر إلى النص القرآني باعتباره نظاما مجردا بمعزل عن الاستعمال، وإنما بوصفه إنتاجا ضمن السياق العام وهو الذي بدوره يحدد الدلالة المقصودة.



ولقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب ودوافع كثيرة، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- البحث عن الأبعاد التداولية في التراث العربي من خلال الاشتغال على حقل تفسير القرآن الكريم، وذلك ضمن مدونة تفسير الكشاف للزمخشري، لما تحتل هذه المدونة من مكانة مشهود لها من بين التفاسير التي تعنى بالكشف عن الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم.

- أهمية مد جسور التواصل بين الدرس اللساني التداولي الحديث والتراث العربي، من أجل قراءة هذا الأخير على ضوء أحدث النظريات والمناهج التي أنتجت حديثاً، وفي الوقت نفسه الكشف عن مكوناته التي ربما تكون موازية أو حتى لها سبق معرفي لما جاء في الدرس الحديث، وذلك من خلال الكشف عن المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري.

- الرغبة الأكيدة في القيام بعمل يتصل بكتاب الله عز وجل.

- الوقوف على أهمية تفسير الكشاف للزمخشري، والكشف عن أهم خصائصه ومميزاته.

- الكشف عن شخصية الزمخشري من خلال الوقوف على منهجه وتحليلاته وآرائه ووضعها في ميزان الدرس اللساني الحديث.

وقد سطر البحث جملة من الأهداف لتحقيقها والوصول إليها أهمها:

- السعي إلى الإسهام في تأسيس درس تداولي عربي له جذوره المعرفية وأدواته الإجرائية التي تمكنه من ذلك.

- عرض أهم الأدوات الإجرائية التي استخدمها الزمخشري في بيان إعجاز الخطاب القرآني، والكشف عن قيمه التداولية.

- بيان البعد التداولي الحاضر في مدونة الكشاف للزمخشري، والكشف عن ملامح النظرية التداولية عنده من خلال قراءة فكره على ضوء الدرس التداولي الحديث.

- الوقوف على الأهمية التي يحظى بها تفسير الكشاف في الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية واللسانية الحديثة.

وليحقق هذا الموضوع أهدافه ومرامييه ارتأينا الانطلاق من مجموعة من الإشكاليات والفرضيات

التي يمكن أن تطرح في ضوء معالجتنا لهذا الموضوع، سنقتصر على أهمها :

- كيف يمكن التأسيس لدرس تداولي عربي؟

- هل يستطيع أن يسهم ما هو موجود في التراث العربي في تأسيس هذا الدرس ؟ ما هي الآليات والإجراءات المتاحة لتأسيسه ؟
- ما هي المفاهيم والأسس التي وظفها الزمخشري في خطابه التفسيري؟ وهل يمكن اعتبار هذه المفاهيم والأسس من صميم البحث التداولي؟
- ما مدى استيعاب تفسير الكشاف للقيم والآليات التداولية ؟ وما هي أهم القيم التداولية الموجودة فيه ؟
- إلى أي مدى يمكن المقاربة بين الطرح اللغوي والبلاغي عند الزمخشري والطرح التداولي؟
- أين تتجلى معالم المنحى التداولي في هذا التفسير من خلال مستويي النحو والدلالة ومن خلال القضايا البلاغية التي تناولها ؟ وما موقع هذا التفسير من الدراسات التداولية اليوم؟
- وللإجابة عن هذه الإشكاليات اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لكونه الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف بنية الخطاب التفسيري عند الزمخشري، وتحليلها وفق آليات المنهج التداولي، كما أننا اعتمدنا أيضا على المنهج التاريخي من خلال البحث في التراث العربي وسير أغواره للوقوف على معالم الفكر التداولي فيه، والتأريخ لبعض القضايا اللغوية الموجودة في التراث، كما أننا وظفنا أيضا المنهج المقارن في المباحث التي تحتاج إلى عقد مقارنة مابين الدرسين اللسانيين العربي والغربي للوقوف على ما فيهما من أوجه تشابه واختلاف.
- وقد استدعت الأهداف المرجوة، حسب نظرنا، أن تكون خطة البحث مكوّنة من : مقدمة، ومدخل، وبابين، كل باب يتألف من ثلاثة فصول، ثم خاتمة، وهي موزعة كالاتي:
- مقدمة:

تكلمنا فيها عن أهمية مدونة تفسير الكشاف للزمخشري عند القدماء، وإلى أي مدى يمكن أن نستثمر ما فيها من مفاهيم وآليات يمكن أن تتقاطع مع الدرس التداولي في الكثير من القضايا النحوية والبلاغية. إضافة إلى الحديث عن الاعتبارات التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه، ثم عرضنا فيها أجزاء البحث وخطته ومنهجه.

**المدخل:** والمعنون ب **التعريف بالزمخشري وتفسيره الكشاف:** وقسمناه إلى قسمين هما:  
القسم الأول : تناولنا فيه كل ما يتعلق بشخصية الزمخشري من خلال التعريف بها والوقوف على أهم محطات حياته بدء بمولده ونشأته وحياته، وانتهاء بمنهجه ووفاته.

القسم الثاني: تناولنا فيه كل ما تعلق بالمدونة وقد ركزنا فيه على أهمية هذا التفسير وقيمتة العلمية في حقل التفسير الذي يعنى بالجانب اللغوي وبخاصة الشق البلاغي، وما يمكن أن يستثمر منه في الجانب اللغوي والتداولي.

### الباب الأول: والمعنون ب التداولية في الفكر الغربي والتراث العربي.

ويحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول هي:

**الفصل الأول:** والمعنون ب التداولية النشأة، المفاهيم، والمصطلحات: وقد تحدثنا في هذا الفصل عن ظروف وملايسات نشأة الفكر التداولي الحديث، كما وقفنا على مفهوم التداولية عند الغرب والعرب، ووقفنا أيضا على أهم المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بهذا الحقل لضبط جهازه المفاهيمي.

**الفصل الثاني:** والمعنون ب التداولية في التراث العربي: وقد سعينا من خلال هذا الفصل للبحث عن معالم التداولية في الفكر العربي من خلال البحث عن إسهامات العلماء العرب في هذا المجال لا سيما وأن كثيرا من القضايا النحوية واللغوية والبلاغية التي تناولها العلماء بلاغيين ومفسرين وأصوليين ونحويين تعد من صميم البحث التداولي اليوم.

**الفصل الثالث:** والمعنون ب التداولية في الفكر الغربي: وقد تطرقنا في هذا الفصل إلى التداولية في الفكر الغربي من حيث الإطار النظري الذي يتعلق بخلفياتها المعرفية، وإطارها الإجرائي من حيث أدواتها الإجرائية، من خلال الحديث عن أهم مباحث التداولية كالأفعال الكلامية، والحجاج، ولسانيات التلفظ والاستلزام الحوارية.

### الباب الثاني: والمعنون بالمنحى التداولي في تفسير الكشاف.

ويحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول هي:

### الفصل الأول: والمعنون ب لسانيات التلفظ في تفسير الكشاف:

وقد سعينا من خلال هذا الفصل إلى الربط بين التفسير ومعطيات الدرس التداولي بصفة عامة ثم التركيز على نظرية تعد من أحدث النظريات ضمن اللسانيات التداولية، وهي لسانيات التلفظ التي جاءت لتعيد الاعتبار إلى عناصر بقيت مجهولة في البحث اللغوي، لتجعل من المتكلم فاعلا في العملية التخاطبية إضافة إلى المحيط الزماني والمكاني والسياق والمقام وما يتعلق بهما، ولذا عملنا على استثمار بعض مفاهيم لسانيات التلفظ في قراءتنا لهذه المدونة وأقصد هنا ثنائيتي النظام المغلق والنظام المفتوح،

وقد وقفنا من خلال هذا الفصل على أهم مظاهر الانفتاح في تفسير الكشاف من خلال مستويين من مستويات الانفتاح:

- مستوى انفتاح المعنى في السياق اللغوي : حيث يكون فيه النظام اللغوي منفتحاً انفتاحاً داخلياً بسبب ما يطرأ من تغيير في معطياته الداخلية، وذلك من خلال تناولنا لبعض الظواهر اللغوية والتركيبية في الكشاف: كالإعراب، والتقديم والتأخير، والعدول الصرفي.

- مستوى انفتاح المعنى في السياق المقامي : حيث تتغير فيه المعاني بتأثير من الظروف الخارجية لمقام الكلام والتلفظ، وذلك من خلال تناولنا لبعض المباحث في الكشاف، كأسباب النزول، والمكي والمدني، والزمان والمكان والبيئة.

### الفصل الثاني: والمعنون ب الحجاج في تفسير الكشاف:

لقد كان للحجاج دور مهم في الدفاع عن المعتقد والمذهب الذي اضطلع به الزمخشري في مصنفه التفسيري حيث أنه عاش في بيئة عربية شهدت صراعات فكرية وخصومات مذهبية فأضحى الحجاج والجدال المعيار المستقيم في درء حجج الخصم المعارض مما طبع كشافه بطبيعة تحاورية حجاجية واضحة المعالم ، وقد اعتمد الزمخشري في تفسيره على الطريقة الاستدلالية الحجاجية مستخدماً عدة أساليب كالحوار الجدلي والمساءلة والالتفات والاستدلال لحمل متلقيه على الإقناع .

وسعيلاً من خلال هذا الفصل إلى إبراز الطرائق الحجاجية عند الزمخشري القائمة على مبدأ الاختيار مراعاة لمقام متلقيه أو متعلمه من فرقته من خلال أسلوبه الحجاجي الجدلي حيث يتجلى لنا الزمخشري من خلال هذا الأسلوب ذاتاً محورية تسعى إلى تحقيق مقاصد معينة من خلال الفعل الإقناعي الممارس على الذات المتلقية للخطاب وهو ما دعانا إلى إبراز البنية الحجاجية في الكشاف ودورها في إقناع المتلقي وتوجيهه والكشف عن استراتيجية الإقناع لديه، وقد اقتصرنا فيه على الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية فقط وإبراز قيمتها الحجاجية.

### الفصل الثالث: والمعنون ب أفعال الكلام في تفسير الكشاف:

وقد تطرقنا في هذا الفصل إلى أفعال الكلام عند الزمخشري، وذلك من خلال الحديث عن نظرية الخبر والإنشاء في الكشاف التي تقابل نظرية أفعال الكلام عند الغريين، وعند الحديث عن ظاهرة أفعال الكلام، فإن المتصفح لأمّهات الكتب العربية من نحو وبلاغة وتفسير يجد أن العلماء قد توسعوا في بحث

هذه الظاهرة وتعمقوا في تحليل مفاهيمها، وهذا ما حاولنا الوقوف عليه في تفسير الكشاف من خلال إبراز أهم الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في هذه المدونة.

### الخاتمة :

وقد أوجزنا فيها أهم ما توصلنا إليه في هذا البحث من نتائج وإجابات عن الإشكاليات السابقة.

وأما في ما يخص مادة البحث، فقد استمد البحث أفكاره من القديم والحديث، وذلك من خلال اعتمادنا على أهم الكتب والمصادر التراثية: كالكتاب لسيبويه، والخصائص لابن جني، ودلائل الإعجاز للجرجاني، واعتمادنا على أهم الكتب الحديثة: ككتاب التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحرأوي، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة، واستراتيجيات الخطاب للشهري.

ورغم وفرة المصادر والمراجع إلا أن هذا البحث قد واجهته صعوبات لعل من أهمها الخصوصية التي تميزت بها مدونة بحثنا، فهي من جانب ارتبطت بالقرآن الكريم ومعانيه، ومن جانب آخر أن صاحبها يعتبر من رواد الفكر الاعتزالي، فكان من الصعوبة بمكان تطوير المنهج التداولي لقراءة هذه المدونة، ومن هنا وجب علينا التعامل بحذر مع هذا التفسير خصوصا وأنا نسعى إلى مقارنته من منظور لساني حديث.

ولا يسعني في ختام هذا البحث إلا أقول أن الفضل لأصله عائد، والشكر لأهله واجب، فأقدم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف أ.د/ عبد الجليل مرتاض الذي كان لي نعم الموجه والمرشد، ففتح لي قلبه، ومكتبته، فلم يخجل علي بإرشاداته ونصائحه، فدلل لي الصعاب، ويسر لي السبل إلى أن استوى هذا البحث على سوقه، وحققت ما أصبو إليه، كما أشكر أيضا اللجنة الموقرة على تجشم عناء قراءة هذه المدونة، ومناقشتها من أجل إثرائها وتقويمها.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والله ولي التوفيق.

أمبارك بن مصطفى

الجلفة يوم: 2018/03/06م

مدخل

التعريف بالزمخشري وتفسيره  
الكشاف

تمهيد:

إن من أجل وأعظم الدراسات اللغوية، تلك التي ارتبطت بالقرآن الكريم من نحو، وبلاغة، وفقه، وأصول... ولعل من بين هذه العلوم تلك التي عنيت بالبحث في إعجاز وبلاغة القرآن الكريم والكشف عن أوجه إعجازه اللغوي والبياني كعلم التفسير مثلاً، الذي ألفت فيه الكثير من الكتب لعل من أبرزها تفسير الكشاف للزمخشري الذي نحن بصدد البحث فيه والخوض في غماره، وسنحاول في هذا المدخل تسليط الضوء على شخصية الزمخشري من خلال التعريف بها، والوقوف على الظروف التي أنتجتها، والعوامل التي أثرت فيها هذا من جهة، ومن جهة ثانية الحديث عن تفسير الكشاف وقيمه العلمية وأثره على الدراسات اللغوية والقرآنية.

## 1/ التعريف بالزمخشري:

أ- اسمه ولقبه وكنيته :

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، وسمي الزمخشري نسبة إلى زمخشر البلدة التي ولد فيها، ويكنى بجارالله لأنه سافر إلى مكة وجاورها سنين عديدة، فصار هذا الاسم علماً عليه<sup>1</sup>.

ب- مولده :

ولد جارالله الزمخشري يوم الأربعاء، السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة " 467 هـ " بزمخشر\*.

<sup>1</sup> ينظر: شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1978 م، ص 5، ص 168.

\* زمخشر: هي قرية كبيرة من قرى خوارزم بإيران، ينظر: وفيات الأعيان م 5، ص 137 - 174.

## ج- نشأته وحياته :

قبل الحديث عن نشأة الزمخشري وحياته، ينبغي الحديث عن البيئة التي نشأ فيها والعوامل والظروف الاجتماعية والسياسية، باعتبارها عوامل ساهمت في تكوين الزمخشري، وكان لها الأثر الكبير على شخصيته. لقد عاصر الزمخشري الخلافة العباسية وفي فترة عرفت بالضعف والفتور، حيث دب الضعف في أركان الدولة العباسية، وكثرت الصراعات والخصومات السياسية، وتفككت الدولة وأصبحت دويلات من بينها خوارزم التي نشأ فيها الزمخشري، فقد نشأت فيها دولة عرفت بـ "الخوارزمية" وامتد حكمها من خراسان إلى ما وراء النهر<sup>1</sup>.

أما عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فقد عرف عصر الزمخشري تباينا في فئات المجتمع وكثرت الملل والفرق وتعددت المسائل الكلامية والمناظرات، مما أدى ذلك إلى وجود الفتن والاضطرابات، وعم الجوع في المجتمع وانتشر الفقر والبؤس<sup>2</sup>.

أما عن الحياة العلمية فرغم تلك الحال التي وصل إليها المجتمع إلا أن الحياة العلمية قد ازدهرت وأنشئت المدارس والمكتبات، وكثر العلماء، وأصبحت خوارزم مقصد الطلاب ومرتع العلماء، حتى اشتهر أهلها بجبههم لعلوم الدين واللغة، وتمخض عن هذا العصر ظهور علماء برعوا في مجالات متعددة كالتفسير، وعلوم اللغة، وعلم القراءات، والحديث، والفلسفة، وعلم الكلام، والفقه وأصوله...<sup>3</sup>.

نشأ الزمخشري في "زمخشر" إحدى قرى "خوارزم"، وقد عاصر عهد السلطان جلال الدين والدنيا أبي الفتح ملكشاه الذي اهتم كثيرا بالعلماء وقربهم إليه وشجعهم على طلب العلم.

<sup>1</sup> ينظر: جارا الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق ودراسة، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998م، ج1، ص 05 - 06.

<sup>2</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 07.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص08. وينظر: فاضل صالح السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970م، ص 07.



ترى الزمخشري في أسرة فقيرة ذات تقوى وصلاح، فأبوه كان رجلا صالحا تقيا صواما قواما حيث يقول الزمخشري في رثائه :

فقدته فاضلا فاضت مآثره العلم والأدب المأثور والسورع  
أحاط طبع مصفاة مناسبة ماء السحابة ما في بعضها طبع  
وذا حقائق لا في لحظة طلب لغير رشد ولا في لفظة قذع  
لم يأل ما عاش جدا في تقاه يرى إن الحريص على دنياه منخدع<sup>1</sup>

أما أمه فقد كانت أيضا امرأة صالحة عطوفة مجابة الدعاء، وفي ذلك يحكي الزمخشري فيقول: "كنت في صباي أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله، فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبتة فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي، وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله." وبالفعل قطعت رجله عندما سقط عن دابته<sup>2</sup>.

وقد كان للزمخشري رغبة كبيرة، وهمة عالية للوصول إلى مصاف العلماء الكبار وتحصيل أكبر قدر من العلوم " فوجد أباه يدفع به إلى خياط ليعلمه الخياطة، ولكن الزمخشري له رغبة في طلب العلم، فيستعطف أباه قائلا له: احملني إلى البلد اتركني بها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، د ط، د ت، ص 24

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 12 - 13.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 13.

تلقى الزمخشري تعليمه الأول في زمخشر، حيث تعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، لكن سرعان ما أدرك الزمخشري أن آماله لن تتحقق ببقائه في زمخشر ففكر في الرحيل عن بلده التي لم تبلغه غايته، فيقول: "

أحب بلاد الله شرقاً ومغرباً      إلي التي فيها غذيت وليداً  
ولكن تواسي بالكرامة غيرها      وهذي أرى فيها الهوان عتيداً  
وما منزل الإذلال للحر منزلاً      وإن كان عيش الحر فيه رغيداً  
سأرحل عنها ثم لست براجع      وأضرب مرمى في البلاد بعيداً  
فلا كنت إن ضمت فيها ابن حرة      ولا عشت بين الصالحين حميداً " <sup>1</sup>

انتقل الزمخشري إلى مناطق عديدة طلباً للعلم من بينها " مدينة بخارى التي كانت آنذاك كعبة العلماء، فأخذ من علمائها، وتلمذ لجهابذتها... كما أن الزمخشري زار مدينة " مرو " ولقي بها الإمام السمعاني المتوفى سنة 562هـ، وتنقل بين خوارزم وخراسان محصلاً للعلم، فحصل أصول الفقه، والحديث، والتفسير، والكلام، وعلوم العربية <sup>2</sup>.

وما إن لبث الزمخشري حتى اشتاقت نفسه إلى مكة، فرحل إليها، إذ يقول في طريقه إليها:

سيرني تماضر حيث شئت وحدثي      أني إلى بطحاء مكة سائر  
حتى أنيخ وبين أطماري فتى      للكعبة البيت الحرام مجاور  
متعوذ بالركن يدعوه ربه      يشكو جرائر بعدهن جرائر. <sup>3</sup>

<sup>1</sup> مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف، ط2، د ت، ص 33.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 13.

<sup>3</sup> مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 35 - 36.

وقد دخل الزمخشري مكة<sup>1</sup> وكانت أولى رحلاته إليها سنة 502هـ، واتصل بشريفها علي بن حمزة بن وهاس، وكان أدبيا فقويت علاقتهما<sup>1</sup>.

بقي الزمخشري بمكة المكرمة مدة من الزمن يطلب العلم عن مشايخها وعلمائها، ثم رحل منها عائدا إلى وطنه الأول، ولكن ما لبث أن عاوده الشوق والحنين إلى مكة وجوارها، وقد عبر عن ذلك بقوله :

بكاء على أيام مكة إن بي إليها حنين النيب فاقدة البكر

تذكرت أيامي بها فكأنني قد اختلفت زرق الأسنة في صدري .

وعاد بالفعل إلى مكة نحو عام 518هـ، فمكث بها ثلاث سنين، ألف فيها تفسيره الزمخشري، ويقول في ذلك :

فجاورت ربي وهو خير مجاور لدى بيته المحرم عاكفا

أقمت بإذن الله خمسا كواملا وصادفت سبعا بالمعرف واقفا

وتم لي الكشاف ثم ببلدة بها هبط التنزيل للحق كاشفا

وزرت ابن عباس بوج ونممت يدي عند رأس الحبر منه طرائفا.<sup>2</sup>

فقد كان الزمخشري مولعا بمكة المكرمة، وأطمأنت نفسه للإقامة فيها، فألف فيها أشهر مؤلفاته.

فكر الزمخشري في العودة إلى مسقط رأسه خوارزم، بعد أن ضعف وكبرت سنه، فعاد إليها معرجا في طريقه على بغداد التي التقى فيها بأبي السعادات هبة الله بن الشجري، فهنأه بقدمه وأثنى عليه، وفي زمخشري استقر المقام بالزمخشري الشيخ الكهل، حيث صار فخر خوارزم ومرجعها الأشهر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 13.

<sup>2</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 13، وينظر: مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 39 - 40.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 13 - 14.

لقد عاش الزمخشري حياة مليئة بالتنقل والترحال طلبا للعلم والمعرفة فقد "أفرغ شطرا كبيرا من حياته للعلم والتأليف، وذلك لأنه من أول الأمر ابتعد عن كل مشغلة: اعتزل النساء ونسلهن، يقول:

تصفحت أولاد الرجال فلم أكد      أصادف من لا يفضح الأم والأبا  
رأيت أبا يشتقى لتربية ابنه      ويسعى لكي يدعى مكبا ومنجيا  
أراد به النشاء الأغر فما درى      أيوليه حجرا أم يعليه منكبا  
أخو شقوة مازال مركب طفله      فأصبح ذاك الطفل للناس مركبا  
لذاك تركت النسل واخترت سيرة      مسيحية أحسن بذلك مذهبا

ولكنه وهب نفسه للعلم، فالتلاميذ والتأليف خير عنده من النسل ...

وحسي تصانيفي وحسي رواها      بنين بهم سقيت إلي مطالبي.<sup>1</sup>

د / شيوخه :

لقد أفنى الزمخشري حياته في طلب العلم، وضحى في سبيل ذلك بالغالي والنفيس من أجل بلوغ الغاية المرجوة، ولم يصل الزمخشري إلى هذه المكانة لولا التضحية التي قدمها، والشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم، وتلمذ على أيديهم، خاصة وأن الزمخشري قد عاصر علماء وأساطين في البلاغة، والنحو، والأدب، والتفسير، والفقه، وسنحاول ذكر أبرزهم :

- أبو مضر، محمود بن جرير الضبي، الأصفهاني " ت 507 هـ "، وهو مدخل مذهب الاعتزال إلى "خوارزم"، وأخذ عليه الزمخشري النحو والأدب وقد رثاه قائلا :

وقائلة ما هذه الدرر التي      تساقطها عيناك سمطين سمطين

<sup>1</sup> مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 43. وينظر: محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية، ص 26.

- فقلت: هو الدر الذي قد حشا به أبو مضر أذني تساقط من عيني.
- أبو الحسن علي بن المظفي النيسابوري، الضرير.
- السديد الخياطي، وأخذ عنه الفقه.
- أبو السعد الجشمي، المحسن بن محمد بن كرامة، البهيتي، " ت 494 هـ " .
- ركن الدين محمد الأصولي، وأخذ عنه الأصول.
- أبو منصور نصر الحارث، أخذ عنه الحديث.
- أبو الخطاب، نصر بن أحمد بن عبد الله البطر، " ت 494 هـ " .
- أبو الحسين، أحمد بن علي الدامغاني، " ت 540 هـ " .
- أبو منصور الجواليقي، موهوب بن أبي طاهر، " ت 539 هـ " .
- أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري الأندلسي، نحوي أصولي فقيه، قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه " ت 518 هـ " <sup>1</sup>.

هـ / تلاميذه:

- وهب الزمخشري نفسه لطلب العلم وتعليمه، فقد تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم، منهم من أصبح من أئمة علوم اللغة وعلوم الدين، نذكر طائفة منهم:
- علي بن عيسى بن وهاس العلوي.
- علي بن محمد العمران، الخوارزمي، أبو الحسن الأديب، الملقب ب " حجة الأفاضل وفخر المشايخ " .

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 14. وينظر: فاضل صالح السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، ص 15 - 16.

- أبو الفضل البقالي الخوارزمي الآدمي، محمد بن أبي القاسم بايجول، الملقب بـ " زين المشايخ "، وقد جلس مكان الزمخشري بعده.

- أبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي، كان أحد أئمة النحو والأدب.

- الموفق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق أبو المؤيد المعروف بأخطب خوارزم.<sup>1</sup>

و/ مؤلفاته:

كرس الزمخشري حياته للعلم والتأليف، فجاد على من أتى بعده بمؤلفات قيمة في مختلف علوم العربية من نحو، وبلاغة، وأدب، وتفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وقد بلغ عددها الخمسين مؤلفاً هي:

\* في الدراسات الإسلامية:

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، في تفسير القرآن الكريم.

- رؤوس المسائل: في الفقه.

- معجم الحدود: في الفقه.

- المنهاج: في الأصول.

- ضالة الناشد والرائض في علم الفرائض.

- مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة.

- شقائق النعمان في حقائق النعمان: في مناقب أبي حنيفة.

- شافي العي من كلام الشافعي.

- رسالة في حكمة الشهادة.

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 15. وينظر: السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، ص 19 - 18.

- رسالة في نص العشرة.
- في اللغة:
- أساس البلاغة.
- الفائق في غريب الحديث.
- الجبال والأمكنة والمياه.
- أعجب العجب في شرح لامية العرب.
- مقامات الزمخشري.
- المستقصى في أمثال العرب.
- جواهر اللغة.
- متشابه أساسي الرواة.
- صميم العربية.
- معجم عربي فارسي.
- في النحو:
- المفصل.
- الأتمودج.
- شرح أبيات كتاب سيبويه.
- المحاجات بالمسائل النحوية أو الأحاجي النحوية.
- مقدمة الأدب.

- نكت الإعراب في غريب الإعراب: في غريب إعراب القرآن.

- الأمالي في النحو.

- المفرد والمركب في النحو.

- شرح بعض مشكلات المفصل.<sup>1</sup>

- في العروض:

- القسطاس.

- في الأدب:

- الأجناس.

- أطواق الذهب.

- تسلية الضمير.

- ديوان التمثيل.

- ديوان خطب.

- ديوان الرسائل.

- ديوان الزمخشري.

- ربيع الأبرار ونصوص الأختيار.

- رسالة الأسرار.

<sup>1</sup> علي حميداتو، التأويل والحجاج في تفسير الزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، موسم، 2010-2011. ص 90-91. وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 15-16.



- رسالة المسأمة.
- رسالة الناصحة.
- سوائر الأمثال.
- القصيدة البعوضية وأخرى في مسائل الغزالي.
- المنتقى من شرح شعر المتنبي: للواحدي.
- نزهة المستأنس.
- النصائح الصغار والبوالغ الكبار.
- نوابغ الكلم.<sup>1</sup>

فهذه جملة مما ألف الزمخشري، وليس من الدهشة والغريب أن نجد عند رجل كالزمخشري هذا الكم الهائل من المؤلفات، فقد وهب نفسه وحياته للعلم والدين، زهد في الدنيا فجدت قريحته بأمان الكتب وأنفسها.

ز/ مذهبه:

قبل الكلام عن الزمخشري وعلاقته بمذهب الاعتزال يجدر بنا الحديث عن هذا المذهب، فهو أول ما قام دفاعا عن الدين وحماية للعقيدة من الروافض الذين أدخلوا على الإسلام كل ما هو غريب عنه، فتصدى لهم المعتزلة بالحجة والمناظرة وأبلوا فيها خير بلاء، ومع مرور الوقت أصبح الاعتزال مدرسة قائمة بذاتها لها قواعدها، وأسسها، وأصولها، وشيوخها، وأتباعها، ويمكن أن نجمل هذه المبادئ والأصول في قول المرتضى: " وقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثا قديما قادرا عالما حيا، لا لمعان ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر عينا واحدا لا يدرك بحاسة، عدلا حكيما لا يفعل القبيح ولا يريد. كلف تعريضا للشواب،

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص16، وينظر: علي حميداتو، التأويل والحجاج في كشاف الزمخشري، ص92. وينظر: محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، ص46.

ومكن من الفعل، وأزاح العلة، ولا بد من الجزاء... وأجمعوا أن فعل العبد غير مخلوق فيه، وأجمعوا على تولى الصحابة، واختلفوا في عثمان بعد الأحداث التي أحدثها فأكثرهم تولاه وتأول له، وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص، وأجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر<sup>1</sup>.

أما فيما يخص الزمخشري، فقد أظهر الاعتزال، فهو مذهبه الذي آمن به ودافع عنه، وقد أثر هذا المذهب في فكر الرجل وآرائه، وقد اتفقت أقوال جميع المترجمين قدامى ومحدثين على أن الزمخشري كان من أهل الاعتزال، يقول في ذلك ابن خلكان " وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهرا به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب "<sup>2</sup>.

فقد كان الزمخشري متأثراً بأفكار المعتزلة وآرائهم، إذ أن من مبادئهم " اعتدادهم الكبير بالعقل، واهتمامهم البالغ باللغة، وهذان الجانبان نجدتهما حاضرين بقوة في تفسير الزمخشري، فتفسيره يظهر وجهين لا ينفصلان هما: الوجه الاعتزالي الذي يتمثل في خدمة أغراض الاعتزال، ورد كل ما يخالفها وتأويله، والوجه البلاغي الذي يعنى فيه من خلال تفسير الآيات القرآنية بكشف مواطن الاعتزال فيها، وبيان دقائقها وأسرارها "<sup>3</sup>.

فالنزعة الاعتزالية واضحة جلية في كتب الزمخشري ومؤلفاته وبالخصوص في تفسيره الكشاف، الذي بدا فيه أثر الاعتزال واضحاً، وقد سلك الزمخشري في تفسيره لآي القرآن الكريم طرقاً ومسائل تنوعت إلى ما يلي:

- تأويله للفظ القرآني بما يتفق ومذهبه: وذلك كأن يتعرض لتفسير آية فيكون لفظها على ظاهره لا يساعد مذهبها، فيذهب به إلى معنى آخر.

<sup>1</sup> مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 68. وينظر: المرجع نفسه، ص 64.

<sup>2</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان، م 5، ص 170.

<sup>3</sup> مسعود بودوخة، دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص 05.

- إيغاله في التأويل بالتمثيل والتخييل: كان الزمخشري إذا حاصره النص القرآني حاول حمله على التخييل.
- حمله للآيات المتشابهات على المحكمات إذا تصادمت مع مذهبه<sup>1</sup>.

## ح/ وفاته:

توفي جار الله الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين خمسمائة بجرجانية\*، بعد رجوعه من مكة المكرمة<sup>2</sup>.

وقيل أنه أوصى بأن تكتب هذه الأبيات على قبره:

يا من يرى مد البعوض جناحها      في ظلمة الليل البهيم الأليل  
ويرى عروق نياطها في نحرها      والمخ في تلك العظام النحل  
إغفر لعبد تاب من فرطاته      ما كان منه في الزمان الأول<sup>3</sup>

## ط/ أقوال العلماء فيه :

اطلع الكثير من العلماء على ما خلف الزمخشري، وسجلوا اعجابهم بشخصية هذا الرجل، حيث أثنى عليه العلماء وشهدوا له بالعلم والمعرفة والتقوى والصلاح، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه:

فالزمخشري كان "الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال في فنونه. أخذ النحو عن أبي مضر منصوراً، وصنف التصانيف البديعة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 20 . 21 . 22.

\* جرجانية: هي إحدى قرى خوارزم، تقع على شاطئ جيحون، كان يطلق عليها اسم كركانج وقد عربت فأصبح يطلق عليها اسم جرجانية. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، م 5، ص 173 - 174.

<sup>2</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان، م 5، ص 173.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 18.

<sup>4</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان، م 5، ص 168.

قال فيه هبة الله الشجري لما التقى به في بغداد:

كَانَتْ مُسَاءَلُهُ الرَّكْبَانَ تُخْبِرُنِي      عَنْ أَحْمَدَ بْنِ دُوَادٍ أَطْيَبِ الْخَبَرِ  
حَتَّى التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ      أُذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي

ومدحه أيضا الشريف بن وهاس قائلا:

جَمِيعُ قُرَى الدُّنْيَا سِوَى الْقَرْيَةِ الَّتِي      تَبَوَّأَهَا دَارًا فِدَاءً زَمَخْشَرًا  
وَأَحْرِي بِأَنْ تُزْهَى زَمَخْشَرُ بِأَمْرِي      إِذَا عُدَّ فِي أَسَدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرَى<sup>1</sup>

وقال عنه السيوطي: "كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفننا في كل علم..."<sup>2</sup>.

وقال فيه القفطي: "وكان رحمه الله ممن يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة. لقي الأفاضل والأكابر وصنف التصانيف في التفسير وغريب الحديث والنحو وغير ذلك. دخل خراسان وورد العراق وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منه، وكان علامة الأدب ونسابة العرب أقام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل وتحط بفنائه رجال الرجال وتحدى باسمه مطايا الآمال"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 18.

<sup>2</sup> السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1979، ج2، ص 279.

<sup>3</sup> السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، ص 75.

## 2/ التعريف بتفسير الكشاف :

يعتبر تفسير الكشاف من أحسن وأروع ما ألف الزمخشري، فقد وضع فيه عصارة فكره، وخلاصة علمه، واستطاع بفضله أن يتبوأ مكانة مرموقة بين المفسرين، وقد نال هذا الكتاب إعجاب الباحثين والعلماء قديماً وحديثاً، وأقيمت حوله الكثير من الدراسات، وأصبح مرجعاً يعتد به في الدراسات اللغوية والبلاغية، والإسلامية، ولم لا وصاحبه عالم جليل متمكن من اللغة، والنحو، والبيان، والفقه، ... .

وعند الحديث عن تفسير الكشاف للزمخشري، ينبغي النظر إلى عنوان الكتاب الذي " تضمن سجعا لطيفا [يستني] بالكثير من محتواه، فهو . العنوان . يدل على زيادة في الكشف تضمنتها كلمة [الكشاف] عن شيئين :

الأول: حقائق التنزيل وهي معانيه التي ينساق إليها بلا صرف عن ظاهره.

الثاني: عيون الأقاويل في وجوه التأويل، وهي خيار المعاني التي تصرف عن الظاهر لأمانة تدل عليها. أي أن الكتاب سيأتي على كل الحقائق بالإضافة إلى خير ما في وجوه التأويل"<sup>1</sup>.

وقد تميز هذا التفسير عن بقية التفاسير الأخرى بكثير من المميزات والخصائص لعل من أهمها:

- خلوه من الحشو والتطويل.

- سلامته من القصص الإسرائيلي غالباً، وإذا ذكر بعضه فإنه قد يفنده، كما فعل في قصة داوود وسليمان... .

- اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في الخطاب.

- عنايته الفائقة بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآني بطريقة فنية قائمة على الذوق الأدبي.

<sup>1</sup> سماء محمود الخالدي، الزمخشري ناقداً، دراسة في شواهد الكشاف الشعرية على الأساليب التركيبية، عالم الكتب الحديث، ط1، ص 54.

- اتباعه طريقة السؤال " إن قلت . بفتح التاء "، ويقول في الجواب: " قلت . بضم التاء " وهي طريقة من طرق التشويق في التعليم وترسيخ المعاني في النفس<sup>1</sup>.

- اللغة التي كتب بها كانت لغة رفيعة سامية بليغة واضحة.

- أنه أضخم تفسير للمعتزلة وصل إلى أيدينا وهو يعبر عن عقائدهم من خلال شرحه للآيات، ويمكننا أن نقول إنه جمع أقوال أئمة الاعتزال المتقدمين مثل الجاحظ والقاضي عبد الجبار وغيرهما من كبار المعتزلة<sup>2</sup>.

### أ/ سبب تأليف الكتاب:

ذكر الزمخشري في مقدمة تفسيره سبب تأليفه للكتاب إذ يقول : " ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجب، واستطبروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم [الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل] فاستعفيت، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حداني على الاستعفاء على علمي؛ أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة ... فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناحة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة، وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها . وقليل ما هم . عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملئ، متطلعين إلى إيناسه، حراسا على اقتباسه، فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي، فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية، من الدوحة الحسنية: الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس... حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه . في مدة غيبيتي عن الحجاز مع تراحم ما هو فيه من المشادة بقطع الفيافي وطى المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض؛ فقلت : قد ضاقت على

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 23 24.

<sup>2</sup> محمد بن لطفى الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الاسلامي، بيروت، ط3، 1990، ص 245.

المستعفي الحيل، وعيت به العلل، ورأيتني قد أخذت مني السن، وتقعقع الشن، وناهزت العشر التي سميتها العرب دفاقة الرقاب، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر"<sup>1</sup>.

### ب/ زمن تأليف الكشاف:

ألف الزمخشري كتابه " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " في مكة المكرمة، بجوار بيت الله الحرام، وقد بدأ في تأليفه سنة 526هـ، وانتهى منه سنة 528هـ، حيث يقول الزمخشري " ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه"<sup>2</sup>.

ويقول الزمخشري في نسخة من نسخ الكشاف " وهذه النسخة هي نسخة الأصل الأولى التي نقلت من السواد وهي أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء، فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح داره السليمانية التي على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسائة وهو حامد لله على باهر كرمه ومصل على عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين"<sup>3</sup>.

لقد استطاع الزمخشري رغم كبر سنه وضعفه أن يؤلف كتابه هذا في مدة لا تتجاوز الستين، وهي مقدار خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

### ج/ تاريخ تحقيق الكتاب وطبعته:

طبع تفسير الكشاف طبعات كثيرة، لعل من أفضلها طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، 1947م، إذ طبعت تلك الدار الكشاف بأربعة أجزاء، رتبه وضبطه وصححه، مصطفى حسين أحمد، وألحق بذييل الكشاف أربعة كتب:

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 97- 98.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 98.

<sup>3</sup> مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 76.

- 1- الانتصاف من الكشاف، للشيخ أحمد المنير الإسكندري ت " 683هـ ".
- 2- الكافي الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف، للحافظ ابن حجر العسقلانى ت " 852هـ ".
- 3- حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقى على تفسير الكشاف.
- 4- مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف، للشيخ محمد عليان المرزوقى أيضا.<sup>1</sup>

#### د/ القيمة العلمية للكشاف:

حظى الكشاف باهتمام الباحثين قدامى ومعاصرين ونال اعجابهم، فتفسيره يعتبر من " خير كتب التفسير العلمية وأجلها، ولولا نزعته الاعتزالية فى بعض الآيات القرآنية لما تناوله المعترضون بالنقد، ولما شتأه بعض الناس، وبحسب هذا الكتاب فضلا ومنزلة: أن كل من جاء بعد الزمخشري عالماً عليه، فيما يذكره من أسرار الإعجاز، والغوص على المعاني البلاغية الدقيقة"<sup>2</sup>.

فهذا التفسير على الرغم مما فيه من الاعتزال فهو تفسير " لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز فى غير ما آية من القرآن الكريم، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآنى وبلاغته، وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم. لا سيما ما برز فيه من الامام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارهم وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان، والإعراب والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمى الأدبى على تفسير الكشاف ثوبا جميلا، لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسرين"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سعدون أحمد علي، أثر معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، فى الكشاف للزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، 2003م، ص 28.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 24.

<sup>3</sup> محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة، ج1، ص 306-307.



## - أقوال العلماء في الكشاف:

للعلماء أقوال كثيرة حول هذا التفسير سنذكر بعضها:

يقول العلوي عنه في كتابه الطراز: " تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين . محمود بن عمر الزمخشري . ، فإنه أسسه على قواعد هذا العلم، فاتضح عند ذلك وجه الاعجاز من التنزيل. وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل، وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق اعجاز القرآن إلا بإدراكه، والوقوف على أسراره وأغواره، ومن أجل هذا الوجه كان متميزا عن سائر التفاسير، لأني لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواء"<sup>1</sup>.

وقد وصفه الشيخ حيدر المهروي وصفا جميلا فقال: "... وبعد فإن كتاب الكشاف، كتاب علي القدر رفيع الشأن، لم ير مثله في تصانيف الأولين، ولم يرد شبيهه في تأليف الآخرين، اتفقت على متانة تراكيبه الرشيقة كلمة المهرة المتقنين، واجتمعن على محاسن أساليبه الأنيقة ألسنة الكلمة المفلقين. ما قصر في قوانين التفسير وتهذيب براهينه وتمهيد قواعده وتشديد معاقده، وكل كتاب بعده في التفسير، ولو فرض أنه لا يخلو عن النقيير والقطمير، إذا قيس به لا يكون له تلك الطلاوة ولا يوجد فيه شيء من تلك الحلاوة، على أن مؤلفه يقتفي أثره، ويسأل خبره. وقلما غير تركيباً من تراكيبه إلا وقع في الخطأ والخطل، وسقط من مزالق الخبط والزلل، ومع ذلك كله إذا افتشت عن حقيقة الخبر، فلا عين منه ولا أثر، ولذلك قد تداولته أيدي النظار، فاشتهر في الأقطار، كالشمس في وسط النهار..."<sup>2</sup>.

وقال أبو حيان مقارنا بين تفسير بن عطية وتفسير الزمخشري: "... وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وألخص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص، إلا أن الزمخشري قائل بالفطرة، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة، فرمى سنج له أبي المقادة فأعجزه اغتياصه، ولم يمكنه لتأنيبه اقتناصه، فتركه عقلا لمن يصطاده، وغفلا لمن يرتاده، وربما ناقض هذا المنزع فثنى العنان إلى الواضح، والسهل اللائح، وأجال فيه كلاماً، ورمى نحو غرضه

<sup>1</sup> يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز، تح د عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 2002، ج1، ص 07.

<sup>2</sup> محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 308-309.

سهاما، هذا مع ما في كتابه من نصره لمذهبه، وتقحم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه، ونسبة ذلك إليه، فمغتفر إساءته لإحسانه، ومصفوح عن سقطه في بعض لإصابته في أكثر تبياناه...<sup>1</sup>.

وقال عنه أيضا ابن خلدون في مقدمته: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي الحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة. فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكانه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السنية محسنا للحجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله، فلتعتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان."<sup>2</sup> وحق للزمخشري أن يفخر بكشافه فيقول:

ثم استوى الكشاف ثم استوى على يدي	متفحص عن سره كشاف
حسن الإبانة عن حقائق نظمه	بفصوصه وعيونه عراف
من كل غمر من غمار علومه	حاس بأوسع جفنه غراف
علما المعاني والبيان كلاهما	طامي العباب كلجة الرجاف
هو صيرفي القول يفصل حكمه	مياز بين الجزل والسفساف
وجد القرآن قرانه فتوافقا	طبقا إلى شن بغير خلاف <sup>3</sup>

وقال أيضا مفتخرا ومفضلا لتفسيره على بقية التفاسير:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافني

<sup>1</sup> أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق، عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج1، ص 113.

<sup>2</sup> ابن خلدون مقدمة ابن خلدون، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص 358-359.

<sup>3</sup> مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 79.

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي.<sup>1</sup>

فقد نال الزمخشري بفضل كتابه الكشاف منزلة رفيعة، فانتشر كتابه في الأقطار وصار المصدر الأول في التفسير للعلماء والمفسرين، وذلك باعتراف المنتقدين قبل المعجبين.

### - الدراسات العلمية حول الكشاف:

إن المكانة التي حظي بها الكشاف جعلته محل عناية من طرف العلماء والباحثين قديما وحديثا بين ناقد، ومحقق، ودارس، فأقيمت حوله الكثير من الدراسات في مسائل متعدد لغوية، ونحوية، وقرآنية، سنكتفي بذكر بعضها:

### \* الدراسات القديمة:

لقد ذكر بروكلمان أن للكشاف " 22 " شرحا وتعليقا، و " 9 " مختصرات، و " 3 " ردود، لعل من أبرزها:

- تعليق لمحمود بن مسعود الشيرازي ت " 710 هـ".
- فتوح الغيب، وهو تعليق لأبي الحسن محمد بن محمد الطيبي ت " 743 هـ".
- كشاف الكشاف، لعمر بن عبد الرحمان البلقيني ت " 743 هـ".
- الكشف عن مشكلات الكشاف، لأبي حفص عمر بن عبدالرحمان القزويني ت " 745 هـ".
- شرح الكشاف، لمحمد بن محمد التحتاني الرازي ت " 766 هـ".
- التقريب في التفسير، وهو مختصر، لمحمد بن مسعود السيراقي القالي، ألفه سنة " 698 هـ".
- تلخيص الكشاف، وهو مختصر، لعمر بن داؤد الفارسي العجمي، من القرن الثامن الهجري.

<sup>1</sup> محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 308.

- الجواهر الشفاف الملتقط من مغاصة الكشاف، لعبدالله بن الهادي بن يحيى بن حمزة.
- الانتصاف من الكشاف، للشيخ أحمد بن المنير الاسكندري، وهو رد لما احتواه الكشاف من الناحية الاعتزالية غالباً.
- ردود أبي حيان، ت " 745 هـ"، في البحر المحيط، وهو تعقب لما احتواه الكشاف من الناحية اللغوية.
- الانصاف من الكشاف، لولي الدين أحمد بن زين الدين العراقي، أكمله سنة " 826 هـ" <sup>1</sup>.

## \* الدراسات الحديثة والمعاصرة:

- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، لمصطفى الصاوي الجويني، مطبوع، 1965م.
- الزمخشري، للدكتور أحمد محمد الحوفي، مطبوع، 1966.
- أثر البلاغة في تفسير الكشاف، للدكتور عمر الملا حويش، 1970م.
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، للدكتور فاضل السامرائي، 1971م.
- الزمخشري لغويا ومفسرا، لمرتضى آية الله زاده الشيرازي، 1977م.
- الدراسات النحوية في الكشاف للزمخشري، لأحمد جمعة محمود الهيبي، مخطوط، 1994م.
- الكشاف للزمخشري، دراسة صرفية، لمها إبراهيم عبيد الهيبي، مخطوط، 1994م.
- تفسير الكشاف للزمخشري، دراسة لغوية، للدكتور دلدان غفور حمد أمين، 2007م.
- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، 1976م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، للدكتور قيس إسماعيل الأوسي، 1988م.

<sup>1</sup> سعدون أحمد علي، أثر معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، في الكشاف للزجاج، ص 28-29 .

- المعاني المجازية التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، للدكتور قيس إسماعيل الأوسي، 1989م.

- تطور تفسير القرآن، قراءة جديدة، للدكتور محسن عبد الحميد<sup>1</sup>.

### هـ / منهج الزمخشري في الكشاف:

يمكن تحديد أهم المعالم المنهجية لتفسير الكشاف بأمرين اثنين:

- 1/ عنايته بالبلاغة القرآنية ومبحث اعجاز القرآن، وهذا هو الذي رفع تفسير الكشاف إلى سماء المجد.
  - 2/ تأويل الآيات القرآنية بما يوافق مذهب المعتزلة، وهذا هو الذي شان تفسيره، وأنقص من قيمته العلمية<sup>2</sup>.
- أما فيما يخص الأمر الأول: فإنه عند الحديث عن الشق البلاغي في تفسير الزمخشري، فإننا نرى ذلك ظاهراً جلياً من الوهلة الأولى، فعنايته بالبلاغة القرآنية ومبحث الاعجاز القرآني هو المبدأ الغالب في عمله التفسيري، فقد استطاع الزمخشري أن يستجلي ما في القرآن من ثروة بلاغية عند تحليله لكثير من الآيات القرآنية، مبيناً من خلال ذلك قيمة الإعجاز البياني وسحره، وأثره في المعنى، وجمال الأسلوب القرآني وكمال نظمه<sup>3</sup>.

وقد أكد الزمخشري على أهمية البلاغة في تفسير القرآن الكريم، إذ يقول في مقدمة كتابه: " ثم إن أملاً العلوم بما يغمر القرائح، وأنفضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلفظ مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها. علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ... ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 29.

<sup>2</sup> محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، جامعة الكويت، ط1، 2007م، ص 117.

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 313.

البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظاههما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله<sup>1</sup>.

وإذا نظرنا إلى العلماء الذين كانوا قبل الزمخشري باستثناء القليل كأمثال الجرجاني، نجد أنهم وقفوا على حدود الألفاظ وعلاقتها ببعضها البعض، وفصلوا النحو عن البلاغة، ولم يتجهوا صوب الغوص في المعاني والكشف عما وراء الألفاظ من معاني ودلالات خفية، ومن خلال ذلك يمكن القول أن الزمخشري يعتبر امتدادا للجرجاني، فقد سار على نهجه ووظف منهجه. ففي تفسير الزمخشري لقوله تعالى "هدى للمتقين" بين الغاية والمقصد من البلاغة، إذ يقول: "والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا، وأن يقال: إن قوله: "الم" جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و" ذلك الكتاب " جملة ثانية، و" لا ريب فيه " ثالثة، و" هدى للمتقين " رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متأخية آخذا بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة؛ بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريراً لجهة التحدي، وشدا من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلا بكماله؛ لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة، وقيل لبعض العلماء: فيم لذتك؟ فقال: في حجة تتبختر اتضاحا، وفي شبهة تضاعل افتضاحا. ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري، من نكتة ذات جزالة، ففي الأولى: الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه، وفي الثانية: ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة: ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة: الحذف، ووضع المصدر

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 96.

الذي هو: " هدى " موضع الوصف الذي هو: ( هاد ) وإيراده منكر، والإيجاز في ذكر المتقين. زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه، وتبيننا لنكت تنزيله، وتوفيقا للعمل بما فيه " <sup>1</sup>.

وقد تكلم الزمخشري أيضا عن مبحث الإعجاز القرآني ورأى أن القرآن معجز من جهتين: "من جهة إعجاز نظمه، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب" <sup>2</sup>.

فالإخبار عن الغيب معجزة عند الزمخشري، إذ يقول: " فإن قلت من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة؟ قلت: لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبني العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكتف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة" <sup>3</sup>.

وفي تفسير الزمخشري لقوله تعالى: " الم غلبت الروم في أدنى الأرض ... " قال عن هذه الآية أنها من الآيات البينة الشاهدة على صحة رسالة النبي وصدق نبوته، وأن القرآن من عند الله لأنه إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله <sup>4</sup>.

وفيما يخص الجهة الثانية من الإعجاز فهي النظم الذي عرفه الزمخشري بقوله: " النظم هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر " <sup>5</sup>.

فالنظم عند الزمخشري هو الذي يبرز جمال وسحر وبيان الأسلوب القرآني، إذ يقول: " وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم وإلا بقيت محتجة في أكمامها" <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف ج1، ص: 149-150

<sup>2</sup> مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه، ص 216.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 218.

<sup>4</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 564.

<sup>5</sup> مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص 219.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 219.

أما فيما يخص الاعتزال، فإن الزمخشري يؤول الآيات القرآنية بما يتوافق ومذهبه فالزمخشري " يبدو مفسرا للقرآن ملتزما بمبادئ الاعتزال، ينظر إلى القرآن نظرة عامة فيجعل الآي المناصرة ظواهرها للمذهب الاعتزالي محكمة، وتلك التي تخالفه متشابهة، ثم يرد المتشابهة إلى المحكم ليخضع تفسيرها للمذهب الاعتزالي، وهذا النحو في التفسير هو ما يعرف بالتأويل"<sup>1</sup>.

فالزمخشري في تفسيره لكثير من آي القرآن يؤولها على حسب مذهبه، ففي تفسيره مثلا لقوله تعالى " وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة " معنى الآية أن المؤمنين سيرون الله تعالى يوم القيامة والمقصود هنا الرؤية العينية، ولكن الزمخشري يؤولها بمعنى التوقع والرجاء، فيقول: " فالمؤمنون نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه: محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء..."<sup>2</sup>.

وينتصر الزمخشري في آية أخرى لمذهب شيعته في السحر، فهم لا يقولون به ولا يعتقدون في السحرة، وفي تفسيره لسورة الفلق التي جاءت على غير ما يعتقدون، يؤول الآية بما يتوافق ومذهبه، فيفسر قوله تعالى: " ومن شر النفاثات في العقد " النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقن، والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك، اللهم إلا إذا كان ثم اطعام شيء ضار، أو سقيه، أو اشمامه. أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه، ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثب على الحق من الحشوية والجهلة من العوام، فينسبه الحشوية والرعاغ إليهن وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 107.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج6، ص 270.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج6، 465-466.



وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول أن الزمخشري، قد نال مكانة مرموقة، باعتراف معاصريه ومن جاء بعده، فهو الامام الكبير في اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير، تميز برباطة جأشه، وسعة عقله، ونضج فكره، وقوة تفكيره، وخير شاهد على ذلك تفننه في العلوم وكثرة تصانيفه.

أما عن تفسيره الكشاف، فهو من أجمل التفاسير وأروعها، أبان من خلاله الزمخشري عما في القرآن الكريم من ثروة بلاغية، وأسلوب بياني أخاذ. فقد تحقق للزمخشري ما كان يصبو إليه، فطار كتابه في الأقطار و الآفاق، ونال اعجاب العلماء فعكفوا على دراسته والأخذ منه على الرغم من عقيدته الاعتزالية، فقد بنى عليه عامة العلماء بحوثهم، وأصبح مصدرا يرجع إليه في التفسير وعلوم القرآن.

# الباب الأول

التداولية بين الفكر الغربي  
والتراث العربي

# الفصل الأول

التداولية النشأة والمصطلحات  
والمفاهيم

تمهيد:

لقد شهد الدرس اللغوي الحديث قفزة نوعية بفضل ما قدّمه دوسوسير، الذي اعتبر بحق رائد اللسانيات الحديثة، فما جاء به دوسوسير اعتبر ثورة لسانية على المناهج القديمة، فأبجّه البحث اللساني صوب المنهج الوصفي لتخليص الدرس اللساني من سيطرة النزعة التقليدية.

وقد عملت قنوات التواصل بين العرب ونظرائهم الغرب من بعثات علمية وترجمة على تقريب وجهات النظر بين المدرسين اللسانيين العربي والغربي، فانكب مجموعة من الباحثين العرب على دراسة المناهج اللسانية، فكان لهم الفضل في التعريف باللسانيات والوقوف على أوجه التقاطع والاختلاف بينها وبين الدراسات العربية.

ولم يمض وقت طويل على ظهور المنهج الوصفي حتى ظهرت مناهج لسانية أخرى تنتقده وتراه منهجا قاصرا في دراسة اللغة، منها اللسانيات التداولية " التي تجاوزت اللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية في دراستها، وقد تميزت عنهما بمفهومها الموسع للغة عموما ولعلم الدلالة خصوصا، فهي لا تفصل الإنتاج اللغوي عن شروطه الخارجية، ولا تدرس اللغة الميتة المعزولة باعتبارها نظاما من القواعد المجردة كما تفعل البنيوية حينما تعتبر الفرد والكلام والمتكلم والسياق غير اللغوي عناصر خارجية عن اللغة، ومن ثم تقوم بإقصائها من مجال الدراسة... وخلافا للبنيويين الذين يرون أن معرفة دلالة الكلمة يكون بمقابلتها بغيرها من كلمات اللغة داخل النظام اللساني التجريدي الصارم، يرى التداوليون أنهم مدعوون إلى ضرورة مجاوزة السياق اللغوي الضيق إذا كان المقام (سياق الحال) ضروريا في فهم المعنى"<sup>1</sup>.

وإذا ما أردنا الرجوع إلى هذا التراث الفكري الضخم الذي خلفه علماء اللغة الأوائل من منظور اللسانيات الحديثة، ينبغي العمل على استعادة هذا التراث لبريقه وحمله على المنظور الجديد، والتأصيل

<sup>1</sup> حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة، كنوز المعرفة، ط 1 2014، ص 663.

للظاهرة اللسانية العربية واستجلاء مكانها مع مراعاة الخيوط الفاصلة بين المدرسين اللسانيين العربي والغربي، فلكل درس خصوصياته ومميزاته.

وإذا نظرنا إلى العرب " بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات، قد دُعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية، مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين"<sup>1</sup>.

ونظرا لأهمية قراءة التراث في ضوء المفاهيم اللسانية الحديثة، ارتأينا استثمار بعض مفاهيم اللسانيات التداولية، كخلفية يستند إليها للبحث في هذا الموضوع، مما يمكن من تحقيق أهدافه ومراميه، خصوصا إذا كان البحث ميدانه التفسير الذي له علاقة مباشرة بكتاب الله عز وجل، فهذا العلم ارتبط بالقرآن الكريم ومعانيه، وفهم النصوص والإفادة منها وتحقيق التواصل.

وانطلاقا من هذا فمنهجية البحث تقتضي قبل الحديث عن التداولية، التكلم ولو بصورة مختصرة عن المناهج اللسانية التي سبقت هذا التيار اللساني واعتبرت بمثابة الخلفية الفكرية التي انطلق منها هذا التيار، وكانت إيذانا بمرحلة جديدة تحول من خلالها الدرس اللساني من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام.

### من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام:

في سياق حديثنا عن التوجه اللساني من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام ينبغي الحديث عن ثنائية اللغة والكلام، التي تبرز لنا مدى الأهمية اللسانية التي انبت عليها هذه الثنائية في الدرس اللساني الحديث، وكيف أسهمت في توجيه المسار التطوري للبحث اللساني ودفعته إلى المزيد من البحث، فكان أن يضم الدرس اللساني نوعين من اللسانيات المعاصرة:

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1986، ص 26.

1- نظريات لسانيات صورية: تضم جميع النظريات اللسانية التي تعتبر اللغات الطبيعية انساقا مجردة، يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية. ويطلق هذا الصنف مصطلح لسانيات اللغة.

2- نظريات لسانية وظيفية: تشمل النظريات اللسانية التي تعتمد، كأحد مبادئها المنهجية المبدأ الآتي: اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها ( جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية ووظيفة التواصل ويطلق على هذا الصنف مسمى لسانيات الكلام<sup>1</sup>.

### 1/ لسانيات اللغة:

تعتبر ثنائية اللغة والكلام من المفاهيم الأساسية التي كان لها الفضل في توجيه البحث اللساني وضبط حدوده وتحديد أطره، فمعظم الدراسات اللسانية خرجت من رحم هذه الثنائية، ومن هنا أضحى الوقوف على هذه الثنائية في اللسانيات الحديثة ضرورة ملحة يقرها الواقع اللساني، وتستدعيها مناهج البحث اللغوي.

أ/ اللغة: اللغة من أهم المفاهيم اللسانية عند دي سوسير و لتعريفها ينبغي أن نميز بينها وبين اللسان البشري. " اللغة جزء محدد من اللسان، فاللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنها مجتمع ما ليساعد أفرادها على ممارسة هذه الملكة. فاللغة لها كيان موحد قائم بذاته، فهي تخضع للتصنيف"<sup>2</sup>.

وتعدّ اللغة قوانين وضعية تبنتها الجماعة اللغوية فهي عبارة عن "منظومة اجتماعية، ولكنها تتجسد في إنتاجات فردية لولاها لما كانت اللغة حية، هذه الإنتاجات قد تأخذ أشكالا مختلفة"<sup>3</sup>.

اللسان: يقول دوسوسير: "وتشمل دراسات اللسان Langage جزئين:

<sup>1</sup> ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1985 ص 08.

<sup>2</sup> فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية، الأعظمية، بغداد، 1985 ص 27.

<sup>3</sup> مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1998، ص 08.

1- جوهري غرضه اللغة، ذلك الجانب الذي يتميز بكونه اجتماعيا في ماهيته ومستقلا عن الفرد، وهذا الجانب من الدراسة هو نفسي فحسب.

2- ثانوي غرضه الجزء الفردي من اللسان ونعني به الكلام Parole بما فيه التصويت وهذا الجزء هو نفسي فيزيائي.

فاللغة قواعد نحوية وقوانين اجتماعية مستقرة بشكل تواضعي Conventiennel في أدمغة الناطقين باللسان الواحد<sup>1</sup>.

ب/ الكلام: أما الكلام فهو: "فعل فردي وعقلي مقصود، وينبغي أن نميز ضمن هذا الفعل بين:

1- الارتباطات التي يستخدمها المتكلم حين يستعمل اللغة ( الشفرة اللغوية) للتعبير عن فكرة.

2- العملية السايكوفيزيائية التي تساعد الفرد على إظهار هذه الارتباطات بمظهرها الخارجي"<sup>2</sup>.

وبهذا يكون الكلام إنجازا فرديا لقواعد اللغة.

### الفرق بين اللغة والكلام:

لقد فصل دوسوسور اللغة عن الكلام حيث يقول: " سيكون موضوع اهتمامي علم اللغة فقط دون علم لغة الكلام، وإذا استخدمت مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة ما، فسأحاول أن أبقى على الخطوط التي تميز بين هذين الفرعين"<sup>3</sup>.

فقد بين دوسوسير منهجه في الدراسة وهو منهج يسعى إلى دراسة اللغة من ذاتها ولذاتها.

<sup>1</sup> الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، دار القصبه للنشر، الجزائر، د ط، د ت، ص 71.

<sup>2</sup> فردينا ن دي سوسور، علم اللغة العام، ص 32.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 38.

فقد أقصى الكلام من الدراسة لأنه لا يخضع للتصنيف والتجريد واعتمد على اللغة " حيث تمثل اللغة في اللسان البشري جانبه التصوري المرتبط بالقواعد الضمنية المستقرة في أدمغة الناطقين باللسان الواحد، أما الكلام فيمثل ما يستعمل فعلا من ألفاظ وتراكيب"<sup>1</sup>.

وبحديثنا عن المسار التطوري للسانيات اللغة نقف أمام مجموعة من المدارس اللسانية التي تبنت ما جاء به دي سوسير، وأصبح من أهم مبادئها دراسة اللغة من ذاتها ولذاتها والاعتماد على التصنيف والتجريد والصورة في إطار البنية.

وإذا اعتبرت اللغة منظومة من القواعد المجردة الثابتة فعلينا أن ننظر إليها من خلال الشق الآخر المتحرك الذي تتحقق فيه اللغة، إذ لا تتحقق اللغة إلا من خلال الاستعمال " فاللغة استعمال يومي مستمر ومتواصل بل لا يتحقق إلا ضمن هذا الاستعمال في تفاعل مستمر بين المتكلمين، لذا ينبغي علينا أن نرجع إلى دراسة صورة هذا الاستعمال، أي أن نعيد للظواهر الكلامية اعتبارها في الدراسة، ينبغي أن نتجاوز التقابل السوسوري، الذي أفضي من خلاله الكلام من دائرة اهتمام اللغويين، وذلك لأن طبيعة اللغة التبادلية تثبت أن للظواهر الكلامية دورا فعلا في تيسير آليات التبليغ والاتصال اللغوي في المجتمع"<sup>2</sup>.

واللغة لا تحيا إلا من خلال الاستعمال ولا يتم هذا الاستعمال إلا من خلال المجتمع الذي تتفاعل فيه العناصر المختلفة، فغاية الجماعة اللغوية من استعمال اللغة هي التعبير عن الأغراض والمقاصد، ولا تتم هذه الغاية بمعزل عن المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بهما فغاية المتكلم وصول رسالته اللغوية بنجاح إلى السامع وهنا يتحقق التواصل والتفاهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص 161.

<sup>2</sup> خولة طالب الابراهيمى، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، د ت، ص157.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 158.



ولم يلبث أن وصل الدرس اللساني إلى طريق مسدود، فتوجه اهتمام الدارسين إلى العناية بكل ما يتعلق بإمكانيات التعبير المختلفة، فلم يكتف البحث بالمعطيات اللسانية الداخلية، بل تجاوز البحث ذلك إلى المعطيات الخارجية وهذا ما يعد من صميم لسانيات الكلام التي تراعي الجانب الاستعمالي في اللغة.

## 2/ لسانيات الكلام:

لقد بقي الدرس اللساني مدة من الزمن حبيس اللسانيات البنيوية، إلى أن ظهرت جهود مجموعة من اللسانيين، الذين رأوا أن اللسانيات البنيوية قاصرة عن دراسة جوانب عديدة في اللغة لإهمالها العوامل غير اللغوية أو الخارجية في دراسة تشكل النظام اللغوي، وهذا ما أدى إلى ظهور اتجاه جديد تحول به الدرس اللساني من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام، هذه الأخيرة التي انطوت تحتها مجموعة من النظريات اللسانية اهتمت بالواقع المادي للغات.

فإقرار دوسوسير بالكلام ترك الباب مفتوحا ليشهد المسار التطوري للسانيات الجديد، ويتولد عن ذلك ظهور ما يسمى بلسانيات الكلام التي أصبحت اتجاها لسانيا قائما حيث أن "أصحاب هذا الاتجاه على عكس أصحاب لسانيات اللغة الذين يهتمون بصورة الخطاب اللغوي، يهتمون بواقع الخطاب، وملايساته وظروف نشأته، حيث أن مبادئ التحقيق الكلامي لا تظهر إلا عندما ينتج المتكلم خطابا أو ملفوظا، والبحث عن متكلم يفضي بالضرورة إلى الحديث عن متكلم؟ وإلى من يتكلم؟ وما هي ظروف الكلام؟ وكلها أجوبة حاولت لسانيات الكلام الإجابة عنها"<sup>1</sup>.

فلسانيات الكلام حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق.

وقد سعى هذا الاتجاه إلى "دراسة اللغة من الجانب الوظيفي، وهو منهج التقى فيه دارسون مختلفون جمعتهم بعض القضايا، واختلفوا في تناولها نظرا إلى اختلاف انشغالاتهم، وما جمع بينهم أسهم في تطوير الدرس اللساني، إذ تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية التي شهدتها الدراسات اللغوية في الفترة الواقعة بين دروس سوسور وما جاء به تشومسكي، لقد أولوا الاهتمام للجانب الدلالي بعد أن أولى البنيويون والنحاة

<sup>1</sup> بلقاسم حمادة، مبادئ لسانيات الكلام في البلاغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009. 2010م، ص 19.

اهتمامهم للجانب البيوي فانتقلت الدراسة من الاهتمام بالنظام اللغوي إلى الاهتمام بالمقام وعلاقة اللغة بالممارسة الفردية<sup>1</sup>.

فلسانيات الكلام كغيرها من النظريات اللسانية لم تنشأ من فراغ ولم تأتي دفعة واحدة وإنما مرت بمراحل متعددة، وانطلقت مما وصلت إليه لسانيات اللغة جاهدة لسد الثغرة التي تركتها الدراسات التي كانت قبلها، وساعية في نفس الوقت إلى وضع الدراسة اللغوية في إطارها الصحيح. فعرفت تيارات لسانية عديدة لعل أهمها تيار اللسانيات التداولية الذي نحن بصدد البحث فيه والحديث عنه . فما مفهومها؟ وماهي الظروف والملابسات التي صاحبت نشأتها؟ وماهي مرجعياتها الثقافية والفكرية؟ وهل لها علاقات بعلوم أخرى؟ وأين تكمن أهميتها؟

<sup>1</sup> حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداولية وتحليل الخطاب، ص 173.

- التداولية:

1/ مفهومها:

تعد التداولية أحدث تيار لساني، إذ جاءت أبحاثها كرد فعل على المنهجين البنيوي والتوليدي ومن هنا فالحديث عن تعريف محدد ودقيق للتداولية هو أمر في غاية الصعوبة، لأن مجالها واسع ومتشعب، وروافدها عديدة، إضافة إلى ذلك الظروف التي صاحبت نشأتها وتداخلها مع كثير من العلوم والتخصصات. كالمنطق والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، مما جعل كل باحث يعرفها انطلاقاً من تخصصه.

وربما وصل الأمر إلى حد وصفها بقمامة اللسانيات *la poubelle de linguistique* فالحقل الذي فتحه هذا التخصص المسمى بالتداولية "ضخم وتلقى عموماً بوصفه كيانه غامضاً، أو قل جراباً جديداً توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسية، وهي اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي والدلالية... نحو المشاكل التي أثارها هذه التخصصات ولم تتوصل إلى معالجتها بشكل مرض"<sup>1</sup>.

ولعل هذا ما أكد عليه فان دايك بقوله عن التداولية: "هذا العلم الذي بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة، له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى. وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضاً"<sup>2</sup>.

أ/ مفهومها عند الغرب:

ارتبطت نشأة التداولية بالمحاضرات التي ألقاها الفيلسوف الأمريكي بول كرايس في جامعة هارفرد عام 1967م، حيث رأى أن "الكثير من الألفاظ لن تجد تفسيرها في المنهج الدلالي، ولكن في منهج تحادثي أو تداولي. وما يميز التفسير التداولي هو طبيعته الاستدلالية: ينبري السامع بالتوصل إلى استدلالات

<sup>1</sup> فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار اللادقية، ط1، 2007م، ص 17.

<sup>2</sup> فان دايك، علم النص، ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص 114.

عن المعنى الذي قصده المتكلم اعتماداً على شئيين، الأول معنى ما قاله المتكلم، والثاني الافتراضات المسبقة أو السياقية أو المبادئ التواصلية العامة التي يحرص المتكلم عادة على اتباعها أثناء المحادثة، وبهذا يصل السامع إلى تضمينات ما قاله المتكلم<sup>1</sup>.

أما استعمال مصطلح التداولية، فيعود إلى الفيلسوف " تشارلز موريس " انطلاقاً من عنايته بتحديد الاطار العام لعلم العلامات أو السيميائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع وهي:

- النحو أو التراكيب syntax : وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها البعض.

- الدلالة semantic : وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.

- التداولية pragmatics : وهي دراسة علاقة العلامات بمستعملها وبمؤوليها<sup>2</sup>.

فهذه المستويات الثلاثة مجتمعة تؤسس لما يسمى بالتداولية، ويمكن القول أن العلاقة بينها علاقة تكاملية، فلا يمكن النظر إلى الملفوظات بمعزل عن الملكة اللغوية والمعنى و الاستعمال والتداول\*

ويرى مسعود صحراوي أن أقرب حقل معرفي للتداولية la pragmatique هو اللسانيات وأنه قبل وضع تعريف دقيق ومحدد لهذا العلم، ينبغي النظر أولاً إلى علاقته باللسانيات من جهة، وبالحقول المعرفية الأخرى من جهة ثانية، ومن ثم النظر إلى المعيار الذي يمكن أن نحدد من خلاله تعريفاً للتداولية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> جورج يول، التداولية، تر: قصي العتاي، الدار العربية للطباعة ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص 13.

<sup>2</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديد المتحدة، ط1، 2004، ص 21.  
\* في المستوى التركيبي تظهر العلاقات التي تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض في إطار القاعدة النحوية، أما المستوى الدلالي فهو مرجع يجيل المعنى، اما المستوى التداولي فيحيل إلى علاقة اللغة بمستعملها وبظروف استعمالها في إطار التواصل والتفاهم. ينظر: حولة طالب الابراهيمى، مبادئ في اللسانيات ص 176.

<sup>3</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 15.

ومن هنا يمكن القول هذا التنوع والتعدد في تعريف الباحثين لهذا العلم مرده إلى أمرين:

- تداخلها مع كثير من العلوم، إذ أن جملة من العلوم قد أسهمت في تشكيل هذا الاتجاه، فهو اتجاه قد تعددت روافده المعرفية التي قد أمدته بجملة من المفاهيم المستقرة فيها، كالفلسفة التحليلية التي نشأت التداولية في كنفها، وعلم الدلالة، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي وغيرها.

- تنوع النظريات التي تشكلت داخل الاتجاه التداولي، مما جعل الباحث داخل إحدى هذه النظريات يوجه التداولية نحو النظرية التي ينطلق منها<sup>1</sup>.

وللتداولية تعريفات عديدة سنقتصر على بعضها:

التداولية: هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثية والبشرية.

التداولية: هي دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية<sup>2</sup>.

التداولية: هي دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف لم تكون مجموعة من الجمل شاذة anomalous تداوليا.

التداولية: هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية.

التداولية: هي دراسة كل جوانب المعنى التي تحملها النظريات الدلالية.

التداولية: هي فرع من فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم.

<sup>1</sup> معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقارنة تداولية، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2014، ص 19.

<sup>2</sup> فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 18-19.

ولعل أوجز تعريف للتداولية وأقربه للقبول هو دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل<sup>1</sup>.

ب/ مفهومها عند العرب:

- لغة:

وردت مادة " دول " في لسان العرب لابن منظور " الدولة والدولة . بضم الدال وفتحها . وقيل الدولة بالضم في المال، والدولة بالفتح في الحرب، والدولة بالضم في المال يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ... والدولة اسم الشيء الذي يُتداول، والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال ... والدولة بالفتح، الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء ... ودواليك من تداولوا الأمر بينهم، يأخذ هذا دولة وهذا دولة، وقولهم دواليك أي تداولوا بعد تداول ... ويقال تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة<sup>2</sup>.

وجاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس " الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء. فأما الأول فقد قال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض<sup>3</sup>.

فهذه المعاني جميعها تدل على التداول والانتقال من حال إلى حال.

<sup>1</sup> ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 12 - 13 - 14.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، مادة " دول " مج 2، ج 16، ص 1455-1456.

<sup>3</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، مادة " دول " ج 2، ص 314.

- اصطلاحاً:

أما عن مفهوم هذا المصطلح في الثقافة العربية، فمن مقابلاته الترجيحية نذكر ترجمة طه عبد الرحمان إذ يقول " وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح " التداوليات " مقابلاً للمصطلح الغربي " براغماتيقا " لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيي " الاستعمال والتفاعل " معاً. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"<sup>1</sup>.

فالتداولية في اللغة من التداول والتفاعل، وكل تداول يقتضي متلفظا ومتلفظا له فعملية التداول تتم بين هذين الطرفين، وتخضع لمقصدية المتلفظ وإفادة المتلفظ له، وكل تداول تحكمه ظروف وآليات وعوامل تحيط به، لذا فالترجمة لها ما يبررها، ويبدو أنها قد استقرت بالفعل على حساب البراغماتية<sup>2</sup>.

والتداولية pragmatics هي " دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام language in use بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية. هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة"<sup>3</sup>.

ويرى مسعود صحراوي أن التداولية " مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية"<sup>4</sup>.

فمصطلح التداولية لم يعرف الاستقرار في الثقافة العربية شأنه شأن الثقافة الغربية ربما لاتساع هذا العلم وعدم استقراره على مصطلح قار" حيث تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي

<sup>1</sup> طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 28.

<sup>2</sup> ينظر: بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 18.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 18.

<sup>4</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 05.

pragmatique فقيل البراغماتية والبراغماتيك، البراجماتية والبراجماتيك، وليس بين هذه الاصطلاحات فرق، بعدها نقلا حرفيا للكلمة الأجنبية، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية<sup>1</sup>.

ويعتبر المصطلح الذي اقترحه طه عبد الرحمان " التداولية " هو المصطلح الغالب والمهيمن على درس اللساني العربي، فأغلب المهتمين بهذا المجال يستعملونه.

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن التداولية اتجه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق، وتشمل هذه المعطيات:

- معطيات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.
- الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.
- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيهما<sup>2</sup>.

#### أهميتها:

تظهر أهمية النظرية التداولية من خلال محاولتها سد الثغرة التي تركتها النظريات اللسانية التي كانت قبلها، والتي نظرت إلى الملفوظات باعتبارها بنية مغلقة وعزلتها عن سياقها التواصلية وأقصت كل مرجع خارجي يحيل إلى بنية الملفوظ. وقد خلق هذا الاقصاء الكثير من المشكلات في التحليلات اللغوية البنيوية، مما جعل أنظار الباحثين تتجه صوب الاتجاه التداولي لحل هذه المشكلات من خلال إعادة الاعتبار لكل ما هو خارج عن النص والملفوظ بدء بعناصر العملية التلفظية المتكلم والمخاطب، وسياق التلفظ وما يحيط به، والاجابة عن كثير من الأسئلة التي لم تجب عليها النظريات الأخرى، وبالفعل قد أجابت على الكثير

<sup>1</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القلم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 65.

<sup>2</sup> عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 119-120.



من التساؤلات، وقدمت حلولاً لكثير من المشكلات، وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن الأهمية التي تحظى بها التداولية تكمن في مايلي:

- الاهتمام بالتأثيرات الفعلية للخطاب، ودراسة أحوال التخاطب، ودراسة اللغة في إطار التواصل بين المتكلم والمخاطب.

- دراستها وجوه الاستدلال للتواصل اللغوي، فهناك بعض الأقوال التي لها خاصية استلزام أقوال أخرى، لأن المتكلم يبلغ بأقواله أكثر مما تدل عليه الدلالات الحرفية لتلك الأقوال.<sup>1</sup>

- وتظهر أيضاً أهميتها من حيث أنها مشروع شاسع في اللسانيات النصية، تهتم بالخطاب ومناحي النصية فيه، نحو: المحادثة، المحاججة، التضمنين، ودراسة التواصل بشكل عام بدءاً من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد، إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السامع وعناصر السياق.

- تهتم بالأسئلة الهامة، والإشكاليات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر، لأنها تحاول الإحاطة بعدد من الأسئلة، من قبيل: من يتكلم وإلى من يتكلم؟ ماذا نقول بالضبط عندما نتكلم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح، كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر<sup>2</sup>؟

- دراسة استعمال اللغة، التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاماً محددًا صادرًا من متكلم محدد وموجهًا إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد.

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

<sup>1</sup> ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقارنة تداولية، ص 25.

<sup>2</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 135.

- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.
- تقوم بدراسة الآليات المعرفية المركزية التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، فهي تقييم روابط وشيخة بين اللغة والادراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي.
- تقوم أيضا بدراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي، فتقيم من ثم روابط وشيخة بين علمي اللغة والتواصل<sup>1</sup>.

أما فان دايك فيرى أن أهمية التداولية تتجلى من ثلاثة أوجه:

- تتيح صياغة شروط نجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر.
- صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز الذي ينبغي أن يستوفي في الإنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة.
- تربط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التواصل مع بنية الخطاب أو تأويله<sup>2</sup>.

### التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

للتداولية علاقة مع حقول معرفية عديدة، وخاصة تلك التي لها علاقة بدراسة اللغة، فهي حقل لساني له صلة بكثير من العلوم التي بعضها أسهم في إثراء هذا الحقل بكثير من المفاهيم، في حين أن التداولية نفسها أثرت في كثير من هذه العلوم.

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 28.

<sup>2</sup> فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000م، ص 256.

التداولية وعلاقتها باللسانيات: **Linguistique**

تتجلى العلاقة بين التداولية واللسانيات في أن كليهما يدرس اللغة، وربما يكمن الاختلاف بينهما في منهج الدراسة، فاللسانيات وبالذات اللسانيات البنوية التي أرسى دي سوسير قواعدها ركزت في دراستها لنظام اللغة على الصورة والتصنيف والتجريد وعزلها لبنية اللغة عن سياقها التواصلية ومن هنا فمجال دراستها هو لسانيات اللغة.

أما التداولية فقد ركزت في دراستها للغة على الجانب الاستعمالي وأعدت الاعتبار للمتكلم والمخاطب وسياق التلفظ باعتبارها عناصر تسهم توجيه المعنى وفهم دلالة البنية اللغوية، فاللغة لا تتحقق إلا من خلال الاستعمال. وانطلاقاً من هذا فمجال دراستها هو لسانيات الكلام.

فاللغة " لا تتحقق إلا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهم خصائص من يؤديها، مهما اجتهد في تجاوز ذلك. فالكلام . إذا . مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعا، ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينهما، مما يفرض الحاجة إلى دراسة متكاملة، أن نعتد بنظام اللغة دون إلغاء الخصائص الفردية والتمييزية التي تطبعه أثناء الأداء، ونكون بذلك أمام تأويل أوسع للظاهرة اللغوية، وهو هدف تطمح إليه لسانيات سوسير، وترجوه التداولية. لكن تمييزا دقيقا يطبع هذه الدراسة المتكاملة، فحين نهتم بدراسة نظام اللغة، فإننا نكون أمام وصف النظام وشرح شروطه وقوانينه التي تمثل منظومة مشتركة بين الناطقين بهذه اللغة، وقد لا تختلف في ذلك الوصف ولا في نتائجه. ونحن بذلك أمام دراسة لسانية"<sup>1</sup>.

كما يمكننا القول بأن التداولية " تدرس نظام اللغة المستعمل في الواقع الاجتماعي التواصلية ولا يمكنها أن تنعزل عن الجانب التواصلية للغة، لأن اللغة نظام في ذهن الجماعة، وهذا لا يمكن للدراسة التداولية أن تصفه، أما اللغة تطبيق لذلك النظام فتلك هي التداولية، واهتماماتها، ولذلك أصبحت ظاهرة توصف بظواهر وتسمى علم العلم الذي يعنى بظواهر التواصل اللغوي. إذن تغدو اللسانيات التداولية بهذا

<sup>1</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 124.

أحدث فروع العلوم اللغوية وتعنى بتحليل عملية الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها من خلال إجراءات التواصل بشكل عام"<sup>1</sup>.

### التداولية والنحو الوظيفي: Grammaire fonctionnelle

تعتبر نظرية النحو الوظيفي من النظريات اللسانية التي تعتمد كأحد مبادئها أن البنيات اللغوية تحدد خصائصها ظروف استعمالها في إطار وظيفتها التواصلية. فنظرية النحو الوظيفي ارتبطت بسيمون ديك Simon dik سنة 1978. الذي نظر للتركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية<sup>2</sup>.

فالعلاقة بين التداولية والنحو الوظيفي تكمن في معالجة كل منهما للبنية في إطار الوظيفة، والتركيز على القدرة التواصلية، من خلال مراعاة المستوى التداولي، مع المستويات الأخرى الصوتي والتركيب والدلالي.

### التداولية وعلم الدلالة: Semantique

نستطيع أن نلمس العلاقة بين التداولية وعلم الدلالة من خلال:

- أن كلا من التداولية وعلم الدلالة، يبحث في دراسة المعنى في اللغة، ومن الضروري بيان حدود الاهتمام بالمعنى في علم الدلالة، وحدود الاهتمام به في التداولية، مع أن هذه العلاقة يشوبها كثير من الغموض، لذلك فإن التمييز بين السيمانتيكية والبراجماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات. وهما وإن اشتركا في الموضوع "دراسة المعنى" فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته.

- من الدارسين من يعد علم الدلالة امتدادا للدرس التداولي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2014، ص 96.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 10.

<sup>3</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 127-128.

فالتداولية هو العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف الاتصالي. أما الدلالة فتعنى بالشروط التي تجعل هذه الأقوال مفهومة أو قابلة للتفسير.

فوجه العلاقة بينهما يكمن في أن الدلالة وظيفتها جعل الأقوال ذات معنى، والتداولية تجعلها قابلة للتواصل في موقف ملائم<sup>1</sup>.

ويرى محمد محمد يونس علي أن من المسلم به في الدراسات اللسانية أنه لا يمكن الحديث عن علم الدلالة دون موازنته بما يسمى عند الغربيين بالبراغماتية، فعلم الدلالة مجاله البحث في المعنى من خلال التراكيب والجمل، والبحث في البنية الدلالية للمفردات اللغوية، والعلاقات الدلالية بين المفردات كالترادف والتضاد.

أما علم التخاطب فإنه يدرس اللغة في إطار الاستعمال والاتصال، وهو بذلك يتميز عن علم الدلالة الذي يدرس المعنى وفقاً للوضع فقط، وبمعزل عن السياق، والمقامات السياقية.

كما أن علم الدلالة يدرس المعنى، وعلم التداولية يدرس الاستعمال، كما أن التمييز بينهما يشبه ما يسمى بالتمييز بين اللغة والكلام، والجمل والقول، فمعاني الجمل هي موضوع علم الدلالة في حين أن معاني القولات هي موضوع علم التداولية.<sup>2</sup>

### التداولية والبلاغة: Rhetorique

تلتقي البلاغة العربية مع التداولية في معالجهما لكثير من القضايا المشتركة فكلاهما يبحث فيما يتعلق بالمتكلم والمخاطب والاتصال والسياق والمقام، ولعل أوجز تعريف للبلاغة العربية هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

<sup>1</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 98.

<sup>2</sup> محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004، ص 12 . 13 . 14.

ويرى الباحث الألماني لوسبرج Laus berg H أن البلاغة " نظام له بنية من الأشكال التصويرية واللغوية، يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد، وبنفس الطريقة يرى ليتش Leitch V أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما. ولذلك فإن البلاغة و التداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي، على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف"<sup>1</sup>.

فقد قيل بأن البلاغة العربية القديمة في صميمها تداولية فكثير من القضايا التي أثارها علماء البلاغة العرب يمكن أن تصنف ضمن المباحث التداولية فعلى سبيل المثال " ارتبط سؤال المناسبة المقامية التداولية في أجلى صورته بالبحث عن فعالية علمية إقناعية خطابية من جهة ( عند الجاحظ مثلا )، كما ارتبط من جهة أخرى بملاءمة العبارة للمقاصد ضمن نظرية النظم الاعجازية، (أو ما يمكن أن ندعوه تداولية لسانية في مقابل التداولية المنطقية )، وارتبط من جهة ثالثة بالبحث عن بلاغة كلاسيكية ذوقية تقوم على الصحة والمناسبة عند ابن سنان مثلا"<sup>2</sup>.

### التداولية وتحليل الخطاب: L analyse du Discours

تلتقي التداولية مع تحليل الخطاب في أن كليهما يتجاوز الجملة إلى النص ذلك الفضاء الواسع، أو الواقع الخطابي، الذي يتجلى فيه استعمال اللغة ومقتضيات السياق والمقام، وتحليل الخطاب شأنه شأن التداولية فتحليله " تحليل للغة في الاستعمال، لذلك لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس. وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة، فإن محلل الخطاب ملزم بالبحث فيما تستعمل تلك اللغة من أجله"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، د ط، د ت، ص 89.

<sup>2</sup> محمد العمري، البلاغة العربية، الأصول والامتدادات، ط1، 1998م، ص 26.

<sup>3</sup> ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطف الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ط، 1997م، ص 1.

فمحلل الخطاب يتعامل مع الخطاب كتمارس لغوية بين مرسل ومتلقي، أو رسالة لغوية مشحونة بالمقاصد والأغراض، يتولى المتلقي فك رموزها باستحضاره لظروف وملابسات هذا الخطاب.

### التداولية وتعليمية اللغات: Didactique:

التعليمية هي ميدان من ميادين اللسانيات التطبيقية تسعى إلى البحث في كل ما يتعلق بالمعلم والمتعلم والعملية التعليمية، فهي الدراسة العلمية لمحتويات التدريس وطرقه وتقنياته تسعى إلى صياغة نماذج ونظريات للاستفادة منها في ميدان التعليمية.

وقد ظلت العملية التعليمية مدة من الزمن خاضعة لمفاهيم البنيوية التي كانت تراعي البنى والأشكال اللغوية بمعزل عن استعمالها وعن سياقاتها، ومركزة في الاكتساب اللغوي على التمارين التركيبية وحفظ القواعد اللغوية.

وقد استفادت التعليمية كثيرا من المفاهيم والأسس اللسانية خاصة اللسانيات التداولية التي "أحدثت الأثر الكبير في صناعة التعليم سواء تعلق الأمر بتعليم اللغة الأم أو اللغات الأجنبية بعد قطيعتها مع المناهج التي لم تؤت ثمارها، فقد أخذت حسب أبو A Abbou تعنى بالمتعلم ومقام التبليغ، فهناك شعار واحد يشغل أهل هذا الاختصاص الملكة والتبليغ، أي تزويد المتعلم أو المتعلمين بالأدوات التي تمكنهم التحرك بواسطة الكلام تحركا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها. إن الأمر لم يعد يتعلق بتلقين بنية نحوية معينة بل إنه يتعلق بتوفير الوسائل اللسانية التي تسمح للتعلم بإجراء اختيار بين مختلف الأقوال وذلك بحسب المقام"<sup>1</sup>.

فنتائج اللسانيات التداولية سمحت بمراجعة جذرية لمناهج التعليم والتدرج والاختبارات ومراقبة المعلومات، ومن هنا فعملية التجديد في التعليمية تقوم على ثلاثة أسس أساسية:

- البعد المعرفي dimension cognitive: توفير معلومات عن المجال الذي تستخدم فيه اللغة

<sup>1</sup> الجلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص 46.

- البعد العاطفي dim affective: الترغيب والتشجيع بقصد حمل المرء على التخاطب دون عوائق نفسية، وتحرير السلوكات اللغوية في حدود الاحترام المتبادل.

- البعد التداولي dim pragmatique: تكوين الاستعدادات اللغوية وتطويرها بقصد التبليغ الأمثل والاحسن ومن ثم الحصول على فعالية اجتماعية أكبر<sup>1</sup>.

لقد حظي طريقي العملية التعليمية المعلم والمتعلم بمكانة هامة في اللسانيات التداولية من خلال تركيزها على القيمة التواصلية في عملية التعلم، واهتمامها بالمقام والحال وظروف وملابسات التلفظ لما لها من تأثير على تعليم اللغات.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 49 - 50.



نشأتها:

إن المنهجية العلمية تقتضي قبل الحديث عن نشأة التداولية، كتيار لساني حديث أخذ تصور لساني عام عن الفكر اللساني والتيارات الفكرية التي صاحبت نشوء هذا العلم لتحديد منطلقاته، وللوصول إلى فهم دقيق وعميق للإطار التاريخي الذي احتضن ميلاد هذا المولود الجديد.

كما يمكننا القول أن الحديث عن نشأتها ليس بالأمر اليسير فقد كانت وليد مجموعة من التيارات الفكرية والفلسفية أسهمت في تكوينها وهذا ما أدى إلى تعدد روافدها، وأصبحت بذلك نقطة التقاء مع عدد من العلوم.

فمفهوم الأفعال الكلامية مثلا ارتبط بالفلسفة التحليلية ونظرية الملاءمة ارتبطت بعلم النفس المعرفي. وسنحاول في سياق حديثنا عن نشأتها التطرق لأهم الروافد والإسهامات التي أعطت لها بعدا ديناميا أخرجها للوجود وأصبحت تيارا لسانيا له مبادئه وأسسها.

وقد ذهب الجيلالي دلاش إلى أن التداولية ليست مدينة للتفكير الفلسفي فحسب، بل كذلك لوجهتها التي تمس الواقع والمعيش اليومي. حيث يذكر أ ماس Mass و لاود فندرليث D Venderlid في كتابيهما الموسوم ب pragmatik und sprachlichers أربعة منابع أساسية أدت إلى تكون هذا التخصص، أي اللسانيات التداولية وهي على التوالي:

- السيميائيات المنطقية المرتبطة بنادي فيينا Cercle de Vienne.
- سيميائيات ش موريس التي تفرع عنها تيار طاغ اعيد التفكير فيه من خلال مكون العمل Compositante travail ويمثله ج كلوس G klaus من ألمانيا الديمقراطية.
- الذرائعية الأمريكية pragmatisme ل ش س بيرس C S Peirce<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 04 - 05.

فالدال والمدلول قضية كانت محل عناية الفلاسفة والمناطقة والرياضيين وكل التطور الفكري الذي حصل في أوربا إنما دار حول الدليل بمعناه الواسع من حيث مظهره السيميائي ومن حيث مظهره الدلالي، كما أن هناك " تصورات هامة في إطار هذه التوجهات جديرة بأن تعالج معالجة عميقة وهي: تصورات كل من بيرس، وموريس، وبوهلر، ولما كانت هذه التصورات لا تستبعد مستخدمي الدليل من أبحاثها فإنها قد عدت على نحو حصيف بمثابة أسس للسانيات التداولية"<sup>1</sup>.

- إسهام علم الاجتماع مع ريناتش:

تتمثل اسهامات ريناتش فيما جاء به قبل الحرب العالمية 1914، في عزله الأعمال الاجتماعية والتي أطلق عليها فيما بعد أوستين الأعمال اللغوية، فقد التقى مع أوستين في أن كليهما يصف الظاهرة الاجتماعية، وأن كليهما انطلقا في دراستهما من مثال الوعد.

فالعمل الاجتماعي في نظره منجز عبر اللغة بمجرد التلفظ بالقول، فينشئ الكلام حينئذ حقوقا وواجبات ينبغي أن لا تختلط بالحقوق والواجبات الأخلاقية.

فعلى سبيل المثال عندما تتلفظ بملفوظ تعد فيه إنسانا صديقا لك بزيارته، فإنك تكون قد ألزمت نفسك بالذهاب إليه، ومنحته الحق في مطالبتك بالوفاء بوعدك وهو زيارته.

وقد ركز في دراسته على تحليل طبيعة هذه الحقوق والالتزامات بين المتلفظين وعلى خصوصيات التجربة المرتبطة بالأعمال الاجتماعية<sup>2</sup>.

فالحق والالتزام عنده علاقة انعكاسية تتولد عن عمل اجتماعي معين " وفي الوقت نفسه هما أمران زمنيان، لأن لهما وجودا لمدة محددة، فهما يتولدان عن عمل اجتماعي معين، ولكن زوالهما قد يتشكل تشكلات مختلفة نحو:

- أن يتحقق محتوى العمل الاجتماعي فيزول الحق، أو الواجب تلقائيا.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 07.

<sup>2</sup> ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية، ص 28.

- أن يتخلى متلقي العمل الاجتماعي عن حقوقه، والتخلي عمل اجتماعي آخر متلقيه هو فاعل العمل الاجتماعي الذي قد تخلي عنه.

- أن يبطل الفاعل العمل الاجتماعي، لأن الإبطال عمل اجتماعي آخر متلقيه هو متلقي العمل الاجتماعي الذي قد أُبطل، وهذا الإبطال له شروط ينبغي أن تتوفر، ليكون عمل الإبطال شرعياً.<sup>1</sup>

- إسهام الدراسة اللغوية مع غاردنر:

تمثلت إسهاماته في بعض الطروحات التي قدمها برهن من خلالها أسبقيته إلى بعض مبادئ التداولية التي انطلق منها أوستين فيما بعد.

فقد ميز في دراسته بين اللسان والخطاب، وهو تمييز مشابه لتمييز دي سوسير بين اللسان والكلام وإن كان الاختلاف بينهما في الرؤى، فدوسوسير انطلق من اللسان ليعرف الكلام، وأما غاردنر فقد انطلق من الخطاب ليصف اللسان.

ويعتبر الخطاب حدثاً لسانياً يحدث بسبب تواصل بين المتكلم والمخاطب من خلال مجموعة من الرموز والعلامات المتعارف عليها، أما اللسان عنده فهو المعارف المتعلقة بهذه الإشارات والعلامات، ويرى أن الجملة وحدة الخطاب والكلمة هي وحدة اللسان، وانطلق من هذه الدراسة ليصل إلى أن الخطاب أصل للسان وما للسان إلا نتيجة لاستعمالات خطابية.

وركز في دراسته أيضاً على الجملة وميز من خلالها بين المسند والمسند إليه وربط الجملة بمقصدية المتكلم حيث رأى أن الإسناد يعكس قصد المتكلم. كما قسم الجمل إلى أربعة أقسام خبرية، والاستفهامية، والطلبية، والتعجبية ورأى أن هذه الأصناف الأربع كفيلة بإبراز قصد المتكلم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 29.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 30-31.

لقد تحدث غاردنر في دراسته عن قصد المتكلم وعن الجمل الطليبة والخبرية ومحدثه هذا يكون قد طرق أهم مبحثين من مباحث التداولية وهما المقصدية وأفعال الكلام.

- إسهام علم الفلسفة:

تتمثل جهود علماء الفلسفة في البحوث التي قدمها كل من " رواد فلسفة اللغة الطبيعية والفلسفة التحليلية، مقابل مدرسة اللغة الشكلية، وتقوم على دراسة كيفية توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال الإبداع وتلك هي المنابع التي نشأت فيها التداولية في الواقع من خلال أعمال الفيلسوف وعالم الرياضيات الألماني - فريج - ثم الفيلسوف وعالم الرياضيات البريطاني - روسل - اللذين طوروا كثيرا من قضايا الفلسفة التحليلية، وهي التي أنتجت فيما بعد الفلسفة الأوستينية في اللغة من خلال تناولها للقضايا التداولية ... ثم انتقلت عن طريق الاقتراض إلى حقل الدراسات اللغوية"<sup>1</sup>.

وتعتبر فلسفة التحليل أهم رافد فلسفي وخلفية فكرية تمخض عنها الفكر التداولي، فما مفهومها؟ وما أهم اتجاهاتها؟ وكيف أسهمت في إرساء معالم التداولية؟

فلسفة التحليل:

تعود نشأة الفلسفة التحليلية إلى " العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه 1848 Gottlob Frege . 1925 في كتابه أسس علم الحساب، وكانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأصقاع الأوروبية لا سيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب "<sup>2</sup>.

فالفلسفة التحليلية هي حركة فلسفية تسعى إلى أن يكون موضوع الفلسفة ليس الواقع ولكن موضوعها الخطاب واللغة وما يتبادله الناس في حياتهم اليومية، وانطلاقا من هذه الرؤية نلاحظ الفرق بين

<sup>1</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 50.

<sup>2</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 18.

الفلسفة التقليدية عند أفلاطون وأرسطو وفلسفة التحليل التي على حد تعبير فتغنشتاين هي نشاط ضد كل أنواع الخلط الفكري الذي تمتلئ به الفلسفة كلها.

وهذا التحول في موضوع الفلسفة ساهم في ما بعد في تطور الأبحاث اللغوية في القرن العشرين وأصبح معظمها ضمن ما يعرف بفلسفة اللغة philosophy of language<sup>1</sup>.

ويمكننا القول أن " اهتمام فلاسفة التحليل باللغة، كان تعبيرا عن اهتمام فلسفي ومنطقي باللغة باعتبارها إطارا ملائما لحل كل المشكلات الفلسفية، بما فيها المشكلات التي تخص المنطق وفلسفة الرياضيات إذ لم تكن تحليلاتهم للغة مقتصرة على البحث في المسائل اللغوية المحضة كما هو الحال عند علماء اللغة، لكنها كانت تربط تلك المسائل بالمشكلات الفلسفية، لهذا السبب لم تكن الفلسفة اللغوية عند فلاسفة التحليل فرعا من فروع الفلسفة، كفلسفة العلم أو فلسفة الرياضيات"<sup>2</sup>.

فالفلسفة التحليلية Analytic philosophy اتجه فلسفي معاصر يقوم على مبدأ التحليل يسعى إلى تبسيط القضايا المعقدة، وتفكيك الكل إلى أجزاء من أجل جعل الدراسة المستعصية ممكنة، وذلك عن طريق الانطلاق من النتائج إلى الأسس ومن الانعكاسات إلى الأسباب وكذا من المظهر إلى الواقعة الحقيقية<sup>3</sup>.

ومن أهم الخصائص التي تميزت بها الفلسفة التحليلية:

- اعترافها بدور اللغة الفعال في الفلسفة: فاللغة عندهم ليست مجرد وسيلة للتواصل بل هي هدف البحث الفلسفي، ووسيلة لمناقشة القضايا الفلسفية. ولكن الخلاف بين الفلاسفة في اللغة المستعملة أهي اللغة الرمزية، أم هي اللغة العادية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: جمال حمود، مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 2014، 9م، ص 236.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 236.

<sup>3</sup> ينظر: بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص 58.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 61.

- النظرة التجزيئية للإشكالات والقضايا الفلسفية: إن الانطلاق في معالجة الإشكاليات والقضايا الفلسفية من تجزئتها يساعد على الفهم والمعرفة الدقيقة بالشيء المراد تفكيكه، وهذا ما يصطلح عليه بالتحليل، وهو سمة بارزة في فلسفة فتغنشتاين، حيث اعتبره الأساس الأول لحسم وحل المشكلات الفلسفية.<sup>1</sup>
- التركيز على الطابع المعرفي: وذلك من خلال الكشف عن العالم الخارجي وفهمه بغية اكتساب المعرفة، والبحث عن الحقيقة والتمسك بمرتكزات العلم والمنطق، مما جعلها أكثر واقعية.
- المعالجة المشتركة بين الذوات لعملية التحليل: حيث أنها تقيم بحوثها على تحليلات مختلفة تتأسس على اللغة، وتبتعد عن الفردية و اللغة الخاصة.<sup>2</sup>

### - اتجاهاتها:

انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات هي:

### أ/ الوضعية المنطقية: Positivisme Logique :

ترجم هذا الاتجاه رودولف كارناب، وقد صدر عن " حلقة فينا " التي تشكلت من مجموعة من الفلاسفة والرياضيين، تبنى أصحاب هذا الاتجاه نظرية المنطق التي قال بها الواقعيون، ولكنهم اختلفوا عنهم في نظرتهم للميتافيزيقا، ونظرتهم لمهمة الفلسفة أنها محصورة في توضيح الأقوال التي يستخدمها العلم وذلك عن طريق التحليل المنطقي.

وقد كان اهتمام أصحاب هذا الاتجاه باللغة الصورية المصطنعة (اللغة المثالية)، فجعلوها بديلا عن اللغات الطبيعية، لاعتقادهم بأن اللغة الطبيعية تنطوي قصور يجعلها خاطئة أو معيبة إلى حد كبير بالنسبة للأغراض الفلسفية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، ص 63.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 63-64.

<sup>3</sup> ينظر: محمد مهراڤ رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984م، ص 179.

ب/ الظاهرية اللغوية: Phenomenologie du Langage :

وتزعم هذا الاتجاه إدموند هوسرل، فأصحاب هذا الاتجاه راحوا يبحثون في أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية، فبحثوا في أمور تجريدية لا علاقة لها بالاستعمال اللغوي ولا بظروف استخدامه، ولكنها في الوقت نفسه قد جاءت بمبدأ إجرائي مهم في اللسانيات التداولية وهو مبدأ " القصدية " الذي استثمره كل من أوستين وسيرل في ما بعد<sup>1</sup>.

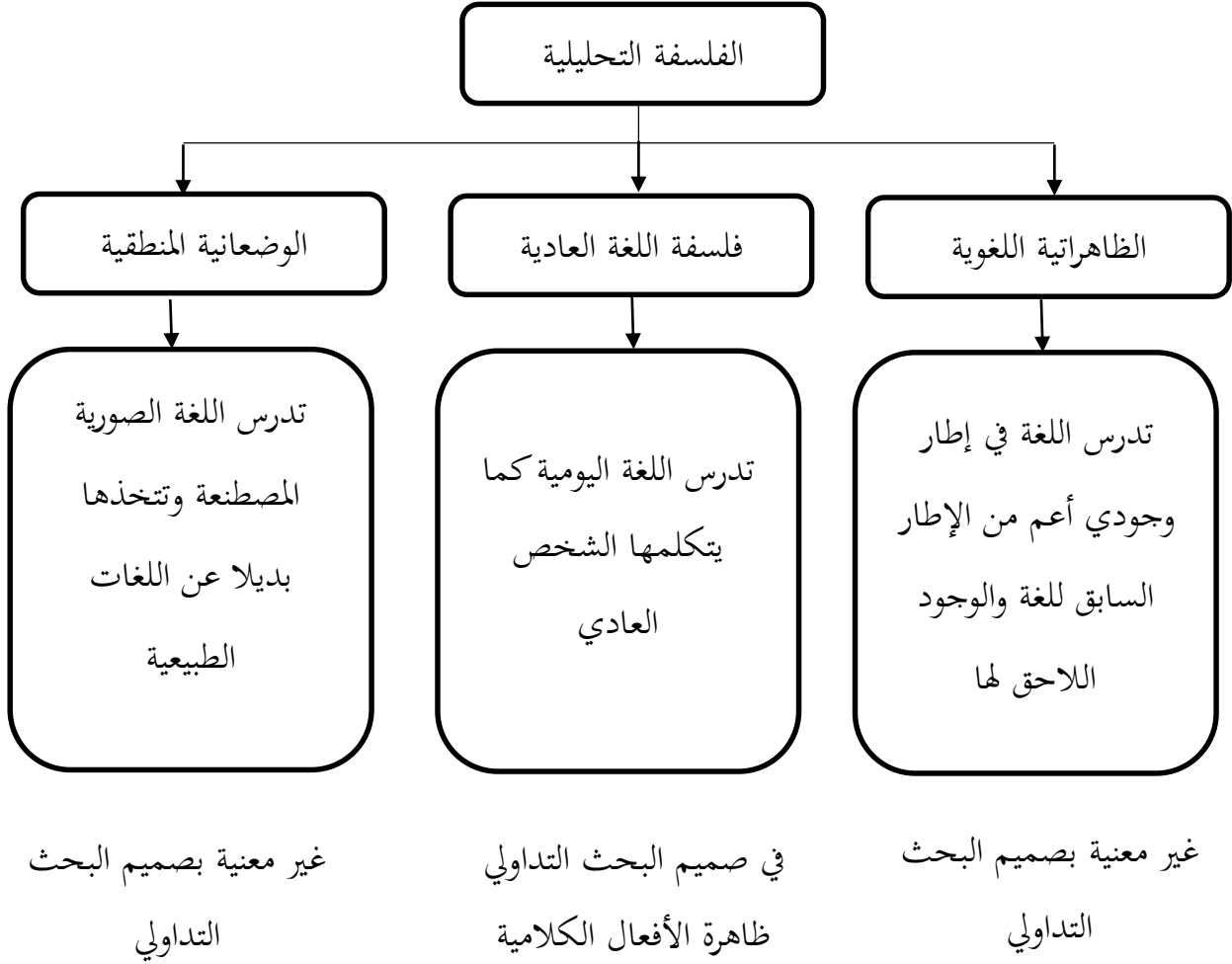
ج/ فلسفة اللغة العادية: Philosophie du langage Ordinaire :

وتزعم هذا الاتجاه فتغنشتاين الذي يعتبر من رواد الفلسفة التحليلية، وتعود شهرته في الأساس إلى كتابه " رسالة منطقية فلسفية " الذي كان له أثرا كبيرا على الفكر الفلسفي، وحاول من خلاله أن يقيم نظريته الذرية المنطقية على اللغة المثالية، ولكنه مع بداية الثلاثينيات تحول إلى اتجاه فلسفي جديد، ونظرة جديدة للغة ضمن ما يسمى بفلسفة اللغة العادية، في كتابه " الأبحاث الفلسفية " وقد انبنى منهجه على اللغة، ففي نظره اللغة هي الوسيلة لحل الكثير من المشكلات الفلسفية، بل أرجع الكثير من المشكلات الفلسفية إلى سوء فهم الفلاسفة للغة. فوظيفة الفلسفة عنده ليست التفسير وإنما هي تحليل اللغة عبر تحليل العبارات والقضايا المركبة إلى ما هو أبسط منها، فاللغة العادية هي لغة البحث الفلسفي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 23.

<sup>2</sup> ينظر: بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، ص 92 . 93، وينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1985م، ص 52.

والمخطط الآتي سيوضح أكثر هذه الاتجاهات<sup>1</sup>:



<sup>1</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 24.



درجاتها:

إن اتساع مجال التداولية وتعدد ميادينها أدى إلى تعدد مستوياتها وتصوراتها ودرجاتها، ومن هنا فحديثنا عن هذه الدرجات سيقصر على ثلاثة تصورات هي:

1/. تصور فرانسواز أرمينكو: جعلها في كتابه "المقاربة التداولية" في اتجاهين لا تقاطع بينهما:

أ/ تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية:

ارتبطت تداولية اللغة الشكلية بالاتجاه الكانطي في اللغة من مبادئها التي اعتمدت عليها في معالجتها لعلاقة الملفوظات والجمل بسياقاتها الفلسفة والمنطق، كما التقت في دراساتها مع أعمال فلاسفة اللغة العادية لا سيما ستالناكر وهانسون، وأعمال فيتغنشتاين وشتراوس.

وأما تداولية اللغات الطبيعية فقد سعت إلى دراسة اللغة بوصفها الأداة الوحيدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع<sup>1</sup>.

ب/ تداولية التلفظ: وتتفرع بدورها إلى:

- تداولية صنعة التلفظ: وتتناوله من حيث هو صناعة، ومما يدفع إلى صياغته وتشكيله، وتمثلها فكرة ألعاب اللغة لفيتغنشتاين، ومفهوم الأفعال لدى أوستين، ثم لدى سولر.

- تداولية صيغ الملفوظ: وهي التي تهتم بشكل الملفوظ وعباراته، ومدى علاقته بالدلالة المرتبطة بهذا الشكل أو هذه العبارة، وضبط خطوط السياق المناسب<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 77-78.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 78.

2/ تصور هانسون **Hnsson 1974** : قدم هانسون تصورا مميزا حاول من خلاله تحديد ثلاثة مستويات للتحليل التداولي خاضعة للمؤشرات السياقية: هي:

**La pragmatique du premier degre**: تداولية الدرجة الأولى:

تتم بدراسة البنى والتراكيب في سياق استعمالها، وتركز على العلاقة بين البنية الداخلية للملفوظات والبنية الخارجية من اهتمامها بالمتلفظ والمتلفظ له وظروف وملابسات التلفظ. كما أنها تركز على المبهمات المفردات الإشارية **Deictiques** ويسمى البعض التداولية التلفظية أولسانيات التلفظ.<sup>1</sup>

**La pragmatique du deuxieme degre**: تداولية الدرجة الثانية:

تتم بالكيفية التي يتكون بها معنى الملفوظ، وذلك بمساءلة التأويلات المنبثقة عنه والتي لم يصرح بها حرفيا في الملفوظ، هذه الدراسة تعرف على وجه العموم بما يسمى متضمنات القول **Les contenus implicites**

**La pragmatique du troisieme degre**: تداولية الدرجة الثالثة:

تتعلق بمعالجة الأبعاد الفعلية للغة ممثلة في نظرية أفعال الكلام، وبذلك تختص بدراسة القيم التخاطبية المضمنة داخل الملفوظ والتي تسمح له بالاشتغال كفعل لغوي خاص. والبعض يطلق عليها: التداولية الانجازية. **La pragmatique illocutoire**.<sup>2</sup>

3/ تصور جان سرفوني: رأى أن التداولية بعد أوستين تتمخض في ثلاث وجهات نظر

أ/ وجهة نظر أوزوالد ديكر:

تتمثل في دراسة اللسان والعلاقات المتبادلة **intersubjectif** بين القول واللاقول فهو يرى أننا حين نطرح سؤالا، فذلك لا يعني الرغبة في المعرفة فقط، بل وجوب الإجابة من السائل كما " يتناول أيضا

<sup>1</sup> ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص 08.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 08.

القول الفاعل الذي يتجاوز تصور أوستين للأفعال، فهو يتضمن أيضا الافتراض المسبق الذي هو وسيلة للقول أو عدم القول، وكذلك دراسة المضمرات والحجاج وخلاصته في ذلك أن اللسان عكس ما تصوره سوسير، فهو مجموعة من الاتفاقات التي تسمح بالفعل المتبادل بين الأفراد، مما يتيح لهم فرض أنفسهم، وتبادل الأدوار في عملية الكلام<sup>1</sup>.

ب/ وجهة نظر آلان بيريندوني:

ناقض طرح أوستين الذي يرى أن القول هو الفعل ففي نظره حين نقول لانفعل شيئا، واعتبر الأفعال الإنجازية ليست مهمتها الإنجاز بل عدم إنجاز الفعل، فهي تستخدم لإحلال الكلام محل الفعل المادي، والفعل الوحيد المنجز في نظره حين التلفظ هو حركات صوتية، أي ملفوظ بالمعنى الحرفي للكلمة، وقد كانت وجهة نظره هذه محل انتقاد<sup>2</sup>.

ج/ وجهة نظر ر مارتان: من خلال كتابه " من أجل منطق للمعنى " يرى أن " مجال البراغماتية ليس الجملة، ولكنها تتداخل على مستوى الملفوظ، وهي نتيجة للآلية الدلالية المنطقية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 83.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 84.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 84.

اتجاهاتها: للتداولية اتجاهان

1/ الاتجاه الأول: النظريات الخطية:

وتعود أصول هذه النظرية إلى " تقاليد الوضعية المنطقية في تحليل اللغة ( بيرس 1931 . 1958، موريس 1938م، كارناب، 1942م، ) التي تتجلى في كل نظام من العلامات تختص السيميائيات بدراسته، وهكذا نجد التركيب يعنى بدراسة العلاقات بين وحدات اللغة، ونجد الدلالة تعنى بدراسة العلاقات بين العلامات ومراجعها، فيما تهدف التداولية إلى دراسة علاقة العلامات بمؤوليها.<sup>1</sup>

اعتمدت هذه النظريات في مبادئها وأسسها على أصحاب الوضعية المنطقية في تحليل اللغة فهم يرون أن أي نظام علامي مكون من أجزاء:

- التركيب: يدرس العلاقات القائمة بين التراكيب وقواعدها النحوية أي يركز على سلامة التركيب أو الملفوظ من الناحية النحوية.

- الدلالة: تدرس العلاقة القائمة بين التراكيب وما تحيل عليه من معاني. أي التركيز على المعنى الذي يدل عليه التركيب.

التداولية: تدرس العلاقات القائمة بين التراكيب في إطار الاستعمال.

وترجع تسمية هذه النظريات بالنظريات الخطية، لأن الترتيب بين التركيب والدلالة والتداول أمر رئيس في التحليل، وتسمي أيضا بالمنظومية لأن كل جزء فيها مستقل بذاته.

ومن مباحثها : نظرية الأعمال اللغوية، ونظرية الاقتضاء، ونظرية الاستلزام الخطابي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نور الدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص 57.

<sup>2</sup> ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية، ص 53.

2/ الاتجاه الثاني: النظريات المدمجة:

قامت هذه النظريات على نقدها للنظريات الخطية فأصحابها لا يرون " وجودا لترتيب خطي بين التركيب والدلالة والتداولية. إنما يرون أن البلاغة مدمجة في الدلالة، إذ إن المعلومات غير اللغوية . المنتمية إلى المكون التداولي . مجموعة مع المعلومات اللغوية عندهم مع ترتيب محدد، فلا يتدخل مقام إلقاء القول إلا بعد أن تسند إلى الجملة دلالة تمثل حصيلة المكون اللغوي، فليس اللسان عندهم موضوعا لغاية إيصال المعلومات، بل إن النظام اللغوي قد وضع لغاية التواصل مفترضين أن معنى القول مرتبط بعملية قوله، لذلك تكون بنية اللسان مشيرة إلى عملية إلقاء القول<sup>1</sup>.

فهذه النظريات تفترض وجود الملامح التداولية في البنية اللغوية من خلال الربط بين البنية اللغوية والاستعمال.

3/ الاتجاه الثالث: النظريات المعرفية:

تختلف هذه النظريات عن سابقتها لكونها تندرج ضمن المحاولات المعرفية للتداوليات، وتمثل النظرية المعرفية شكلا من أشكال التداولية الجذرية *la pragmatique radicale* الشيء الذي أعطى المشروعية لطريقتين متوازيتين في تحليل الخطاب:

- الطريقة الشكلية: *formaliste* تتمثل في أعمال كازادار المنبثقة من النظرية الخطية.
- الطريقة المعرفية القالبية: *cognitiviste modulariste* المتمثلة في أعمال سبيربر و ويلسن 1986م، و 1989م. وترتبط النظرية القالبية بالنظرية المعرفية لفودور Fodor 1986م، الذي يميز بين نوعين من أنظمة معالجة المعلومة:

أ/ الأنظمة الخارجية: *peripherique* أنظمة الدخل المتخصصة والقالبية.

ب/ النظام المركزي للفكر غير المتخصص وغير القالبي، الذي يتم فيه الاستدلال.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 54.

وتتم المعالجة التداولية من منظور سبيربر و ولسن داخل النظام المركزي، حيث تتكون وترسخ الفرضيات، وتظفر الأقوال بتأويل تام<sup>1</sup>.

فروعها:

إن اتساع مجال التداولية أدى إلى تعددها إلى فروع تميز كل منها عن الآخر:

- التداولية الاجتماعية: **sociopragmatics**: وهي التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

- التداولية اللغوية: **Linguistic pragmatics**: وهي التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية structural وهي بذلك تنطلق من اتجاه مقابل للتداولية الاجتماعية، فإذا كانت هذه تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي، فإن تلك تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه.

- التداولية التطبيقية: **applied pragmatics**: وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة وبخاصة حين يكون للاتصال في موقف بعينه نتائج خطيرة كالاستشارة الطبية، وجلسات المحاكمة.

- التداولية العامة: **generale pragmatics**: وهي التي تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نورالدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي، ص 60.

<sup>2</sup> محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15.

# الفصل الثاني

التداولية في التراث العربي

تمهيد:

لقد كان علماء اللغة الأوائل على وعي كامل بالدور الذي تؤديه اللغة في التواصل والابلاغ، فكانت ركيزتهم الأساسية، إذ استعملوها بمختلف فروعها في فهم النصوص الشرعية. فقد عرفها ابن جني بقوله: " هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم." فتأكد العلماء القدماء على الوظيفة التواصلية للغة، إنما ينم بالنظر إلى الظروف والملابسات التي تكتنف العملية التواصلية.

فقد تفتن علماء العرب . في وقت مبكر . إلى أهمية السياق وأطراف التواصل وظروف وملابسات الحديث، في تشكل دلالة الملفوظ، وأثرها في تأدية معنى العبارة وتوجيهه. وإن أمورا من هذا القبيل تدخل في إطار جملة من المفاهيم والإجراءات التداولية التي يتحدث عنها الغربيون اليوم في نظرياتهم، ولكنها كانت موجودة عند علمائنا القدماء، وقد مارسوها في تحليلاتهم اللغوية إلا أنها لم تكن بهذه المسميات.

ولهذا يتوجب اليوم علينا العودة إلى هذا التراث الفكري الذي خلفه القدماء، وسبر أغواره للوقوف على القيمة الفكرية له وجهود العلماء فيه، فلا مجال للباحث لمعرفة أحدث العلوم والنظريات إلا إذا عاد إلى ماضيه ومحضه ونقب فيه للوصول إلى هذه الدرر الثمينة الكامنة فيه، وكل هذا يقودنا إلى القول بأنه قد كان لعلمائنا قصب السبق في كثير من القضايا اللغوية.

ولكن المشكل الذي يطرح نفسه أننا حينما نتكلم عن مسألة التراث واللسانيات الحديثة تستوقفنا جملة من التجاذبات الفكرية لعل من أهمها ما أكد عليه عبد السلام المسدي بقوله: "... ومع ذلك ترانا أحد رجلين إما ناقل لفكر غربي، وإما ناشر لفكر عربي قديم. فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى نفتقد عنصر العربي، وفي الحالة الثانية نفتقد عنصر المعاصرة. والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 12.



ولذا نجد أن العلاقة بين اللسانيات الحديثة والتراث العربي قد مرت بمرحلتين:

- المرحلة الأولى: وقد عرفت انبهار الكثير من الباحثين العرب باللسانيات، فتبعها نقد شديد للتراث النحوي، وتشكيك في كفايته الوصفية.
- المرحلة الثانية: وتميزت هذه المرحلة بالعودة إلى التراث العربي ومحاولة اكتشافه وقراءته على ضوء اللسانيات الحديثة<sup>1</sup>.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن الذي نسعى إليه من خلال دراستنا ومن خلال هذا الفصل هو محاولة استنطاق التراث في ضوء اللسانيات التداولية، لنقف على عصارة الفكر اللساني عند علمائنا القدماء سواء كان ذلك عند الزمخشري أو عند غيره من العلماء نحاة وبلاغيين ومفسرين وأصوليين... للوقوف على بعض المفاهيم والإجراءات عندهم والتي تصب في صلب النظرية اللسانية التداولية. وللوصول إلى ذلك يمكن أن نطرح الأسئلة التالية: أين يتجلى الفكر التداولي عند علماء العرب القدماء؟ وما موقعه من الفكر اللساني الغربي؟ وهل يمكن أن تنم جهود العرب القدماء في التأسيس لنظرية لسانية عربية تداولية؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة سنحاول حصر هذه الجهود عند النحاة واللغويين والبلاغيين والمفسرين والأصوليين.

### 1/ الفكر التداولي عند النحاة واللغويين:

إذا كانت التداولية هي علم استعمال اللغة، وتعنى بأطراف العملية التواصلية وبالظروف والملابسات المحيطة بعملية التواصل، فكثير من القضايا النحوية واللغوية عاجلها النحاة واللغويون على اعتبار هذه الأسس، فقد نجد أن النحوي أو اللغوي يعطي حكماً نحويًا أو إعرابياً على اعتبار قصد المتكلم، أو إفادة المخاطب، أو الظروف الخارجية المحيطة بالموقف الكلامي. فهذه المفاهيم تدل على وجود البعد التداولي في النحو العربي.

<sup>1</sup> ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية، ص 56.

ومن هنا يمكن القول " أن للحقل التداولي أثرا في إعادة قراءة النصوص التراثية وقد لوحظ أن هذا الاتجاه مؤثر في توجيه البحث نحو قضايا، قصد المتكلم والمقام اللذان يحكمان إمكانيات التعبير المختلفة، وهي قضايا قد وجدت مبنوثة في التراث النحوي غير أن النظر فيها بشكل جاد لم يكن إلا بعد دخول بعض المبادئ التداولية إلى الثقافة العربية، وتأثر بعض البحوث النحوية التي أعادت قراءة التراث بواسطتها"<sup>1</sup>.

ولما نتكلم عن سمات تداولية كانت موجودة في تراثنا النحوي يقودنا هذا إلى القول " بأن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلماء، رؤية واتجاهها أمريكيا أوريبا، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة"<sup>2</sup>.

وهذا ما أكد عليه مسعود صحراوي بقوله: " اهتم كثير من نحائنا القدامى بالمبادئ التي تعد عند المعاصرين أسسا تداولية، كمرعاة قصد المتكلم، أو غرضه من الخطاب، ومرعاة حال السامع، ضمن ما أطلقوا عليه مصطلح الإفادة، وهي الفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب، والسياقات التي ينتج ضمنها الكلام، ومدى نجاح التواصل اللغوي"<sup>3</sup>.

وقد تنبه النحاة القدماء إلى أنه " لا يوجد الكلام أصلا، إلا منطوقا في سياق تواصل اجتماعي. يؤيد ذلك اشتراط النحاة حصول الفائدة ليستحق الملفوظ تعريفه بأنه كلام، ومن المعلوم أن الفائدة تحصل باستعمال وجوه متفاوتة من التراكيب، وبكيفيات مختلفة من طرق التلفظ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 62.

<sup>2</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 140.

<sup>3</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 158-159.

<sup>4</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 06.

إن النحاة القدماء في درسهم اللغوي ميزوا بين مستويين من مستويات الدراسة، اكتفى المستوى الأول بالقواعد النحوية المجردة، وتتبع وترصد الصواب والخطأ في الأداء فيما تجاوز المستوى الثاني حدود القواعد المجردة إلى البحث في العلاقات المتنوعة بين الكلمات والجمل وربطها بالأغراض والمقاصد<sup>1</sup>.

فالنحاة أمثال سيويه وابن جني والجرجاني لم يقفوا بالنحو عند تغيير أواخر الكلم لتغيير العوامل بل كانوا ينظرون إلى التراكيب ويفاضلون بينها في سياقها الاستعمالي، فالنحو عندهم لم يكن يقتصر على معرفة الصواب والخطأ في ضبط أواخر الكلمات فحسب، بل النظر إلى التراكيب وربطها بالمعاني ومعرفة المقاصد والأغراض ومراعاة المتكلم والمخاطب والمقام والتعبير عن كل ذلك دون إخلال بعلامات الإعراب.

ولذا فإن " التراكيب اللغوية لا تجري اعتباراً في بيان الدلالات، وإجراء عمليتي الاتصال والتواصل بين الناطقين باللغة، وإنما تجري خضوعاً لنظام وقواعد وقوانين تحدد صحتها النحوية، واستقامتها الدلالية، فلكل لغة من اللغات قواعد محددة وطرائق تؤطر طبيعة تركيب العبارة"<sup>2</sup>.

فمنهج النحاة العرب في وصف تراكيب وملفوظات اللغة العربية كان قائماً على أساس أفراد باب لكل وظيفة فصلوا فيه قيودها النحوية والصرفية والمعنوية التي تتفاوت فيها هذه الوظائف، فمنها ما يتجلى فيه الجانب الوظيفي أو التركيبي، ومنها ما يتجلى فيه الجانب الدلالي، ومنها ما يتجلى فيه الجانب التداولي، وربما حتى أننا نجد وظائف تجمع بين بعدين ولها دلالات ومقاصد مختلفة<sup>3</sup>.

وعندما نتحدث عن البعد التداولي عند النحاة، فسيويه أول نحوي فسر التراكيب والملفوظات وبين كيفية استخدامها وفق سياقاتها وطبقاتها المقامية المختلفة، فلم يكن " بمعزل عن التصورات اللسانية الجريئة والمعطيات التمهيدية التي استطاعت الإجابة عن كثير من هذه القضايا، والإحاطة بالعديد منها على وجه الدقة والرصانة، وذلك بما استودعه في الكتاب من طروحات تداولية مهمة من حيث كنهها وكيانها وملاحظها

<sup>1</sup> ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية للنشر لوئمان، مصر، ط1، 1994، ص 38-39.

<sup>2</sup> هادي نحر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد الأردن، 2007م، ص 127.

<sup>3</sup> ينظر: عبد الحميد السيد، التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد 16، العدد الثاني، 2001م، الأردن، ص 59.

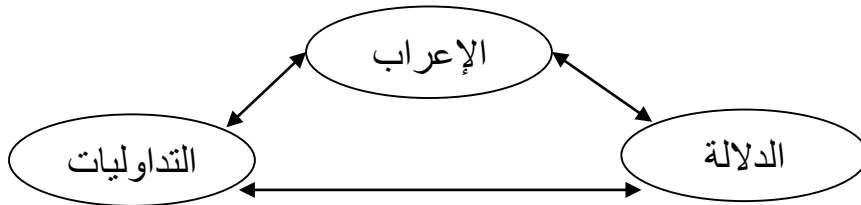
وسماحتها، بما يوحي بقدر مشترك من الضرورة التواصلية، غير بعيد عما جاء به أوستين في القدرة الإنجازية للخطاب، وعن القصدية الاشتراكية للتعبير التداولي عند سيرل<sup>1</sup>.

وأول ملامح تداولي نجدته في الكتاب، في قوله (هذا باب الاستقامة من الكلام و الإحالة) يقول: " فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيتك غدا. وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسأتيتك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك، حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكبي زيد يأتيتك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس<sup>2</sup>.

أشار سيبويه في هذه الأمثلة إلى مسألة مهمة في اللغة تتعلق بمستويات اللغة، فعادة ما يكون اللحن أو الخرق في اللغة في الجانب النحوي أو الصرفي، ولكن سيبويه قد تحدث عن نوع آخر من اللحن يكون في المستوى الدلالي، وهو ما أطلق عليه بعض المحدثين مسمى اللحن التداولي. الذي تنعدم فيه شروط المطابقة بين النسبة الكلامية والنسبة الواقعية الخارجية والنسبة العقلية كما يعبر البلاغيون و التداوليون<sup>3</sup>.

وقد أشار سيبويه إلى قضية أخرى تكلم عنها مقبول إدريس الذي رأى أن النحاة قد تكلموا عن أنواع الإعراب وعلاقته بالمعنى، وبالمستوى الدلالي، ثم ناقش هذه المسألة عند سيبويه ورأى أن الإعراب عنده لا يكاد يخلو من أسباب وصلات مع المستوى التداولي، وقد اقترح تمثيل العلاقة بين هذه المستويات

كالآتي:<sup>4</sup>



<sup>1</sup> هيثم محمد مصطفى، القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد 11، العدد 03، ص 221.

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ص 25 - 26.

<sup>3</sup> ينظر: مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، العدد 01، المجلد 33، 2004م، ص 246.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 250.

وقد اقترح مصطلحا جديدا أطلق عليه مسمى، الإعراب التداولي، وللوصول إلى معنى الملفوظ لا بد من تضافر المستويات الثلاثة.

وقد ذكر النحاة بعض التحليلات الإعرابية وحللوها في ضوء المستوى التداولي، ويمكن من خلالها أن نلتمس أوجه الصلة بين هذا المستوى والظاهرة الإعرابية، والشواهد الآتية تبين أهمية المقام في توجيه الحكم الإعرابي: يقول سيبويه في باب ( هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح )

قال تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ... ﴾<sup>1</sup>.

يقول سيبويه: " فلو كان كله رفعا لكان جيدا، فأما الموتون فمحمول على الابتداء"<sup>2</sup>.

فالشاهد الإعرابي هو ( المقيمون ) وقد قال أبو حيان في تفسيره: " انتصب المقيمون على المدح، وارتفع (الموتون) أيضا على إضمار، وهم، على سبيل القطع إلى الرفع ولا يجوز أن يعطف على المرفوع قبله، لأن النعت إذا انقطع شيء منه لم يعد ما بعده إلى إعراب المنعوت، وهذا القطع لبيان فضل الصلاة والزكاة، فكثير الوصف بأن جعل في جمل، وقد قرأ ابن جبير وعمر بن عبيد والجاحدري، وعيسى بن عمر ومالك بن دينار وعصمة عن الأعمش ويونس وهارون عن أبي عمرو و ( المقيمون ) بالرفع ... وذكر عن عائشة وأبان بن عثمان أن كتابتها بالياء من خطأ كاتب المصحف، ولا يصح عنهما ذلك لأنهما عربيان فصيحان"<sup>3</sup>.

وقال الزمخشري : " نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع، وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناء في خط المصحف، وربما التفت إليه من ينظر في

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 162.

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، ج2، ص 63.

<sup>3</sup> أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، ص 411.

الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام، وذبح المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة يسدها من بعدهم، وخرقا يرفوه من يلحق بهم<sup>1</sup>.

أما سيبويه فقد نصب (المقيمين) على المدح والتعظيم. فالملاحظ أن سيبويه لا يذهب في إعراب محل الشاهد على النصب (المقيمين) على الاختصاص كما ذهب أبو حيان، ولكنه يذهب مذهبا تداوليا فيختار الإعراب عن التعظيم والمدح لأن المقام مقام ثناء على المؤمنين<sup>2</sup>.

ويقول سيبويه في باب ( ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه ) "... وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصبا : ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةٌ لِحَطَبٍ ﴾<sup>3</sup>، لم يجعل الحمالة خيرا للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكر حمالة الحطب، شتما لها، وإن كان فعلا لا يستعمل إظهاره<sup>4</sup>.

فقراءة (حمالة الحطب) بالنصب على الشتم، استحبتها الزمخشري، وهناك من قرأها بالتونين بالرفع والنصب<sup>5</sup>.

فحمالة بالرفع " في قراءة الجمهور خبر مبتدأ محذوف، أو صفة لامرأته، لأنه مثال ماض فيعرف بالإضافة. وفي قراءة النصب انتصب على الدم، وأجازوا في قراءة الرفع أن يكون (وامرأته) مبتدأ (و) حمالة ) واسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان فإذا كان هذا لقبها لها جاز فيه حالة الرفع أن يكون عطف بيان وأن يكون بدلا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 178.

<sup>2</sup> إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، ص 251.

<sup>3</sup> سورة المسد، الآية: 04.

<sup>4</sup> سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 70.

<sup>5</sup> ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ج 6، ص 485.

<sup>6</sup> أبو حيان تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 527/ ينظر، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 5، ص 375.

فإعراب الشاهد النحوي ( حمالة الخطب )، بالنصب على الشتم، لأن مقام الآية مقام ذم وشتم، فالآية تتحدث عن زوجة أبي لهب أم جميل التي كانت تجمع الخطب والشوك وتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم، حيث جاء الإعراب مراعيًا لمقام الآية.

ونقل سيبويه شاهداً نحويًا آخر، يقول عروة الصعاليك العبسي:

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور<sup>1</sup>

فالشاهد النحوي هنا هو ( عداة ) فقد ذهب سيبويه في إعرابه النصب على الشتم، ولو رفع على القطع لجاز.

يقول سيبويه: " وإنما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين"<sup>2</sup>.

فسيبويه يذهب في توجيه هذا الإعراب على النصب مراعاة لمقام التلفظ وما استقر عند المخاطبين، فسيبويه في إعراب الشاهد لا يستند إلى الإعراب البنيوي السوري، بل يستند إلى وجهة تداولية تراعي المقام وفهم المخاطبين.

وقد ذهب مقبول إدريس إلى أن قول السيرافي شارح الكتاب: " وإنما تنصبه بإضمار أذكر، والذي يصيره مدحا وثناء شتما أو تقييحا قصد به المتكلم إلى ذلك، وربما قصد بقوله فلان فاضل وفلان شجاع إلى الهزء به، فانظر معي إلى هذا الحس التداولي الدقيق المتقدم فيما يرجح تخريج الكلام على الهزء باستحضار المعطى النفسي { القصد التكلمي } والمعطى السياقي { لفظ من يحاوره } والمعطى الموسوعي الثقافي { عادات كلام الناس } كلها مجتمعة لتفيد خرق مبدأ الكيف كما يقرر بول كرايس"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج2، ص 70.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 70.

<sup>3</sup> مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، ص 252.

فإعراب سيبويه في هذه الأمثلة " لا يستند إلى إعراب جاف معزول عن مستوى التداول، بل يستند بالأساس إلى استنباط الدلالة من خلال المقام وفهم المخاطبين، واستحضار الشروط التداولية لإنتاج وتأويل الخطاب"<sup>1</sup>.

وقد ذهب الأستاذ مسعود صحراوي أيضا إلى أنه: " لم يفصل جل نحاتنا القدماء بين المبنى والمعنى في التحليل النحوي (الإعراب)، بل كانوا يمارسون التحليل النحوي ولسان حالهم يقول، كما عبر عن ذلك ابن هشام: متى بني على ظاهر اللفظ، ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد. وجعلوا من قواعدهم المنهجية المقررة قاعدة تقول: (الإعراب فرع المعنى)، وكل هذا يعني أنهم درسوا اللغة دراسة وظيفية - تداولية"<sup>2</sup>.

ونشير أيضا في معرض حديثنا عن سيبويه إلى مسألة المقصدية فقد أصبح مصطلح القصد من الأسس التداولية التي اعتمدت عليها الدراسات اللسانية الحديثة، خاصة تلك التي تعنى بما يحيط بالملفوظ من ظروف وملابسات ومقام وقد راعاه نحاتنا القدماء في تحليلاتهم النحوية وارتبط هذا المصطلح عندهم بالمتكلم، فهو الغاية أو المعنى الذي يسعى المتكلم إيصاله إلى المخاطب، فالقصد أو الغرض قرينة تداولية كانت حاضرة في تحليلات سيبويه.

يقول سيبويه " ... وأما قولهم: من ذا خيرٌ منك، فهو على قوله : من الذي هو خير منك، لأنك لم ترد أن تشير أو تومئ إلى إنسان قد استبان لك فضله على المسؤول فيعلمك، ولكنك أردت من ذا الذي هو أفضل منك، فإن أومأت إلى إنسان قد استبان لك فضله عليه، فأردت أن يعلمك نصبت [خيرًا منك]، كما قلت : من ذا قائما كأنك قلت : إنما أريد أن أسألك عن هذا الذي قد صار في حال قد فضلك بها، ونصبه كنصب ما شأنك قائما"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مقبول إدريس، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م، ص 295.

<sup>2</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 175.

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 61.



فقد وظف سيوييه غرض المتكلم وقصده في اختيار الحركة الإعرابية الأنسب الرفع أو النصب، فإذا كان غرض المتكلم الإخبار رفع، وإذا كان غرضه الاستفهام نصب على الحال، فغرض المتكلم هو الذي يبين المعنى في الملفوظ ويحدد الوظيفة الإعرابية للفظة (خيرا).

وقد راعى القدماء أثناء اهتمامهم بالمخاطب كل ما يتعلق به كالفائدة وأمن اللبس، فلا شك أن المعنى الذي يريد المتكلم نقله إلى السامع يستهدف نقل غرض المتكلم إلى السامع دون أن يعتريه غموض أو إبهام، مما يعيق عملية التواصل فأمن اللبس هو مناط تحقيق الفائدة، ومراعاته تساهم بشكل واضح في الإبانة عن المعاني والأغراض، كما أن مبدأ الفائدة هو الغاية من الفهم والإفهام، فأمن اللبس كما يرى تمام حسان هو "الغاية القصوى للاستعمال اللغوي"<sup>1</sup>.

وللمتكلم في العربية مسالك متنوعة واستراتيجيات متعددة في التعبير والتواصل، فهو "يستعمل كل الوسائل ويسلك كل السبل التي من شأنها أن تزيل لبسا قد يشكل على المخاطب وقد أعانته على ذلك سعة اللغة العربية المعبرة بألفاظها وعلامتها ودلالاتها، فأسس قواعد النحو العربي تراعي هذا الجانب من أحوال المخاطب، لأن الهدف المنشود من اللغة العربية هو تحقيق الإفهام، والابتعاد عن اللبس"<sup>2</sup>.

كما لم يغب عن سيوييه سياق التواصل بعناصره (المتكلم، المخاطب، ظروف وملابسات التواصل) فالمتكلم والمخاطب هما الركيزة الأساسية في الدراسات التداولية، وبهما يتم التواصل ولذا يمكن أن نتصور عناصر السياق عند سيوييه كآتي:

- العنصر الذاتي: ويشمل كل من المتكلم و المخاطب ، وما يتعلق بهما من اهتمامات ورغبات ومقاصد.
- العنصر الموضوعي: ويشمل الظروف والملابسات الخارجية كالزمان والمكان.
- العنصر الدوائي: ويشمل المعرفة المشتركة بين أطراف العملية التواصلية. أو ما يسمى بالأرضية المشتركة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 34.

<sup>2</sup> بان الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2008م، ص 98.

<sup>3</sup> ينظر: مقبول إدريس، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه، ص 305.

ويمكن أن تتصور هذه العناصر في أمثلة كثيرة موجودة في الكتاب نأخذ منها على سبيل المثال قوله: في باب ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي: " وذلك كقولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيئة الحاج، فقلت مكة ورب الكعبة. حيث زُكِنَتْ أنه يريد مكة، كأنك قلت يريد مكة والله ... أو رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس قلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس، ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال، أو رأيت ضربا فقلت على وجه التفاؤل، عبد الله، أي يقع بعبد الله أو بعد الله يكون"<sup>1</sup>.

فيدل نص سيبويه على أن اختيار المتكلم لنظام ما أو لترتيب دون سواه يكون باعتبار الظروف والأحوال التي يكون عليها المخاطب، فالرؤية العينية للمخاطب كانت سبب صياغة المتكلم لهذا الملفوظ ليوائم تلك الحالة، فمثلا رؤية رجل يحمل متاع السفر في موسم الحج قاصدا مكة فهذا المشهد يوحي للمتكلم بأن هذا الرجل يريد أداء مناسك الحج لأن هيأته تدل على ذلك، فحذف المتكلم ما كان مشاهدا وكذلك عند رؤيته لقوم ينظرون إلى السماء وأعينهم تتربق ظهور الهلال فإذا تجلّى لهم كبروا فقال المشاهد لهذا الهلال والله، أي أبصروا الهلال فحذف المتكلم الفعل لدلالة الحال عليه<sup>2</sup>.

فالملفوظات ( مكة والله ) و ( القرطاس والله ) و ( الهلال والله ) حكمها الإعرابي النصب على المفعولية، بفعل محذوف وحذف الفعل لدلالة حال المخاطب عليه فالرؤية العينية للمخاطب، نابت عن الفعل، فلولا الرؤية العينية المخاطب لما كان هناك داعيا لحذف الأفعال، ولما كان هناك مسوغا للنصب على المفعولية.

فهذه التراكيب لا يمكن استحضارها إلا ضمن سياقاتها ومقاماتها التداولية، فهي " بنى ليست جامدة، ولكنها حية ومتداولة بين متكلم ومخاطب، يراعي فيها المتكلم ما يأخذ باهتمام مخاطبه، فيقدم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخير، ويوجز إن كان المقام يقتضي الإيجاز، ويطنب إذا كان المقام يقتضي الإطناب، ومثل هذه السمات المميزة لطبيعة الكلام كثيرة في الكتاب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج1، ص 257.

<sup>2</sup> ينظر: بان الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص 91.

<sup>3</sup> مقبول إدريس، الأسس التداولية والابستمولوجية للنظر النحوي عند سيبويه، ص 325.

ومن يعنى في النظر في مسألة اهتمام النحاة بالمخاطب وما يتعلق به " يجد أن نظرة النحاة له كشفت عن دلالات التواصل بين طرفي الخطاب وفق قوانين خاصة تعتمد في تفسيرها على التحليل التداولي للخطاب وظروفه. وهذا ما تلمسه واقعا في أثر علم المخاطب في توجيه الحالة الإعرابية، فالنحاة يوجهون تلك الحالات وفق قوانين الخطاب والتواصل حتى يصل المتكلم من غايته في توضيح مقصده، ويصل المخاطب إلى غايته في الاستفادة والفهم"<sup>1</sup>.

ويعتبر ابن جني أيضا من النحاة الذين احتفلوا بالمعنى وأولوه عناية فائقة، فقد تنبه هو بدوره إلى أهمية السياق التواصلية، وأثره في توجيه الخطاب ودلالاته وهو ما عبر عنه بالحال المشاهدة فيقول: " ألا ترى إلى قوله:

تقول . وصكت وجهها يمينها . أبعلي هذا بالرحى المتقاعس .

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس - من غير أن يذكر صك الوجه - لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكورة، لكنه لما حكى الحال فقال: ( وصكت وجهها ) علم بذلك قوة انكارها، وتعاضم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها. ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس المخبر كالمعاين... وليس كل حال تروى لنا، ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له، المقترنة . كانت . به . نعم ولو نقلت إلينا لم نغد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها... أولا تعلم أن الانسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له: يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل إلي أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه. فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه، وعلى ذلك قال:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من العداوة أو ود إذا كانا

<sup>1</sup> عمر أبو نواس، علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 7 العدد 2، نيسان 2011، ص 116.

ألا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلاً على ما في النفوس وعلى ذلك قالوا: ( رب إشارة أبلغ من عبارة ) وحكاية الكتاب من هذا الحديث وهي قوله ( ألا تا ، و بلى فا ) وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله ( أنا لا أحسن أن أكلم إنساناً في الظلمة )<sup>1</sup>.

فقد لمح ابن جني إلى أهمية الظروف والملابسات التي اكتنفت عملية التواصل والإبلاغ، باعتبارها تمثل السياق الذي جرى فيه التواصل إذ يقول: "... ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً، غير متهم الرأي والنحيظة والعقل"<sup>2</sup>.

فالكلام المتداول بين الناس عند ابن جني لا يكفي في التواصل وتبليغ المراد، بل يلزم المتكلم استحضار المخاطب والمقام والسياق ... إلى غير ذلك من القرائن التداولية التي تسهم في نجاح العملية التبليغية.

كما أن في حديث ابن جني الكثير من الإشارة إلى أطراف التواصل ( المتكلم والمخاطب ) إذ يقول: " وقد حذف المميز. وذلك إذا علم من الحال ( حكم ما ) كان يعلم منها به. وذلك قولك: عندي عشرون، واشترت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين. فإن لم يعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة. فإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز. وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم، وعليه مدار الكلام فاعرفه"<sup>3</sup>.

فهذه إشارة صريحة من ابن جني أكد من خلالها على أهمية قصد المتكلم كقرينة تداولية في توجيه دلالة الملفوظ. فإذا أراد المتكلم الإلغاز حذف التمييز (عندي عشرون)، وإذا أراد الإبانة ذكر التمييز

<sup>1</sup> أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، دت، دط، ج1، ص 245 - 246 - 247.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 248.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 378.

(عندي عشرون ديناراً) و " لكن قصد المتكلم هنا . كما أشار ابن جني . الإلغاز، ومن ثم خرج التركيب اللغوي من إطاره الملتزم بالقاعدة إلى اللغة في الاستعمال"<sup>1</sup>.

وقد سبق ابن جني علماء عصره حين تكلم عن نوع آخر من التواصل يتعلق بالمتكلم وأدائه وإشاراته التي تمثل جزء حيويًا من أجزاء سياق التلطف وتكون مسوغًا للحذف وتوجيه الوظائف النحوية، يقول ابن جني: " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها. وذلك فيما حكاها صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أن تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت ذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ ب ( الله ) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط الكلام وإطالة الصوت بها و ( عليها ) أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً... وتقول: سأله فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك..."<sup>2</sup>.

فالصفة حذفت في هذه الملفوظات لدلالة الحال عليها، فأداء المتكلم وإشاراته جزء من عناصر الحدث التلغظي. وطبعاً يتضح المقصود من الكلام اعتماداً على كفاءة المخاطب في إدراك المقصود من الكلام.

إن ما ابتدأه الخليل وسيبويه أكمله فيما بعد بعض النحاة واللغويين ليتوج عملهم هذا ببناء نظرية لغوية سياقية دلالية تداولية، تعبر عن وعيهم المبكر بأهمية تركيب الكلام على وفق السياق الذي يربطه بمقام استعماله.<sup>3</sup> وتجلّى ذلك في نظرية النظم التي يعد عبد القاهر الجرجاني رائدها، فقد حوى كتابي الجرجاني " دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة " عصارة الفكر اللغوي بما ضمن فيهما من قضايا لغوية أسست فيما بعد لمفهوم النظم.

<sup>1</sup> الفقي صبحي إبراهيم، التداولية عند ابن جني، دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص، مجلة الدراسات الشرقية، مصر، ع 39، 2007م، ص 237.

<sup>2</sup> ابن جني، الخصائص، ج2، ص، 370 – 371.

<sup>3</sup> ينظر: هادي نحر، علم الدلالة في التراث العربي، ص 286.

ومن يدرس كتاب "دلائل الإعجاز" يدرك أن الملمح التداولي موجود في هذا الكتاب بقوة، فقد بنى منهجيته في الكتاب على ملمح مقاصدي عني فيه بالمتكلم والمخاطب والسياق والمقام " فقد أكد الجرجاني على أهمية المقام وتأثير عناصره على المقال دلاليا وتركيبيا بل يجعل مزايا النظم بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام"<sup>1</sup>.

يقول الجرجاني بعد أن بين الفرق بين نظم الحروف والكلم: " والفائدة في معرفة هذا الفرق: أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توات ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل."<sup>2</sup> فهذه إشارة صريحة من الجرجاني إلى أهمية المعنى وعلاقته بالسياق.

فنظرية النظم تؤكد على أهمية المعاني النحوية ودورها في إيضاح المعنى ضمن أبعادها أو سياقاتها الخارجية التي تحيط بالموقف الكلامي، وتحدد مقاصد المتخاطبين وأحوالهم ومقاصدهم.

وقد ربط عبد القاهر الجرجاني معاني النحو بالنظم، وأكد على أهمية سياق التواصل وأثر مقصدية المتكلم في توجيه دلالات المعاني حيث يقول في هذا: "... وفساد هذا وشبيهه من الظن، وإن كان معلوما ظاهرا، فإن ها هنا استدلالا لطيفا تكثر بسببه الفائدة، وهو أن يتصور أن يعمد عامد إلى نظم كلام بعينه فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم له، ويفسدها عليه من غير أن يحول منه لفظا عن موضعه، أو يبدله بغيره، أو يغير شيئا من ظاهر أمره على حال"<sup>3</sup>.

ومثال ذلك قول أبي تمام:

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرِي الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

<sup>1</sup> عبد الحميد السيد، التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، ص 64.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص 50-51.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 243.

فالصياغة النحوية أو التحليل البنيوي الصوري يقتضي أن يكون (لعاب الأفاعي) مبتدأ و(لعابه) خبر هذا ما تطلبه القاعدة النحوية، فهذا التحليل يفسد على المتكلم والمتلفظ كلامه الذي أراد أن يقوله أو الصورة التي أراد أن يوصلها إلى المخاطب.

وقد ذكر ابن هشام الأشياء التي يعرف بها المبتدأ من الخبر، منها وجوب الحكم بابتدائية المقدم من الاسمين في ثلاث مسائل:

- أن يكونا معرفتين تساوت رتبتهما.

- أن يكونا نكرتين صالحتين للابتداء بهما.

- أن يكونا مختلفين تعريفا وتنكيراً والأول هو المعرفة<sup>1</sup>.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد بين خطأ هذا التحليل بمراعاة قصد المتكلم وغرضه في الكلام موضحاً الغاية أو الغرض الذي يسعى إليه أبو تمام وذلك: " أن يشبه مدار قلمه بلعاب الأفاعي على معنى أنه إذا كتب في إقامة السياسات، وكذلك الغرض أن يشبه مداده بأري الجني على معنى أنه إذا كتب في العطايا والصلوات أوصل به إلى النفوس ما تحلو مذاقته عندها، وأدخل السرور واللذة عليها، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان (لعابه) مبتدأ، و(لعاب الأفاعي) خبراً، فأما تقديره أن يكون (لعاب الأفاعي) مبتدأ و(لعابه) خبراً فيبطل ذلك، ويمنع منه البتة، ويخرج بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مراداً في مثل غرض أبي تمام، وهو أن يكون أراد أن يشبه لعاب الأفاعي بالمداد، ويشبه كذلك الأري به"<sup>2</sup>.

ففهم مراد المتكلم وقصده قرينة تداولية كان لها الأثر في تحديد الوظيفة النحوية الأنسب للتعبير عن مراد أبي تمام وهو تقديم الخبر وتأخير المبتدأ. فالمبنى في نظر الجرجاني تابع للمعنى.

<sup>1</sup> ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج5، ص، 359 - 360.

<sup>2</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 244.

ويقول الجرجاني أيضا: " واعلم أنه ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ وخبراً، ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فيه، فلم تعلم أن المقدم، خير حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبير. أنشد أبو علي في ( التذكرة ) :

تَمَّ وَإِنْ لَمْ أَنْمِ كِرَائِي كِرَاكَا      شَاهِدْ مِنْكَ أَنْ ذَاكَ كَذَاكَ

ثم قال: ينبغي أن يكون ( كراي )، خبراً مقدماً، ويكون الأصل ( كراك كراي ) أي تم وإن لم أنم، فنومك نومي... قد قدم الخبر وهو معرفة، وهو ينوي به التأخير من حيث كان خبراً.  
وقوله:

بنونا بنو أبائنا وبنائنا      بُنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ

فقدّم خبر المبتدأ وهو معرفة. وإنما دل على أنه ينوي التأخير المعنى، ولولا ذلك لكانت المعرفة إذا قدمت هي المبتدأ لتقدمها"<sup>1</sup>.

فالقاعدة النحوية تقتضي أنه إذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف والتكثير يكون الحكم على المقدم بالابتداء، ولكن هذا قد يتعارض وقصد المتكلم وهذا ما نبه إليه الجرجاني، فغرض المتكلم هو الذي اقتضى أن تكون ( كراي )، خبراً مقدماً، ويكون في تحليل البيت الثاني ( بنونا ) خبراً مقدماً، إذ المعنى أن بنى ابنائنا مثل بنينا، لا بنينا مثل بنى ابنائنا.

فالتحليل البنيوي يكون قاصراً إذا لم يراع المتكلم وقصده، ومن هنا يجب إعراب المؤخر مبتدأ مراعاة للمعنى، فالمراد تشبيه أبناء الأبناء بالأبناء لا العكس.

وفي نفس السياق نجد الجرجاني يحلل شاهداً نحوياً آخر على اعتبار قصد المتكلم ومنه " قول أب النجم:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي      عَلَيَّ ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ

<sup>1</sup> المصدر السابق نفسه، ص 245



يقول الجرجاني " قد حمّله الجميع على أنه ادخل نفسه من رفع ( كل ) في شيء إنما يجوز عند الضرورة من غير أن كانت به ضرورة . قالوا : لأنه ليس في نصب ( كل ) ما يكسر له وزناً أو يمنعه من معنى أرادته . وإذا تأملت وجدته لم يرتكبه، ولم يحمل نفسه عليه إلا الحاجة له إلى ذلك، وإلا لأنه رأى النصب يمنعه ما يريد. وذلك أنه أراد أنها تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة، لا قليلاً ولا كثيراً ولا بعضاً ولا كلاً. والنصب يمنع من هذا المعنى، ويقتضي أن يكون قد أتى من الذنب الذي ادعته بعضه... وإذا قد بان لك من حال النصب أنه يقتضي أن يكون المعنى على أنه قد صنع من الذنب بعضاً، وترك بعضاً، فاعلم أن الرفع على خلاف ذلك، وأنه يقتضي نفي أن يكون قد صنع منه شيئاً، وأتى منه قليلاً أو كثيراً"<sup>1</sup>.

فالجرجاني يذهب في تحليله للشاهد الإعرابي في هذا البيت على مراعاته لقصد المتكلم وغرضه، فالمتكلم وجد النصب يمنعه من التعبير عما في ذهنه فاستعاض عنه بالرفع الذي يفى بالغرض ويحقق المقصود، فالمعنى بالنصب على أنه فعل شيئاً من الذنب أما بالرفع فهو ينفي أن يكون فعل شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً، فغرض المتكلم هو الذي يوجه الحكم الإعرابي ويحدد المعنى المقصود.

وبالنظر إلى تحليلات الجرجاني وطروحات نجده يلتقي مع ما قدمته اللسانيات التداولية اليوم، فقد ربط النظم بالسياق والاستعمال، وتجلي ذلك من خلال حديثه عن الفروق والوجوه بين التراكيب والملفوظات ضمن السياقات المختلفة. فيقول: " وإذا عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجدها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"<sup>2</sup>.

ففي باب التقديم والتأخير يذهب الجرجاني إلى القول بأنه " باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه،

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص، 189 – 190.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 87.

ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان. واعلم أن تقديم الشيء على وجهين:

- تقديم يقال إنه على نية التأخير: وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدم على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد، وضرب عمرا زيد. ومعلوم أن ( منطلق ) و ( عمرا ) لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخرت.

- وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا. ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة: زيد المنطلق. وأخرى: المنطلق زيد. فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ...<sup>1</sup>

ثم يواصل الجرجاني حديثه موجهها سهام نقده إلى سابقه من النحاة ويخص بالذكر إمام النحاة سيبويه إذ يقول: " واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال ( صاحب الكتاب )، وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهماهم ويعنيانهم"<sup>2</sup>.

وقد وضع عبد القاهر الجرجاني الغاية من التقديم والتأخير حيث يقول " وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبما كان أهم؟ ولتنخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه. حتى إنك لترى

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 85-86.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 86.

أكثرهم يرى تتبعه، والنظر فيه ضرباً من التكلف. ولم تر ظناً أزرى على صحبه من هذا وشبهه، وكذلك صنعوا في سائر الأبواب...<sup>1</sup>.

يقول الجرجاني في قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾<sup>2</sup>.

وتتحلى لنا مقصدية التقديم والتأخير في تحليل الجرجاني لهذه الآية بقوله: " ففي تقديم اسم الله عز وجل معنى، خلاف ما يكون لو أخرج، فتقديم اسم الله تعالى إنما كان لأجل أن الغرض أن يبين الخاشون من هم، ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم، ولو أخرج ذكر اسم الله، وقدم العلماء، لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشي من هو، والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء، وأن يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية، بل كان يكون المعنى أن غير العلماء يخشون الله تعالى أيضاً، إلا أنهم مع خشيتهم الله تعالى يخشون معه غيره"<sup>3</sup>.

يبدو أن هناك فرقا دقيقا حصل في المعنى من خلال تقديم المفعول به ( الله ) على الفاعل (العلماء) وقد حصل هذا التقديم والتأخير لغرض تداولي مقصود، يعبر من خلاله عن الدلالة المقصودة من الخطاب القرآني، وهذا ما عناه الجرجاني بقوله: الوجوه والفروق.

وبين الجرجاني أيضا ذلك في حديثه عن الاستفهام بالهمزة الفرق بين القول أنك إذا قلت " أفعلت " فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت " أنت "

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

<sup>2</sup> سورة فاطر: الآية: 28.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 227-228.

فعلت " فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو. وكان التردد فيه.<sup>1</sup> فبين الفرق بين المعنيين وذلك تبعاً للمقصد والغرض الذي يريده المتكلم.

فغاية التقديم والتأخير عند الجرجاني لا تتوقف على العناية والاهتمام بالمتقدم فقط ومن هنا " فإن الذي يسعى عبد القاهر الجرجاني إلى التنبيه إليه، في هذا النص، أن مزية التقديم والتأخير ليست محصورة في العناية بالمتقدم فحسب بل هي في كونه إجراءً مبنوياً اختيارياً يفتح على جملة من المعاني النحوية الدقيقة التي يجد فيها المتكلم ضالة البيان الكافي بما يحصل به التفاوت والتباين ويجد فيها السامع الفهم الدقيق والمتعة الرائقة"<sup>2</sup>.

فبعد القاهر لا ينظر إلى البنية التركيبية، بل إلى ما تؤديه من معاني وما يتوقف على ذلك من خفايا وأسرار لا تنجلي إلا بعمق النظر" ويبدو لنا أن إدراك عبد القاهر الجرجاني لسياقات التقديم والتأخير قائماً على نظرة عميقة إلى عنصرين قائمين في الصياغة، هما: الثابت والمتغير، يتمثل الثبات في تواجد أطراف الإسناد وما يتصل بها من متعلقات، أما المتغير فيتمثل في تحريك بعض هذه الأطراف من أماكنها الأصلية التي اكتسبتها من نظام اللغة إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل، كما يتمثل هذا التغيير أحياناً في تثبيت أحد الأطراف في مكانه الأصلي وإعطائه حتمية يمتنع معها نقله أو تحريكه، وهذا يمثل تغيراً، لأن اللغة العربية لا تلتزم بحتمية في ترتيب أجزاء جملها"<sup>3</sup>.

إن القواعد النحوية العربية مستخلصة من الاستعمال اللغوي والتداول، فهي قامت بشكل أساسي على أساس التواصل بين المتكلم والمخاطب وترسخت في أذهانهم، ولم تكن تحليلاتهم بمعزل عن السياق الكلامي.

ولذا يمكن القول أن " العملية اللغوية قامت في أساسها على مدى استيعاب المخاطب لما يتلقاه من محدثه الذي يحرص على إيصال رسائله الإبلاغية في ظروف تكفل لها النجاح بعيداً عن اللبس أو الغموض أو التوهم، وهذه الأهداف شكلت المعيار الأسمى بالنسبة للنحاة العرب الذين تعاملوا مع النظرية

<sup>1</sup> ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 111.

<sup>2</sup> الطيب دبة، خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، ص 211.

<sup>3</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة الأسلوبية، ص 333.

النحوية وفق صيغها التداولية الجوهرية التي تكشف عما يدور في أذهانهم من معان عميقة غير سطحية تؤدي غرضها المقصود للمخاطب، ولولا إدراك المتكلم أن المخاطب يعلم ويتفهم المقصود لما نجحت العملية التواصلية ولما أدى الكلام غرضه المقصود"<sup>1</sup>.

فالنحاة العرب لم يكونوا يعيدون في طروحاتهم اللغوية عما تنادي به الدراسات التداولية والوظيفية من خلال معالجتهم لكثير من القضايا التي تعد من صلب النظرية التداولية، كالاهتمام بالمتكلم والمخاطب والسياق والمقام... فهذه الأسس وعما نحاتنا وأدركوا أهميتها وأثرها في توجيه المعنى ودلالات الخطاب، ونجاح عملية التواصل والإبلاغ.

والنظرية النحوية العربية مأخوذة من الاستعمال والتداول، وروعي فيها الأبعاد التداولية والوظيفية، فالنظام اللغوي العربي نظام تواصلية مرنة تتميز بسعة ألفاظه ودلالاته وتكيفه مع مختلف المعطيات اللغوية، مما منح المتكلم والمخاطب الكثير من الاستراتيجيات والوضعيات للتواصل والتفاهم.

وقد اقتصرنا في بيان ذلك على أخذ أمثلة مما قدمه سيويه وابن جني والجرجاني، وتجاوزنا الكثير من النحاة الذين في كلامهم إشارة إلى هذا الجانب كابن هشام وابن الحاجب، لأن المقام لا يسع لذلك. وقد أخذنا نحن ذلك من باب التمثيل فقط.

<sup>1</sup> عمر محمد أبو نواس، علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، ص 106.

### 2/ الفكر التداولي عند البلاغيين:

إذا كانت التداولية هي علم استعمال اللغة وتعنى بكل من المتكلم والمخاطب، فإن البلاغة العربية لم تكن بعيدة عن هذا المفهوم إذ أنها العلم الذي يدرس العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمخاطب حتى حذا ببعضهم القول أن البلاغة العربية تداولية في صميمها. وإذا كانت التداولية علم استعمال اللغة، فإن البلاغة هي " المعرفة باللغة أثناء استعمالها. وبكلمة هي فن القول"<sup>1</sup> وهي أيضا "بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"<sup>2</sup>.

وإذا عدنا إلى التعريف السابق يمكننا القول أن هذا التعريف قد اشتمل على مجالين واسعين من مجالات التداولية:

الأول: وهو الفن وهو يتعلق بكل ما يتعلق بالذوق والاستخدام الشخصي للغة، أي الكيفيات التي يستخدمها المتكلم في التعبير عن غرضه و التأثير على المتلقي. أي علاقة اللغة بمستعملها.

الثاني: ويشمل الأداء الفعلي للغة، أي علاقة اللغة بواقع استعمالها.<sup>3</sup>

ولذا يمكن القول أن البلاغة العربية " في دراستها للخطابات المتنوعة قرآن وحديث وشعر وخطابة، اهتمت بتقديم توصيف لعناصر العملية التواصلية ( متكلم وسامع ورسالة ومقام ومرجع وحتى القناة التواصلية ) وفي إطار هذا التوصيف عنيت بمقاصد الخطاب وأحوال المتلقين له، وشروط الخطاب الناجع الذي يحقق الفائدة لدى المتلقي، والمؤشرات اللغوية وغير اللغوية المتحركة في ذلك، مما أكسب البلاغة العربية أبعادا لسانية وتداولية مهمة، تضمن لها التواصل المعرفي مع معطيات الدرس الحديث والمعاصر."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 154.

<sup>2</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، تح: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط1، 1982م، ص 69.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 154 - 155.

<sup>4</sup> باديس لهوبل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7،

2011م، ص 172.

فعلماء البلاغة كانوا على وعي كامل بأهمية أطراف الحديث وظروف وملابسات التواصل في توجيه الحدث الكلامي، وقد ظهر ذلك جليا في تحليلاتهم وذلك من خلال حديثهم عن قضايا من قبيل الخطابة والفصاحة وحديثهم عن مقتضى الحال، وتقسيمهم للكلام إلى خبري وإنشائي، وحديثهم أيضا عن الخبر وأضرابه وهذه كلها مسائل تظهر فيها السمات التداولية وإجمالاً يمكن القول أن البلاغة هي " أحسن ما يتناول إبراز العلاقات التداولية في اللغة، لأنها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته: اللفظية والتركيبية والدلالية، والعلاقات القائمة بينها"<sup>1</sup>.

فالبلاغيون كان لسان حالهم يقول: لا يمكن الحديث عن الملفوظ دون استحضار للموقف الكلامي الذي قيل فيه، ولا يمكن الحديث عن المقال دون ربطه بالمقام، ولذا يقول تمام حسان: "وإذا كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين بألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي: (المقام) و(المقال) باعتبارهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوفات التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة. وفكرة (المقام) هذه هي المركز الذي يدور حول الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي يتمثل في العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"<sup>2</sup>.

فالمقال عند البلاغيين يقابل مسمى السياق اللغوي في الدراسات اللسانية الغربية، وأما مصطلح (المقام) فيقابل مسمى سياق الموقف، وهذا إن دل إنما يدل على أن علماء البلاغة قد كان تحليلهم للمعنى ضمن السياق بنوعيه، وذلك باستحضارهم لجملة المفاهيم التي تعد من صميم البحث التداولي ك:

- دراستهم لمجال الترابط بين البنية والوظيفة.
- دراستهم للغة بعدها وسيلة تواصل وتبليغ وتعبير عن المقاصد والأغراض.
- اعتمادهم على مبدأ لكل مقام مقال.

<sup>1</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 154.

<sup>2</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337.

- اهتمامهم بعناصر الموقف الاتصالي ( المتكلم، والمخاطب، وظروف وملابسات التخاطب )
- دراستهم للأساليب الخبرية والانشائية، وخروجها عن دلالاتها الحقيقية إلى دلالات أخرى يقتضيها المقام والموقف السياقي.

- دراستهم لمجموعة من الوظائف، كالتخصيص، والتقييد، والتوكيد دراسة تداولية.<sup>1</sup>

وقد أولى البلاغيون المقام أهمية كبرى وذلك بقولهم في عبارتهم الشهيرة "لكل مقام مقال" وقولهم "مطابقة المقام لمقتضى الحال" لما في ذلك من أثر على التواصل وعملية الفهم والافهام إذ يقول الجاحظ: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"<sup>2</sup>.

فقد بين الجاحظ أن الغاية من التخاطب هي الفهم والإفهام ليين حقيقة مفادها أن اللغة تستعمل في التخاطب للتعبير عن الأغراض والمقاصد، وفي هذا إشارة إلى الوظيفة التداولية للغة، فالجاحظ أكد على أن اللغة استعمال، ونلمس ذلك في قوله: " وإنما يحى تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها. وهذه الخصال هي التي تقرها من الفهم، وتحليلها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا، وهي التي تلخص الملتبس... وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجح."<sup>3</sup> فالجاحظ بين أنه كلما كان البيان أوضح وأفصح كان التخاطب أنجح وأنجح، "وضرورة استعمال المعاني، بالإخبار عنها واستعمالها بما يضمن الفهم ويوضحه للسامع، يكون بالتركيز

<sup>1</sup> باديس لهو، التداولية والبلاغة العربية، ص 170 - 171.

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998م، ج1، ص 76.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 75.



على ضرورة إفهام المخاطب ، وإبلاغه محتوى رسالته التَّخاطبِيَّة . وهذا جوهر التَّداولِيَّة . كما يشترط "الجاحظ" أن يكون استعمال المعاني مفيداً ومحققاً لقصد المتكلم أي فيه منفعة<sup>1</sup>.

كما يمكن أن نلمس الملمح التداولي عند الجاحظ في تركيزه على الملفوظ و المكتوب . أي التواصل الشفوي . وإشارته إلى أنواع أخرى من التواصل بقوله: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بئنة، من صورة صاحبته، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقذارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعمما يكون منها لغوا بمرجا، وساقطا مطرحا"<sup>2</sup>.

فالبلاغيون" انطلقوا من النظر إلى التراكيب على أساس (موافقة الكلام لمقتضى الحال) أو من مقولة (لكل مقام مقال) وقد أكد عبد القاهر الجرجاني في أكثر من موضع على أهمية المقام وتأثير عناصره على المقال دلاليا وتركيبيا، بل يجعل مزايا النظم بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام.<sup>3</sup> ويضرب مثلا لذلك يبين من خلاله الفروق بين التراكيب في قوله: "ومن فروق الإثبات أنك تقول: (زيد منطلق) و(زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي. وأنا أفسر لك ذلك. اعلم أنك إذا قلت: (زيد منطلق) كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقا كان، لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء. وإذا قلت زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف أن انطلاقا كان، إما من زيد وإما من عمرو، فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره، والنكته أنك تثبت

<sup>1</sup> ينظر: منادي محمد الحبيب، الجهود التداولية للجاحظ بين سبق التأصيل وضعف التفعيل، ص 06.

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 76.

<sup>3</sup> عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص 127.

في الأول الذي هو قولك: (زيد منطلق) فعلا لم يعلم السامع من أصله أنه كان، وتثبت في الثاني الذي هو (زيد المنطلق) فعلا قد علم السامع أنه كان، ولكنه لم يعلمه لزيد. فأفدته ذلك"<sup>1</sup>.

فقد ربط الجرجاني بين بنية المقال والمقام مبينا ذلك الفرق الدقيق بين التركيبين من خلال مراعاته لمقصدية المتكلم وإفادة السامع، والغرض الذي ينبئ به كل تركيب، فالبلاغي "ينظر إلى التراكيب على أساس صورتها الظاهرة المنجزة في إطار من التفاعل بينها وبين مقتضيات المقام"<sup>2</sup>.

كما أن البلاغي لم يهتم بطرفي التخاطب فقط بل اهتم أيضا بظروف وملابسات التخاطب وأحواله، وهذا يدل على أن وعي البلاغيين الدقيق بهذه العناصر قادهم إلى اعتبار أن اللغة "ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأن هذه الثقافة يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها مقاما، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف"<sup>3</sup>.

وإذا كانت "التداولية العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منتظم مما يطلق عليه سياق النص، ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (بمقتضى الحال) وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية (لكل مقام مقال)"<sup>4</sup>. ومن هذا المنطلق يمكن القول أن البلاغة العربية هي "التأثير المتبادل بين مرسل ومتلقي في حالة حضور أو غياب، باستعمال للأدلة اللغوية، مطابق لمقتضى المقام والمقال"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، ص 177-178.

<sup>2</sup> عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص 129.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 135.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 138.

وإذا كانت التداولية<sup>1</sup> تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به أي للعلاقة بين النص والسياق<sup>1</sup>. فإن البلاغة كذلك.

فالبلاغة العربية تلتقي مع التداولية في أن كليهما يهتم بالتخاطب والتواصل ويسعى إلى تحقيق جملة من الشروط التي إذا تقيدها المتكلم عبر عما في نفسه وحصلت الإفادة والإقناع للمتلقي.

---

<sup>1</sup> صلاح فضل، البلاغة وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م، ص 20.

### 3/ الفكر التداولي عند المفسرين:

لم يكن المفسرون أيضا بعيدين عن المنهج التداولي في تحليلاتهم وفي تعاملهم مع الخطاب القرآني، فقد تناولوا الخطاب القرآني وأخضعوه لمعايير وأسس تعد اليوم من صميم البحث التداولي، كالسياق مثلا وأسباب النزول، وأيقنوا أنه لا يمكن الوصول إلى دلالات ومقاصد الخطاب القرآني إلا باستحضار جملة من القرائن اللفظية والمعنوية، والآليات والأدوات اللغوية، وهذا ما يدل على وجود أبعاد تداولية أخذت بعين الاعتبار في تفسير النص القرآني.

فقد تنبه المفسرون إلى أنه لا يمكن الفصل بين النص القرآني وسياقه الذي يعين " على فهم المعاني الملبسة في الآيات القرآنية. وقد يتمثل هذا السياق عندهم في معرفة أسباب النزول، الذي قد يفيد التخصيص أو قد يزيل الإشكال، وقد يعني التعالق والترابط بين الآيات، وقد يتمثل السياق لدى المفسر في نسق الآيات وما يصل بينها من روابط كالعطف والمضادة التي تظهر في ذكر الرحمة بعد العذاب، أو الرغبة بعد الرهبة، أو حسن التخلص، وهو الانتقال من مقام إلى آخر من غير شعور بالانقطاع، وترتيب الآيات"<sup>1</sup>.

فالمفسرون اشتغلوا على السياق بنوعيه السياق اللغوي المتمثل في العلاقات اللغوية والتركيبية، وسياق الموقف الذي تمثل عندهم في أسباب النزول، كما أنهم تعاملوا مع النص القرآني باعتباره بنية متكاملة لا يمكن الوصول إلى الغرض المقصود منها إلا باستحضار جملة القرائن المكونة للموقف الكلامي.

وعلى سبيل المثال فالإمام الشافعي من الأوائل الذين تكلموا عن السياق فقد أشار إليه بقوله: "إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان ما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما حوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو

<sup>1</sup> خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص 129.

وسطه أو آخره. وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره. وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"<sup>1</sup>.

فجهود المفسرين تنم على أن دراساتهم وتحليلاتهم وظيفية تداولية فقد " استأنثروا بفهم طرق تأليف اللفظ ووجه استعمال الكلام، وبفهم لمقاصد الخطاب وسياقه وأغراضه كما بحثوا في المعنى وأنواعه، ومن هذه الزوايا ينخرط الخطاب التفسيري في مقولات التواصل/الحوار / المعنى / التأويل / وهي مفاهيم لا ينفك الدرس التداولي يثريها"<sup>2</sup>.

وبناء على هذا الكلام نقر بأن المفسرين قد أدركوا أهمية القيمة التواصلية التي يحملها الخطاب القرآني، فهو عندهم خطاب مرسل من الله سبحانه وتعالى إلى عباده عبر قناة للاتصال وهي اللغة، بهدف تغيير المعتقد وإحداث تغيير في حياة المخاطبين.<sup>3</sup> وهذا ما يدل على اهتمام المفسرين ببيان " العلاقات التداولية الحاصلة بين آيات القرآن الكريم، متجاوزة أو متباعدة، ومن هذه العلاقات نذكر: التفسير والبيان"<sup>4</sup>.

فالمفسرون كانوا يدركون أنه لا يمكن الوصول إلى دلالة الآيات القرآنية إلا باستحضار القرائن الحالية والمقالية التي تمثل السياق بنوعيه المقامي والمقالي.

ومن بين القضايا التي طرحها المفسرون ويمكن أن تدخل ضمن الطرح التداولي قضية المكي والمدني التي لها علاقة مباشرة بالمخاطب وبزمان الخطاب ومكانه، ويتوقف عليها تحليل الخطاب، فالخطاب المدني موجه لأهل المدينة، والخطاب المكي موجه لأهل مكة، كما لا يمكن أن نغفل عن العلاقات الاجتماعية التي تميز المجتمع المكي عن المجتمع المدني، " فسياق الحال بين مكة والمدينة مختلف، فأهل مكة قبل الفتح كانوا كافرين جاحدين بنبوة الرسول (ص)، وأهل المدينة مؤمنون به مصدقون برسالته، فأقتضى حال

<sup>1</sup> محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 52.

<sup>2</sup> بومنقاش الرحوني، الضوابط التداولية للنص الديني، التفسير أنموذجا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسة، الرباط، ص 06.

<sup>3</sup> ينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني، ص 249.

<sup>4</sup> هادي نحر، علم الدلالة في التراث العربي، ص 273.

الرسول مع أهل مكة تسليته وتثبيتته على الدعوى بذكر ما لقيه الأنبياء قبله الذين أرسلوا إلى الأمم السابقة من العنت والمشقة والعناد مع أقوامهم ... بينما حال أهل المدينة مقتضيا تبعا لإيمانهم وتصديقهم قبول أمور التشريع في العبادات والمعاملات<sup>1</sup> ولذا وضع المفسرون بعض السمات التي تميز الخطابين عن بعضهما البعض:

- سمات الخطاب المكي:<sup>2</sup>

- اثبات العقائد
- الرد على المشركين.
- الاهتمام بذكر قصص الأنبياء السابقين.

- سمات الخطاب المدني:

- بيان الأحكام التشريعية.
- الرد على اليهود والنصارى.
- كشف المنافقين وذكرهم.
- بيان الفتاوى الشرعية وذكر غزوات النبي ( ص )

فالفرق بين الخطابين المكي والمدني فرق خطابي أساسا يعتمد على الموضوعية التي تعتمد بدورها على الأحوال المكانية والزمانية في المسموع مكان أو زمان نزوله، وفي هذا إشارة عميقة لسياقي النص والموقف عند المفسرين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص 115.

<sup>2</sup> ينظر: محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، مج2، ص 204.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 115.

كما لم يغفل المفسرون عن الإشارة إلى أهمية المكي والمدني في بيان دلالات الخطاب القرآني وتوجيهها فينبغي على المفسر أن " يعرف المكي من المدني ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره"<sup>1</sup>.

وقد تكلم المفسرون أيضا عن أسباب النزول التي تقابل سياق الحال والمقام، إذ بينوا أهمية المقام في توجيه الدلالة المقصودة من الخطاب فالخطاب القرآني " يأتي في الغالب مجردا ليحكم على حياة الناس كلهم، ويحمل في طياته أمرا أو نهيا يتجاوز زمان نزوله، وملابسات ذلك أيضا، بينما يرد سبب النزول حاملا صورة واقعية تصلح لأن يحكم النص عليها وعلى أمثالها، ولا يغفل سبب النزول ملابسات الواقعة وما ترتبط به من بيئة وزمان مما يسهل إدراك الحكمة التي جاء النص ليراعيها ويتعاهدها في صورة الأمر أو النهي المجرد."<sup>2</sup> فسبب النزول بيان للأحداث والملابسات التي تحيط بالخطاب القرآني.

كما أن سبب النزول يبين أيضا " حال المخاطب وواقعه الذي نزل القرآن ليعالجه ... ولا تقتصر أحوال الخطاب على معرفة حال المخاطب، بل يدخل في ذلك حال المخاطب نفسه وحال الخطاب من جهة كونه خطابا دون أن ينسب إلى قائله. ولا شك أن سبب النزول يبين حال المخاطب وما يلابسه من واقعه أو سؤال أو نحو ذلك وكذلك حال المخاطب من كونه راضيا أو سائحاً عن المخاطب أو عن الواقعة أو السؤال، فإن ذلك كله يعبر عن حال المخاطب، وهو لا يرب يساهم إلى حد كبير في إدراك بلاغة النص النازل، وتدوق مناسبة ألفاظه، وقدرتها في أداء الرسالة المرجوة من نظمها"<sup>3</sup>.

فمعرفة سبب النزول والمكي والمدني تعتبر قرائن تداولية يستحضر من خلالها السياق والمقام والمتكلم والمخاطب والزمان والمكان، فهذه المفاهيم تسهم بشكل كبير في بيان المقصود من الخطاب القرآني وبيان

<sup>1</sup> محمد إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، مج 2، ص 208.

<sup>2</sup> عماد الدين محمد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، دار الشهاب، 1999م، ص 42.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 58.

معانيه ودلالاته وأحكامه. فالمفسرون " من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق واستعانوا به وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد للشارح الحكيم".<sup>1</sup> فحللوا النص القرآني باستحضارهم للسياق اللغوي فدرسوا النص من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، ثم تناولوا الشق الآخر من السياق وهو سياق الحال أو المقام وهو الذي يتجلى فيه الجانب التداولي فوقفوا على القرائن والأحوال والملازمات المرتبطة بالنص القرآني، فلا مجال عندهم للفصل بين السياقين لأنهما معا يسهمان في وضوح الدلالة والمعنى.

وإجمالاً لما سبق يمكن القول أن حديث المفسرين عن أسباب النزول والمكي والمدني وأطراف التخاطب هي قضايا تعد من صميم البحث التداولي، وقد استثمرها المفسرون كآليات في تحليلهم للنص القرآني وقدموا من خلالها طروحات تجاوزت ما قدمه المحدثون في ميدان تحليل الخطاب ولسانيات النص اليوم.

<sup>1</sup> ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص 103.



### 4/ الفكر التداولي عند الفقهاء والأصوليين:

لقد كانت جهود الفقهاء والأصوليين امتداد لما قدمه أقرانهم في ميدان البحث في النصوص الدينية وما يتعلق بها من أحكام، فقدموا في طروحاتهم وتحليلاتهم الكثير من الآليات التداولية التي اتخذوها كأدوات لاستنطاق النصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها فالطرح الأصولي "جزء من منوال بياني عام وصل في مرحلة زمنية متأخرة نسبياً من العطاء العلمي للحضارة العربية الإسلامية إلى صياغة يكمل فيها بعض العلوم ومنها النحو والبلاغة وبعض العلوم الأخرى كالأصول والكلام والمنطق، وقد عبر الأصوليون قديماً عن هذا الترابط بالعلوم الأخرى، فأسموه بالاستمداد، فرأوا بأن علم الأصول يستمد من ثلاثة علوم هي: علم الكلام والعربية والأحكام الشرعية"<sup>1</sup>.

وعلى سبيل المثال فعلماء الأصول قد استفادوا من "علم المعاني ووظفوا معطياته واستثمروها في دراسة النصوص الشرعية، ولا سيما القرآنية، وكان ذلك ضمن الرؤية التداولية، وقد عادت تلك الممارسات التطبيقية بفائدة علمية معتبرة على علم المعاني نفسه، فقد خدمت مساهمات أصحاب هذا العلم، أعني الأصوليين، هذا الفرع البلاغي وعمقت مفاهيمه ووسعت آفاقه"<sup>2</sup>.

فالملاحظ أن الأصوليين كانوا للمنهج التداولي أقرب من النحاة، فقد تميزت دراستهم بالاستقصاء والدقة والشمولية، فكان فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعماله وإدراك مقاصده وأغراضه، وبجثهم لظاهرة الأفعال الكلامية، ومراعاتهم لأطراف التخاطب والسياق كلها مفاهيم تؤكد على دقة منهجهم<sup>3</sup>.

فوعي الأصوليين بأهمية العملية التبليغية "من خلال نموذج متميز هو القرآن، ذلك أن كامل عناية الأصوليين كانت منصبه على إبراز خصوصيات الإعجاز النصي، وكيفية تلقي المكلفين للآيات القرآنية،

<sup>1</sup> محمود طلحة، منوال الأصوليين في تحليل الخطاب، دراسة في المبادئ التداولية، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، ط1، 2013م، ص 40 - 41.

<sup>2</sup> مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، العدد 10، الأغواط، ص 186.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

بوصفها جملة من الأفعال القابلة للإنجاز والعمل وهم بذلك يجيبون عن السؤال الذي أثار المحدثين حول كيفية تحويل القول اللساني إلى فعل منجز حقيقة<sup>1</sup>.

والأصوليون في دراستهم ربطوا اللغة بواقعها الاستعمالي التواصلية وذلك من خلال ربطهم بين المقال ومكوناته والمقام التخاطبي، وهذا من خلال رؤيتين مركبتين هما:

الأولى: تتمثل في مباحث الدلالة اللفظية، وقضايا الدليل والاستدلال، إذ جاءت رؤيتهم للعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر، والنص والظاهر، ولحن الخطاب ومفهوم المخالفة، أكثر ثراءً وغنى من طرح سائر اللغويين لها.

الثاني: يتمثل في جملة من المسائل النحوية المتصلة بالدلالة التركيبية، أو ما يمكن تسميته بنحو المعاني<sup>2</sup>.

ويمكن القول في هذا السياق أن الأصوليين " من هذه الجهة التداولية قد استأثروا بالبحث فيما فرط فيه كثير من النحاة، وذلك من جراء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعمالاته وإدراك مقاصده وأغراضه، وما يطرأ عليها من تغيير ليؤدي معاني متعددة، ومن ذلك بحثهم في ظاهرة الأفعال الكلامية ( ضمن نظرية الخبر والإنشاء)، وكمراعاة قصد المتكلم وغرضه، وكمراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي، وتحكيمة في الدلالات"<sup>3</sup>.

أما فيما يخص نظرية الأفعال الكلامية فقد بحثوها ضمن نظرية (الخبر والإنشاء) عند العلماء العرب، وكانت غايتهم من ذلك الوصول إلى الدلالات والأغراض التواصلية التي توحى بها العبارات في النص الشرعي للوصول إلى الأحكام الشرعية، كما أن عملهم هذا قادهم إلى وضع واكتشاف أفعال كلامية

<sup>1</sup> نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشرة، العدد 54، 2008م، ص 121.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 128.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 82.

فرعية جديدة منبثقة عن الأفعال الكلامية الأصلية، لم يتعرض لها المعاصرون<sup>1</sup>. فالمنهج الاستقرائي التحليلي مكن الأصوليين من استنباط الأغراض التي تنبئ بها الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني.

فقد أدرك الأصوليون أهمية الفعل الكلامي باعتباره المحرك الأساسي للعمل التخاطبي، كما هو الحال في الدرس التداولي الحديث.

كما استحضروا الأصوليون السياق في تحليلاتهم وكانوا على "قناعة بمحدود الإطار العام للنص القرآني، ولذلك أسسوا قواعد تساعد على فهم القرآن، وتدبره: مثل ثنائيات: العام والخاص، المطلق والمقيد، الجمل والمفصل،..."<sup>2</sup>.

وقد ذهب ابن القيم إلى أن "السياق يرشد إلى تبين الجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"<sup>3</sup>.

وقد اعتمد الأصوليون مجموعة من المبادئ التداولية في فهمهم للخطاب القرآني لعل من أهمها:

- لا يمكن فهم النص دون استخدام القدرات العقلية للمخاطب، لأن اللغة مؤسسة على أمور مشتركة بين المتخاطبين مثل المعارف الإدراكية والأعراف اللغوية والاجتماعية وغيرها.

- اللغة عند الأصوليين نظام من الدلالات، وليست نظاما من العلامات كما هي عند اللغوي دي سوسير وأتباعه، وذلك أن الأصوليين أعادوا تعريف "ثنائية الوضع والاستعمال" وضبطوا العلاقة بينهما وأعطوا الأسبقية للاستعمال.

<sup>1</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 132.

<sup>2</sup> مسعود صحراوي، تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مجلة الآداب واللغات، العدد 07، جوان 2011م، جامعة الأغواط، ص 82.

<sup>3</sup> ابن القيم، بديع الفوائد، م4، ص 1314.

- الاعتماد على السياق في فهم المعنى، ولا يعد المرء متكلماً بنطقه كلمة واحدة معزولة عن السياق المعرف لمراده، ولا بد من معرفة المتكلم وعاداته التخاطبية وغير ذلك مما يخصه، فكل هذا يسهم في بيان مراده.<sup>1</sup>
- اهتمامهم بدراسة القرائن الحالية المتمثلة في أسباب النزول والمواقف الملازمة لنصوص الحديث الشريف.
- تقسيمهم الألفاظ إلى عام وخاص ومشارك، والنص على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصه، وقد يخرج اللفظ من العموم إلى الخصوص.<sup>2</sup>

ولعل النظر إلى بعض الشروط التي وضعها الأصوليون في تعاملهم مع النص القرآني تؤكد على أن هذا البعد كان حاضراً في أذهانهم فاشتروا شروطاً منها:

- ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.
- ألا يغفل عن السنة النبوية في تفسيره.
- أن تعرف أسباب نزول الآيات.
- أن تعرف النظم الاجتماعية عند العرب.<sup>3</sup>

فغاية الأصولي ليس أسلوب النص، وإنما مراد المتكلم من النص أهو الأمر أو الوجوب أو التخيير ويكون ذلك باستحضار المقام والزمان والمكان والعلاقات الاجتماعية والظروف الملازمة للخطاب فقد "يكون طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة، ثم إن كان نصاً لا يحتمل كفى معرفة اللغة وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ. والقرينة إما لفظ مكشوف كقوله تعالى ( وآتوا حقه يوم حصاده ) والحق هو العشر، وإما إحالة على دليل العقل كقوله تعالى ( والسماوات مطويات بيمينه ) ... وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، ص 83.

<sup>2</sup> هادي نحر، علم الدلالة في التراث العربي، ص 274.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 275.

ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بدركها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد أو توجب ظنا، وكل ما ليس له عبارة موضوعة في اللغة فتتبع فيه القرائن...<sup>1</sup> فمعرفة قصد المتكلم أو الشارع لا تتأتى إلا بالقرائن الحالية و المقالية التي تعتبر أداة مهمة لمعرفة قصد المتكلم الذي يعتبر قرينة تداولية لم يغفل عنها علماء الأصول قديما. يقول ابن القيم " من عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة أو كتابة أو بإمارة، أو دلالة عقلية أو قرينة حالية أو عادة مطردة لا يخل بها"<sup>2</sup>.

ويذهب الإمام الشاطبي أيضا إلى أن الأساس في دراسة الخطاب هو الوصول إلى المقاصد التي ينبنى عليها هذا الخطاب حيث يقول: " أن يكون الاعتناء بالمعاني المبتوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود، ولا أيضا كل المعاني، فإن المعنى الإفرادي قد لا يعبأ به إذا كان المعنى التركيبي مفهوماً دونه..."<sup>3</sup>.

فالأصوليون لم يتعاملوا مع بنيات النص القرآني باعتبارها بنيات مجردة معزولة عن سياقها الاستعمالي، بل تجاوزوا ذلك إلى الاحتفال بالمعنى، والتعامل مع النص القرآني باعتباره خطابا مفتوحا على مفاهيم وأسس لسانية خارجية تبرز سماته وخصائصه، ثم إن هذا المبدأ جعلهم ينطلقون من واقع اللغة الاستعمالي الذي يجعل من النص القرآني في نظرهم خطابا إنجازيا منجز في مقام معين موجه إلى مخاطب معين لأداء غرض تواصلية معين، ولعل هذا ما جعل غاية علماء الأصول الوصول إلى مقاصد وأغراض

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط1، 1333هـ، ج1، ص 339.

<sup>2</sup> ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، 1987م، ج1، ص 218.

<sup>3</sup> الشاطبي، الموافقات، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1997م، ج2، ص 138-139.

الشارع الحكيم من النص القرآني ضمن سياقات الكلام المختلفة. فالكلام أو الخطاب " ينبنى على قصدين: أحدهما يتعلق بالتوجه إلى الغير، والثاني يتصل بإفهام هذا الغير"<sup>1</sup>.

فالأصوليون يلتقون مع التداولية اليوم في نقاط عديدة من خلال معالجتهم لكثير من القضايا بدء من تأكيدهم على أهمية اللغة كوسيلة إجرائية للوصول إلى الأغراض والمقاصد وتحليل الخطابات، واهتمامهم أيضا بدلالات الخطاب ومقاصده، ومنشئه ومتلقيه، واستحضارهم للسياق والمقام من خلال ربطهم للنصوص بسياقاتها ومقاماتها... فكل هذه المفاهيم والإجراءات لم تغب عن الدرس الأصولي، وهذا إن دل إنما يدل على الدقة وبعد النظر ونضج العقل الأصولي. الذي سبق في كثير من القضايا النظرية اللسانية اليوم.

وفي ختام هذا الفصل لا يسعنا إلا القول أن جهود علمائنا القدماء من نحاة وبلاغيين ومفسرين وأصوليين هي جهود جبارة كشف من خلالها هؤلاء عن براعتهم ونضج فكرهم وجودة قريحتهم، ودقة منهجهم فأسسوا لدرس لغوي كان له السبق في كثير من القضايا اللغوية التي طرحتها النظريات اللسانية الغربية اليوم.

وإن كان هناك اختلافا بين هؤلاء في المنهج والطروحات فهذا لا يعني أن هناك تقاطعا بينهم " فأعمالهم يكمل بعضها بعضا، وليس أدل على ذلك من أن البلاغيين أخذوا عن النحويين أهم أصل من أصول النحو، وهي مقولة (الأصل) ... وهذا ما يدعو إلى ضرورة التخلص من مبدأ الاستقلالية في الدرس اللغوي، والنظر إلى أعمال هؤلاء بهدف استصفاء نظرية لغوية تعنى بالتركيب منظورا إليها من وجهة تداولية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 214.

<sup>2</sup> عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات التداولية، ص 154.

فهذه الجهود إذا جمعت وخضعت للدراسة الجادة وللتمحيص يمكن أن تسهم في تأسيس نظرية لسانية عربية لها جذور ضاربة في عقب الأصالة، ولها مفاهيم وإجراءات لسانية حديثة مسايرة للحدثة. يمكن أن تعكس القيمة العلمية والفكرية لمنتوجنا التراثي.

# الفصل الثالث

التداولية في الفكر الغربي



تمهيد:

من المعلوم في الدرس اللساني الحديث أن ما قدّمه دوسوسير من خلال محاضراته في الدراسات اللغوية، كان سببا في إشعال ثورة فكرية ومنطلقا جديدا في توجيه الفكر اللغوي، وبمثابة الأرضية أو الأساس الذي انطلق منه الدرس اللساني، وتوالت المدارس اللسانية بعد دوسوسير بكل ما لها من تجاذبات فكرية واختلاف في المناهج والأطر فكان أن يضم الدرس اللساني نوعين من اللسانيات المعاصرة :

1- نظريات لسانية صورية : تضم جميع النظريات اللسانية التي تعتبر اللغات الطبيعية أنساقا مجردة، يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية.

2- نظريات لسانية وظيفية : تشمل النظريات اللسانية التي تعتمد كأحد مبادئها المنهجية المبدأ الآتي: اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية ووظيفة التواصل<sup>1</sup>.

ومن بين النظريات اللسانية المنتمية إلى المجموعة الثانية، اللسانيات التداولية.

فالتداولية حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق.

وقد سعى هذا الاتجاه إلى "دراسة اللغة من الجانب الوظيفي، وهو منهج التقى فيه دارسون مختلفون جمعتهم بعض القضايا، واختلفوا في تناولها نظرا إلى اختلاف انشغالاتهم، وما جمع بينهم أسهم في تطوير الدرس اللساني، إذ تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية التي شهدتها الدراسات اللغوية في الفترة الواقعة بين دروس سوسور وما جاء به تشومسكي، لقد أولوا الاهتمام للجانب الدلالي بعد أن أولى בניويون والنحاة

<sup>1</sup> ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 08.

اهتمامهم للجانِبِ البيوي فانتقلت الدراسة من الاهتمام بالنظام اللغوي إلى الاهتمام بالمقام وعلاقة اللغة بالممارسة الفردية<sup>1</sup>.

وقد أسهم الفكر التداولي الغربي في إثراء الدرس اللساني بظهور مجموعة من المباحث التداولية التي كان لها الفضل في تطور هذا العلم وارساء معالمه، وهذا ما سنتحدث عنه مبرزين أهم هذه المباحث:

### 1. أفعال الكلام : Actes de langage

تعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم المفاهيم التي أخذت حيزاً كبيراً في النظرية التداولية، وهذا ما نسعى للوقوف عليه من خلال حديثنا عن المفاهيم والأسس التي ارتبطت بنظرية أفعال الكلام، وخاصة الأفعال الإنجازية، وذلك من خلال البحث في البدايات الأولى لنشأة هذه النظرية وما صاحبها من اختلاف في الرؤى والمنجزات والمسارات، لأخذ فكرة عامة عن أهم ما قدمه العلماء في سبيل تبلور هذه النظرية التي كانت بدايتها مع التصورات التي قدمها كل من جون أوستين J Austin و جون سيرل J Searle . كما يمكننا القول أن أفعال الكلام هي اللبنة الأولى التي نشأت منها التداولية ولا مجال للحديث عن التداولية أو التأريخ لها دون الحديث عن أفعال الكلام<sup>2</sup>.

#### أ/ مفهوم الأفعال الكلامية:

لا يمكننا الحديث عن مفهوم الفعل الكلامي إلا بالرجوع إلى الخلفية المفاهيمية لنظرية الأفعال الكلامية " التي جاء بها الفيلسوف ج أوستين، وطورها تلميذه الفيلسوف ج سيرل، بإعطائها ضيغتها النموذجية النهائية، فقد تعمق أوستين في إنجاز فلسفة دلالية تهتم بالمضامين والمقاصد التداولية، وتختلف

<sup>1</sup> حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداولية وتحليل الخطاب، ص 173.

<sup>2</sup> ينظر: خليفة بوحادي، في اللسانيات التداولية، ص 86.

عما عرفناه عند علماء الدلالة اللغويين، وخصوصا البنيويين منهم، فقد كان أوستين يلح على القيمة التداولية لعبارات لغوية كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزية وربما في كل اللغات<sup>1</sup>.

ومن ثم " فالاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه"<sup>2</sup>.

ويمكننا القول أن الفعل الكلامي هو " التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام. ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والسؤال، والوعد، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة، ... فهذه كلها أفعال كلامية"<sup>3</sup>.

ب/ أوستين والأفعال الكلامية:

تعتبر جهود أوستين في تصنيف الأفعال الكلامية أول محاولة جادة تجاوزت بالفعل الطرح الأرسطي والدراسات البلاغية التقليدية.

فقد انطلق أوستين في دراسته من نقده لما كانت عليه الفلسفة الوضعية المنطقية التي كانت تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة الجملة، وهو مقياس الصدق والكذب، فإذا وافقت القولة الواقع فهي صادقة وإذا خالفته فهي كاذبة، غير أن أوستين رأى بأن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية، أو تعجبية، أو أمرية، لا تصف مع ذلك أي شيء ولا يمكن الحكم عليها بمقياس الصدق أو الكذب، لأنها لا تسعى إلى وصف واقع فتصفه بالصدق أو الكذب، وإنما تسعى إلى تغييره، فجمل من قبيل:

1- أمرك بالصمت

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 10.

<sup>2</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 89.

<sup>3</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 10.

2- أعدك بأن آتي غدا

فهذه الجمل لا يمكن وصفها بالصدق ولا بالكذب، فهي لا تعكس واقعا موصوفا وإنما هي أفعال منجزة، ففي القول ( 1 ) أمرك بالصمت يسعى المتكلم من خلال هذا القول الإنجازي إلى فرض الصمت على مخاطبه مما يغير سلوك المتلقي من حالة الضجيج إلى السكون، وفي القول ( 2 ) وعد من المتكلم إلى المخاطب بالمجيء<sup>1</sup>.

وقد ميز أوستين في دراسته بين نوعين من الجمل و العبارات : العبارات أو الجمل الوصفية وهي التي تقابل في العربية الجمل الخبرية، أما النوع الثاني فهو الجمل أو العبارات الانشائية أو الإنجازية، وهي التي تتفرد بجملته من الخصائص هي:

- أن يكون الفعل فيها منتما إلى مجموعة الأفعال الإنجازية ( وعد، سأل، حذر... )
- أن يكون زمن دلالتها المضارع.
- أنها تسند إلى ضمير المتكلم<sup>2</sup>.

وعليه يمكن تلخيص فكرة أوستين في نقطتين اثنتين:

- النقطة الأولى تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب.
- النقطة الثانية تتمثل في إقراره بأن كل قول عبارة عن عمل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: آن رويول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 30.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

<sup>3</sup> الجلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.

وقد ميز أوستين بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية تشكل كيانا واحدا، ويقع حدوثها في آن واحد :

1. فعل القول: **Acte locutoire**: وهو النشاط اللغوي الصرف، ويقصد به تلك الأصوات التي يتلفظ بها المتكلم والتي تمثل قولاً ذا معنى، وهي تنفرع إلى ثلاثة أفعال فرعية:

أ/ الفعل الصوتي: **Acte phonetique** : وهو التلفظ بالأصوات.

ب/ الفعل التبليغي أو الوصلي: **Acte phatique** : وهو تلاؤم تلك الأصوات في سلسلة كلامية وفق قواعد نحوية وصرفية ولغوية قصد إحداث الاتصال.

ج/ الفعل الإحالي أو الخطابي: **Acte rethique** : وهو الذي يعطي للسلسلة الكلامية مرجعية وقيمة دلالية معينة.

2. فعل الكلام الإنجازي: **Acte illocutoire**: ويرتبط هذا الفعل بقصد المتكلم والمتلفظ ويعني ذلك أن المتكلم حين يتلفظ بكلام فهو ينجز معنى قصدياً تأثيرياً.

3. فعل الكلام التأثيري: **Acte perlocutoire** : والمقصود به الأثر الذي يتركه القول في المخاطب فعندما أحاطب شخصا فإني أثير على مشاعره وأحاسيسه وهذا هو الفعل التأثيري<sup>1</sup>.

وفي المحاضرة الأخيرة من كتابه " كيف ننجز الأشياء بالكلمات " وضع أوستين تصنيفاً ميز من خلاله بين خمسة أصناف من الأفعال الكلامية:

- الأفعال الحكمية ( الإقرارية ) **Verdictifs**: حكم، وعد، وصف

- الأفعال التمرسية **exersitifs**: إصدار قرار لصالح أو ضد... أمر، قاد، طلب.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 24، وينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 54 - 55 ، وينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 96.

- أفعال التكليف ( الوعدية ) comessifs : تلزم المتكلم: وعد، تمني، التزم بعقد، أقسم.
- الأفعال العرضية ( التعبيرية ) expositifsM : عرض مفاهيم منفصلة (أكد، أنكر، أجب، وهب)
- أفعال السلوكيات ( الإخباريات ) comportementaux : ردود أفعال، تعبيرات اتجاه السلوك، اعتذر، هنا، حي، رجب<sup>1</sup>.

وانطلاقاً مما سبق يمكننا القول أن أوستين " قد أسس نظرية الألعاب اللغوية في البحث المعاصر، ثم تناولها عدد من الباحثين بعده، فبحث كل منهم من زاوية معينة ليضيف شيئاً أو ينقحه. وقد كان تجسيد الأفعال اللغوية لهدف الخطاب من المحاور التي حظيت بعنايتهم يتضح ذلك عند تتبع تقسيماتهم للأفعال، مع تفاوت في المعايير المؤثرة فيها، سواء أكانت الأهداف النفعية التي تقع خارج الخطاب أم الأهداف التي تقع داخله"<sup>2</sup>.

#### ج/ سيرل والأفعال الكلامية:

- لقد استفاد سيرل من الطروحات التي قدمها أوستين فقدم بعض التعديلات والشروحات التي ساهمت فيما بعد في تطوير نظرية الأفعال الكلامية والتي ضمنها كتابه أفعال الكلام ( Speech acts ) حيث رأى أن المتكلم لما يتلفظ بملفوظ فإنه يقوم بإنجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه:
- فعل القول: وهو التلفظ بالكلمات ( جملا و مورفيمات ) أي إنجاز فعل التلفظ.
- فعل الإسناد: وهو الإحالة أو الإسناد، أي إنجاز فعل القضية أو الجملة.
- فعل الإنشاء: أي إنجاز فعل قوة التلفظ ( فعل الكلام الإنجازي ).

<sup>1</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 97. وينظر: جلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 25.

<sup>2</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 155.

- فعل التأثير: أي فعل أثر التلفظ ويقصد به النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية على أفكار ومعتقدات المستمع<sup>1</sup>.

ومن بين الإضافات التي قدمها سيرل في نظريته أنه " أعاد تصنيف الأفعال الكلامية، لأنه لمس بعض الاضطراب في تصنيف أوستين، بل والضعف، مما يجعلها قاعدة للمناقشة أكثر منها نتائج مؤسسة. ومن سمات هذا الاضطراب أن أوستين لم يصنف الأفعال اللغوية حسب أسس منهجية، عدا الأفعال الإلزامية التي كان تصنيفه إياها باعتبار الغرض الإنجازي قائما. ومن سمات الاضطراب كذلك أنه يمكن للمرسل أن ينجز القوة الغرضية بأكثر من فعل لغوي"<sup>2</sup>.

وقدم قدم سيرل تصنيفا للأفعال الكلامية ضمنه خمسة أصناف هي:

- الأخبار أو التأكيدات: **assersifs** : وهي التي تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها، وجعله مسؤولا عن وجود وضع للأشياء، ومن أمثلتها: أفعال التقرير، الوصف والاستنتاج.

- الأوامر **directifs** : وهي الأفعال التي تمثل محاولات المتكلم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما ومن أمثلتها: أفعال الطلب، والسؤال، والأمر، والنهي.

- الالتزامات **commissifs**: وهي الأفعال التي تلزم المتكلم بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية، ومن أمثلتها: أفعال العرض، والوعد، والوعيد.

- التصريحات **expressifs**: وهي الأفعال التي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم ومن أمثلتها: الشكر، والاعتذار، والتهنئة، والترحيب.

<sup>1</sup> ينظر: j R searle les actes de langage ( essai de philosophie du langage ) collection

savoire lettres hermann paris nouveau tirage 1996 p 60 وينظر: قدور عمران، البعد الحجاجي

والتداولي في الخطاب القرآني، ص 60.

<sup>2</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 157.

- الادلاءات أو الإنجازيات **declarations**: وهي الأفعال التي تحدث تغييرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالبا ما تعتمد طقوسا اجتماعية ، ومن أمثلتها: أفعال إعلان الحرب، والطلاق، والطرْد<sup>1</sup>.

وقد أقام سيرل تصنيفه للأفعال الكلامية على معايير وأسس عديدة بلغت اثني عشر معيارا كان من نتيجتها التقسيم الذي ذكرناه. " والنتيجة المهمة التي أوردنا من أجلها هذه التصنيفات يلخصها سيرل نفسه، إذ يؤكد في أحد استنتاجاته أنه بتبني هدف الخطاب مفهوما محوريا لتصنيف استعمالات اللغة فإنه سيوجد لدينا عدد محدود من الأشياء الأساسية التي نفعّلها باللغة، إذ إننا نخبر الناس عن كيفية الأشياء، ونحاول التأثير عليهم لفعل أشياء معينة، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات معينة بملفوظاتنا، وغالبا ما نفعّل أكثر من واحد من هذه الأشياء بتلفظ واحد"<sup>2</sup>.

ولم يقتصر الحديث عن نظرية أفعال الكلام على أوستين و سيرل بل تعداه إلى لسانين كثر " عرضوا الكثير من قضاياها، لا سيما مفهوم الإنجازي وشروط قيامه، ومفهوم القوة الإنجازية ووسائل ظهورها في البنية أو إخفاقتها"<sup>3</sup>.

فعلى سبيل المثال ( ليتش ) الذي أعاد النظر في تصنيف الأفعال الكلامية " حسب علاقتها بالهدف الاجتماعي من حيث تأسيس الكياسة والمجاملة أو صيانتها وذلك بتفعيل مبدأ التأدب ومدى درجة حضوره في كل صنف، فكانت أصناف الأفعال اللغوية عنده أربعة أفعال:

1- أفعال التنافس، وفيها يتنافس الهدفان.

2- أفعال المراسم، وفيها يتطابق الهدفان.

<sup>1</sup> قدور عمران، البعد الحجاجي والتداولي في الخطاب القرآني، ص 60 - 61. وينظر: j R searle les actes de

langage p62 وينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 66 - 67.

<sup>2</sup> الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 158.

<sup>3</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 100.



3- أفعال التعاون، وفيها لا توجد علاقة لأحدهما بالآخر.

4- أفعال التعارض، وفيها يتعارض الهدفان<sup>1</sup>.

أما (اوزوالد ديكر) فقد حدد شروط الإنجازية فقد بين أن جملة ما تكون إنجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك، ويكون فعل ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازية، وقد ميز في دراسته بين نوعين من الأفعال أولهما: أفعال الرأي وهي التي تقابل أفعال الشك والرجحان واليقين في العربية، وأفعال الحجاج التي تعنى بالافتراضات المسبقة للحجاج<sup>2</sup>.

كما يعتبر كل من (ديترو و ريكاناتي) ممن انتقدوا أوستين فاقترحا أربعة أقسام للأفعال هي:

- أفعال إنجازية.

- أفعال إدراكية.

- أفعال قوة الإنجاز.

- أفعال قوة الإدراك<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 159.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 101.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 101 - 102.

## 2. نظرية التلفظ :Theorie de l Enonciation

لقد اقترح Hansson (1974) ثلاثة مستويات للتحليل التداولي خاضعة للمؤشرات السياقية.

تداولية الدرجة الأولى : وتشمل لسانيات التلفظ، أما الدرجة الثانية فتشمل متضمنات القول، وتشمل الدرجة الثالثة، التداولية الإنجازية.

فلسانيات التلفظ تعنى بدراسة مجموعة الوحدات التي يتنوع فيها المرجع مع تنوع سياق الاستعمال، فتهم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ، وبعض خصائص الجهاز التلفظي أو سياق التلفظ (متكلم، مخاطب، مقام)<sup>1</sup>.

### - التلفظ:

قبل الحديث عن مفهوم التلفظ ينبغي الوقوف على البدايات الأولى له وأول من استعمله، إذ يعود " استعمال مصطلح التلفظ Enonciation في اللسانيات العامة بشكل خاص إلى اللساني الفرنسي شارل بالي في كتابه ( اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية) Bally. ch 1965 ومن بين المعاني التي حدد بها مفهوم التلفظ بيانه أن يكون ظاهراً أو ضمناً بدرجات متغيرة، وأن هذه التغيرات تبدو محددة إما عن طريق أسباب نفسية وإما عن طريق معطيات المقام"<sup>2</sup>.

وقد بدأ هذا المفهوم يشق طريقه في دائرة البحث اللساني فتبناه مجموعة من اللسانيين أبرزهم " إميل بنفيت الفرنسي 1902 - 1976 ونسب إليه بعد ذلك وعرف عنه، وهو يرى أن اللغة بوصفها نظاماً مجرداً أو طاقة كامنة في ذهن الإنسان لا تتحول إلى كلام حقيقي أو إلى نص أو خطاب إلا بواسطة عملية القول، وهي عملية فريدة من نوعها وتميز الفرد وحده وذلك في كل الظروف والحالات"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 07-08.

<sup>2</sup> الطيب دبة، لسانيات التلفظ وتعليم العربية لغة ثانية، ص 02.

<sup>3</sup> حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين الزيات، التداولية وتحليل الخطاب، ص 157.

فاللغة بوصفها قواعد مجردة لا تتحول إلى ملفوظات إلا من خلال عملية التلفظ، ولا يكون التلفظ إلا من خلال سياق تواصلية تراعى فيه السياقات والمقاصد والأغراض ويُعرّف التلفظ عند إميل بنفست بأنه " استعمال أو توظيف اللغة بمقتضى فردي في الاستعمال، أما بالنسبة ل أونسكومبر Anscombe وديكرو Ducrot فهو عبارة عن النشاط الكلامي المستعمل والممارس من طرف المتكلم في السياق الذي يتحدث فيه"<sup>1</sup>.

وقد حدد بنفست التلفظ بأنه " استعمال اللغة وتوظيفها توظيفا فرديا، وكونه إنجازا فرديا يمكن تحديده بالنسبة للغة كفعل تملك، فالمتكلم بتملكه للجهاز الشكلي للغة يعلن وضعيته كمتكلم وفور إعلان نفسه متكلما فإنه ينشئ الآخر الذي يتواصل معه مقابلا له"<sup>2</sup>. فنظرية التلفظ كانت تراعى المتكلم وأداءاته التعبيرية ولا تغفل على الإمكانيات التي تتيحها اللغة للمتكلم، وتمكّنه من التعبير عن أغراضه بدلالات أوسع ولا يكون ذلك بمعزل عن السياق الخارجي وما يحيط به.

#### - الملفوظ:

الحديث عن التلفظ يجزنا بالضرورة للحديث عن الملفوظ باعتبار أن هذين المصطلحين من نتاج المهتمين بلسانيات التلفظ فالملفوظ "نتاج إجرائي وعملي لساني واجتماعي، أما الجملة فإنها تنتمي إلى بنية نظرية مجردة مستقلة خاضعة للوصف النحوي، فعبارة (ممنوع التدخين) تعد جملة إذا جردناها من كل سياق، وهي ملفوظ إذا سجلت في سياق معين، كأن تكتب باللون الأحمر وتوضع في إطار وتعلق على جدار في قاعة انتظار بالمستشفى. فالملفوظ إنجاز فعال متماسك واقعي، متعلق بالنشاط الذي ينتج عنه ويشهد عليه في آن، هذا النتاج يحمل علامات إنتاجه تلك التي تتضمن مختلف التركيبات المتجددة في كل تجربة لسانية أو تلفظية، فهو إذا مجرد عن الاستقلالية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> kerbrat orecchioni Catherine l'énonciation Armand colin PARIS 2006 P 32

<sup>2</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 14.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 14.

وبهذا يعد الملفوظ وحدة دلالية متكاملة تمثل حصيلة العملية التلفظية فهو "عموما وحدة لسانية حاملة لمعنى قار وثابت، ذلك الذي يحمله إياه المتكلم، هذا المعنى هو الذي يفك شفرته المتلقي، والذي يملك نفس الشفرة و يتحدث نفس اللغة مع الباث، وفي هذا المفهوم للنشاط اللساني يكون المعنى مضمنا في الملفوظ، بحيث يكون الفهم مرتبطا بمعرفة قواعد الصرف والنحو، ولكن السياق يلعب دورا أساسيا محيطا بحيث يمنح المعطيات التي تمكن من رفع الغموض عن الملفوظات"<sup>1</sup>.

فالملفوظات هي منتوج العملية التلفظية والتفاعل بين المتكلمين ولا يكون ذلك إلا من خلال السياق، إذ تعدد معاني الملفوظات بتعدد السياقات.

#### - عناصر دورة التواصل التلفظي:

فقد مثل ما انتهى إليه رومان ياكبسون من تحليل في مخططه البياني الذي وضع فيه عناصر التواصل اللغوي ويين من خلاله وظائف اللغة " معالم النشاط التلفظي، هذا المخطط رغم قدمه ورغم ما وجّه إليه من انتقادات، يمنح المساعي الأولى لتحديد هذه المعالم فهو وإن كان استكماليا فإنه يطرح قواعد نظرية التلفظ، وذلك بإعطاء حدث توظيف اللغة إطارا مقاميا قائما، إنه يحدد العوامل الثابتة للمحادثة القولية أو الشفاهية كما هو مبين في الرسم الآتي"<sup>2</sup> :



<sup>1</sup> DOMINIQUE MAINGUENEAU analyser les textes de communication Armand Colin 2éd 2007 P3

<sup>2</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 19.

لقد عملت نظرية التلفظ على إعادة النظر في مفاهيم اللسانيات البنيوية وتتبع عيوبها والانطلاق منها صوب تصحيح مسار الدراسات اللسانية، ولعل من العيوب التي وقعت فيها البنيوية في اللسانيات الحديثة " ليس فقط كونهم حصروا موضوع بحثهم في اللغة في حد ذاتها - فهذا فضل كبير - بل في أنهم انطلقوا لدراسة اللغة من الكلام الذي تم إخراجها أي بعد أن ينتهي منه صاحبه ويصل إلى ضماخ السامع، وبعبارة أخرى اهتموا بالنص كمنتوج دون أي عناية بأحوال إحداثه، ولهذا قيل بأن البنيوية تهتم بالسامع ولا تراعي المتكلم، فلهذا السبب يحاول الباحثون منذ زمان غير بعيد أن يجلوا ظاهرة الكلام محلها الطبيعي وهو دورة التخاطب وصاروا يهتمون بما يسمى Enonciation أي الكلام كفعل"<sup>1</sup>.

فقد كان لقطبي عملية التواصل أهمية كبيرة في نظرية التلفظ باعتبارها محور الحديث، وخصوصا المتكلم، فقد أعطت لسانيات الكلام المتكلم مكانه هامة حتى أنه "دُعي بمتكلم صانع الأقوال، يتدخل في الخطاب كبعد في إطار شروط معينة لتحقيقها، وبمحاكاة إلى مستمع يتحول بدوره إلى متكلم بفعل خاصية التناظر، أحيانا ما يكون هو المتكلم ذاته. يقول سايبير: المتكلم والسامع مندجمان في شخص واحد ويمكن أن يقال بأنه ينقل الأفكار إلى نفسه. كما أنها تحيط بالمتكلم والسامع مكونات مثل الزمان والمكان، والسياق لتشكيل ما دعاه بنفست بالجهاز الصوري للحديث ... حيث يعتبر المتكلم والمخاطب جزءين من الحالة التلفظية، يقيم المتكلم علاقة مع مخاطبه وكذلك مع ملفوظه ( قوله) لتتجسد في الأحداث الكلامية"<sup>2</sup>.

فلسانيات التلفظ اهتمت بكل العوامل الخارجية التي تحيط بالملفوظ لما لها من دور في توضيح المعنى وإجلائه وفقا لجملة من العناصر من بينها مقام الملفوظ وقصد المتكلم وإفادة السامع والسياق الذي قيل فيه الملفوظ وزمانه ومكانه. " وقد تكونت لسانيات التلفظ بهدف وصف العلاقات التي تنشأ بين الملفوظ

ومختلف عناصر الإطار التلفظي بمعرفته كل من:

- المشاركين في الخطاب ( المتكلم و المخاطب)

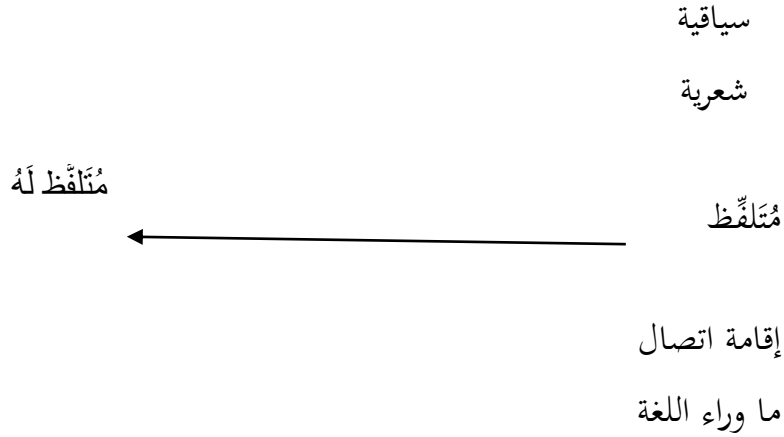
<sup>1</sup> عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر 2007، ج1، ص 349.

<sup>2</sup> ذهبية الحاج هو، لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، ص 88.

- سياق العملية التلفظية ( الظروف المحيطة بالعملية التخاطبية)

- الظروف العامة لإنتاج وتلقي الملفوظ : طبيعة القناة، المحتوى السسيو ثقافي والتاريخي، قيود وعوائق العالم التخاطبي<sup>1</sup>.

وقد استطاعت لسانيات التلفظ أن تقف على مجمل عيوب اللسانيات البنيوية وقد كان انتقادها لها " بدءاً بالمصطلحات بدخول مصطلح متلفّظ ومتلفّظ لهُ وعليه يمكن تصور المخطط الذي جاء به ياكبسون بعد التعديلات كالاتي "<sup>2</sup>.



<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 90.

<sup>2</sup> بلقاسم حمامة، لسانيات الكلام في البلاغة العربية، ص 22.

### 3. الحجج Argumentation :

يعتبر الحجج من أهم المباحث التداولية، فهو أداة للحوار والجدال والتأثير له جذور ضاربة في القدم، وتعود جذوره في الفكر الغربي إلى جهود اليونان في اللغة والبلاغة والفلسفة حيث تعاملوا مع اللغة باعتبارها قوة واقناعاً وتأثيراً في المتلقي بالحجج والبراهين، فكثير من الممارسات الحجاجية كانت موجودة في الفكر اليوناني من قبيل ما نجد عند السفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو.

وهناك من يرجع أصول البحث في الحجج في الأبيديات الغربية إلى كتاب فن الخطابة لأرسطو، وإن صيغ صياغات حديثة، كما أرجع بعض الباحثين الدراسات الحجاجية إلى بريلمان وتيتيكاه<sup>1</sup>. ومهما تكن البداية الحقيقية للحجاج، سنحاول تتبع المسار التاريخي للفكر الحجاجي عند الغرب من خلال حديثنا عن الحجج في الفكر الغربي القديم والحديث.

#### أ. الحجج في الفكر الغربي القديم:

تعد الحضارة اليونانية هي المعين الأساسي للفكر الغربي القديم والحديث، كما يرجع لها الفضل في التأسيس للفكر الإنساني في شتى مجالاته، فجعل المعارف الإنسانية كانت نتيجة هذه الحضارة التي تنبئ عن نضج العقل اليوناني آنذاك، الذي بحث في جميع الميادين ومهد لها، وإذا جئنا للحديث عن الحجج في الفكر الغربي القديم يجدر بنا القول أن فن الاقناع وما يتعلق به من استراتيجيات الخطاب قضايا كان لها الفضل في التأسيس لنظرية الحجج في الفكر الغربي.

فدراسة الحجج في الفكر الغربي القديم، وبالخصوص في الفلسفة الإغريقية هي " مبدأ الفكر الغربي ومعينه الأساسي طوال قرون عديدة تنزلت في إطار ما كان بين الفلاسفة والسفسطائيين من صراع في

<sup>1</sup> ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 47.

صناعة القول، وهو صراع بدأه أفلاطون فيما يبدو وتبعه فيه أرسطو وواصله على نحو من الأنحاء في إطار النظر إلى البلاغة بعض الفلاسفة من بعدهما وعلى رأسهم ديكرت<sup>1</sup>.

- الحجاج عند السفسطائيين:

لقد كان السفسطائيون على وعي كامل بالخطابة والجدل وفن الإقناع واستراتيجياته، ويمكن أن نلمس ذلك في حديثهم عن الجدل والخطابة إذ مارسوا سلطة الحجاج وكانوا يقصدون من خلالها الحصول على سلطة في المجتمع، فالسفسطائي كان بمثابة المعلم في المجتمع، وكان وسيلته في ذلك امتلاكه لآلة اللغة والبلاغة اللتان تمكنان من اللعب بالألفاظ، وهذا الذي أخذ منه اسم سفسطة.

ويعود ظهور المدرسة السفسطائية إلى " القرن الخامس قبل الميلاد بعدما انتقل المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات، وتنمية الحرف، والاعتماد على الكفاءة الفردية والمبادرة الحرة، ... وأصبح المجتمع ديمقراطيا يستند إلى حرية التعبير، ويحتكم إلى المجالس الانتخابية، والتصويت بالأغلبية، ولم يعد هناك ما يسمى بالحكم الوراثي، أو التفويض الإلهي، بل أصبح المواطن الحر له الحق الكامل في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة، لذلك سارع أبناء الأغنياء إلى تعلم فن الخطابة والجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين، وهنا ظهر السفسطائيون لكي يزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة، واستعمال بلاغة الكلمة في المرافعات والمناظرات الحجاجية الخطابية، وقد تحولت الفلسفة آنذاك إلى فن الجدل بامتياز واتخذت وسيلة لكسب الأرباح المادية سيما أن أغلب المتعلمين من طبقة الأغنياء، ونذكر من الفلاسفة السفسطائيين جورجياس، وكاليكيس، وبروتاغوراس...<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> هشام الرفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الحجاج عند أرسطو، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، ص 53.

<sup>2</sup> جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، دط، ص 10.



فالسفسطائية هي تيار فكري ظهر في العالم الإغريقي، وقوي بأثينا في القرن الخامس قبل الميلاد بالخصوص، أما سوفيستاس فهي صفة كانت في الأصل لقب تقدير وهي في معناها الاشتقاقي تعني الرجل ذا الكفاءة المميز في كل شيء<sup>1</sup>.

ومن خلال وقوفنا على بعض ما كتبه السفسطائيون يمكن أن نستشف وجهتهم في ممارسة الحجاج "بتصورهم لعلاقة القول بالوجود والمعرفة والنافع ولعلاقة الانسان بالإنسان في المدينة وهذه الخيوط تكشف لنا باجتماعها جوانب هامة من الأفق الفلسفي الذي أثرت فيه مسألة الحجاج عند الإغريق"<sup>2</sup>.

فممارستهم للحجاج أدت إلى تصورهم للنافع الذي لم يعلقوه بالخير بل علقوه باللذة، وفي هذا الإطار يتنزل مذهب كوراكس في استغلال المحتمل وتوجيه الحجاج بحسب النفع الذي يقصد إليه المحاج، حيث أصبح هذا المفهوم هو المفهوم الرئيس في نظريات الحجاج في العصر الحديث، كما مارسوا التعليم من خلال تعليمهم للشباب مسالك الاقتدار على الخطابة وتهيئتهم للسلطة فنشأ عندهم نوع من الحجاج وهو الحجاج بالسلطة، وكانوا يقصدون به الحصول على السلطة في المجتمع<sup>3</sup>.

فالحجاج كان وسيلتهم للتأثير على خصومهم، وأداتهم التي يقنعون بها غيرهم ويفرضوا من خلالها آراءهم ومعتقداتهم.

. الحجاج عند أفلاطون:

لقد كان أفلاطون أيضا على وعي كامل بأهمية فن الإقناع وطرقه، إذ عمل من أجل الرد على السفسطائيين ودحض حججهم، ونقد آرائهم وأفكارهم، فكان الصراع قائما بين الفيلسوف والسفسطائي إذ أن " وراء صراع الفيلسوف والسفسطائي في أصول بناء الحجاج صراعا في التصورات والقيم، صراعا في

<sup>1</sup> ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص 54.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 57.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 60-61.

تصور علاقة القول بالوجود وعلاقة الإنسان بالإنسان في المدينة ... وأفرد أفلاطون لمواجهة تلك الممارسة الحجاجية محاورتين اثنتين هما " قرجياس و فيرس " نقد فيهما الخطابة السفسطائية، واعتمد في نقده استراتيجية واحدة هي استراتيجية الكشف<sup>1</sup>.

فأفلاطون في ضوء نقده للسفسطائيين " لم يعالج الحجاج بما هو صناعة قول . وإنما كان هذا البعد حاضرا في مشروعه . بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع"<sup>2</sup>.

كما أن أفلاطون " خشي على الإنسان والمدينة من الحجاج السفسطائي وهو حجاج يمثل أكبر خطر على القول والانسان في رأيه. هو حجاج يزيّف القول والقول هو أخص ما يؤسس إنسانية الإنسان... فالحجاج السفسطائي يزيّف حسب أفلاطون استعمال القول"<sup>3</sup>.

ويمكن القول أن نقد أفلاطون للسفسطائيين قد ارتكز على " اعتباره إياهم أدعياء على العلم والمعرفة، وأن ما يقدمونه لا يعدو كونه نتائج ظنية مبعثها الهوى واللذة، وهي أمور ومفاهيم ضارة بالقيم والأخلاق واليقين والإيمان، تلك القضايا الأربع التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة الأفلاطونيتين"<sup>4</sup>.

ويقول أفلاطون في محاورته المعروفة " قورجياس " أن " القول الخطبي السفسطائي لا ينحصر في جنس الخطابة، وإنما هو قول زئبقي يمكن له أن يتسلل ليحرر الخطابة من شرط تحديد الموضوع إلى فضاءات أجناس من القول أخرى، وله سمات مع ذلك تيسر تعريفه حسب - أفلاطون - فهو قول إثباتي غير جدلي لا يقوم على المساءلة، يعقده صاحبه على الظن لا على العلم، ويقصد به الإقناع معتمدا في ذلك

<sup>1</sup> هشام الرفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الحجاج عند أرسطو، ص 62.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 72.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 83

<sup>4</sup> محمد الأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م، بيروت، ص 26.

ما يوافق (اللذة)، لذة السامع و القائل، لا (الخير) فالخطابة السفسطائية كما يبدو من محاورة قورجياس هي حجاج استهواء" <sup>1</sup>.

وقد بين أفلاطون في محاورته أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم، وإقناع يعتمد الظن، وأن إقناع الظن هو موضوع الخطابة السفسطائية، والإقناع المفيد في نظره هو القائم على العلم، لأن الإنسان يستفيد منه ويكتسب المعرفة، أما إقناع الظن فهو غير مفيد، لأن الإنسان لا يستفيد منه <sup>2</sup>.

فأفلاطون اعتمد على منهج ديني مثالي لا يعتد بالظن والمراوغة واستعمال سلطة القول لتحقيق مآرب وأغراض غير شرعية وبالتالي فهو منهج غير سياسي، ويمكن أن نتصور المعالم التي بنى عليها أفلاطون نقده في صناعة الخطابة على الأركان التالية:

- اعتماده على المنهج الجدلي.

- معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل.

- معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب <sup>3</sup>.

وإجمالاً يمكننا القول أن أفلاطون قد أخضع سلطة القول إلى العلم والأخلاق بعيداً عن التخمينات والظن، لتحقيق الأغراض النبيلة والمشروعة، ومن هنا فحججه حجاج أخلاقي، وقد تم نقد وتجاوزه من طرف تلميذه أرسطو، ولعل أهم نقد وجه إليه أنه لا يخدم التصورات الإنسانية.

<sup>1</sup> محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 26.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

. الحجاج عند أرسطو:

تعرض أرسطو في كتابه فن الخطابة إلى نقد كل من السفسطائيين وأستاذه أفلاطون من خلال اعتماده على منهج تفكيكي توخى من خلاله عرض القضايا التي تناولوها للوصول إلى أهم المغالطات التي وقعوا فيها إذ " تعد البلاغة الأرسطية أساسا فلسفيا معرفيا لأغلب النظريات البلاغية واللغوية التي جاءت بعدها بشكل عام، ولنظرية الحجاج بصفة خاصة، فقد دخلت هذه البلاغة في نقاش جدلي قوي مع كل من البلاغتين الأفلاطونية ( الأستاذ ) والسفسطائية ( الخصوم ) وعلى الرغم من أن الأرسطية اتخذت لنفسها مسارا تحليليا جديدا، إلا أنها احتفظت من كلتا البلاغتين ببعض المكونات البنائية وخاصة من بلاغة الأستاذ أفلاطون"<sup>1</sup>.

فأرسطو يعد من الفلاسفة اليونانيين الأوائل " الذين نظروا للبلاغة من خلال رؤية حجاجية، فقد خصها بكتابين هامين هما (الريطوريقا / البلاغة )، و(الحجج المشتركة) وقد قسم أرسطو كتابه البلاغة إلى أقسام ثلاثة : القسم الأول: يتعلق بمفهوم البلاغة وموضوعها ومناهجها وعلاقتها بالجدل. في حين يتناول القسم الثاني ما يتعلق بالتأثير على الآخر أو نفسيته، أما القسم الأخير من الكتاب فيتناول صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية والحجاجية"<sup>2</sup>.

فالبلاغة عند أرسطو تعد خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التواصل والإبلاغ، ويوجه إلى الجمهور قصد التأثير والإقناع حيث يقول أرسطو: " ويحصل الإقناع حين يهيا المستمعون ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحس باللذة أو الألم، والحب والكراهية ... والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح والراجع من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد الأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 23.

<sup>2</sup> جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص 22.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 23.

وإن كان قد ترسم أرسطو خطى أستاذه في كثير من الأحيان فهناك اختلاف بينهما في الأطر والمنهج وفي عرض القضايا، وفي تناول كل منها للحجاج.

فقد تحدث أرسطو عن عناصر حجاجية مهمة هي "الرأي والاحتمال والممكن والتخييل، على اعتبار أنها ذات دلالات بالغة لا في حياة الناس فحسب، لكن أيضا في التواصل بصفة عامة، وفي فتح المجال أمام الغير للإدلاء برأيه. ويؤكد تقديم أرسطو للحجاج وما يتصل به من سمات ومناح جدلية وفلسفية أولا، واجتماعية إنسانية ثانيا، الفكرة القائلة إنه إذا كان أفلاطون قد رفع بتجريده ومثاليته الفلسفة من الأرض إلى السماء، فإن أرسطو بدراساته الإنشائية التواصلية قد أعادها إلى الأرض"<sup>1</sup>.

ويمكن القول أن أرسطو قد "أسس فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية، لا تخلو من اعتبارات نفسية اجتماعية عامة، ولعل هذا ما منح نظريته ذلك الصدى الكبير داخل العلوم الإنسانية عامة"<sup>2</sup>.

كما أن "التناول الأرسطي للحجاج كان تناولا منطقيا بالأساس وإن وسع في الخطابة بالخصوص روافد نفسية اجتماعية، وروافد أخلاقية، وروافد سياسية"<sup>3</sup>.

فأرسطو يعتبر المؤسس الحقيقي للبلاغة، فقد ربط بينها وبين الخطاب الحجاجي معتمدا في ذلك على مجموعة من الآليات والوسائل الحجاجية والاستدلالية للوصول إلى الغاية والمهدف الأسمى وهو التواصل والإقناع.

واجمالا لما لما تحدثنا عنه فيما يخص الحجاج في الفكر الغربي القديم يمكن القول أن أثينا تعتبر "هي موطن النظرية الحجاجية التي أقام صرحها أرسطو في كتابه الخطابة، غير أن هذا المصنف لم يولد من لا شيء، ولم يكن منبت الصلات مع ما تقدم. لقد تناول كل مباحث الحجاج السابقة والمعاصرة فأعاد

<sup>1</sup> محمد الأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 32.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 40.

<sup>3</sup> هشام الرفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الحجاج عند أرسطو، ص 105.

صياغتها في مصنفه ولونها التلوين الخاص به. وأقصد هنا إنجازات السوفسطائيين الذين كانوا في الأصل معلمي الخطابة، أي البلاغة الإقناعية التي تؤهل لاحتلال المراتب السياسية اللائقة في الحاضرة الأثينية... وهذا الأمر الذي أثار حفيظة أفلاطون الذي نظم حملته المشهورة على الخطابة لمعرفته بآثارها الهدامة حينما تتمكن من الحشود. وأعتقد أن النظرية الحجاجية التي اكتملت خلقتها مع أرسطو للأسباب المنوه بها في السابق قد أعاد فيها الباحثون الحجاجيون المعاصرون النظر<sup>1</sup>.

#### ب. الحجاج في الفكر الغربي الحديث:

لقد حظي الحجاج باهتمام الباحثين الغربيين الذين أولوه أهمية كبيرة ونظروا إليه من زاوية جديدة، لم تكن بمعزل عما قدمه الباحثون القدماء، وخاصة أرسطو الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لنظرية الحجاج. وقد بحث مجموعة من الباحثين في هذا المجال لعل من أهمهم: بيرلمان، وتيتكاه، وديكرو، وماير... الذين جعلوا من هذا الموروث القديم ركيزة أساسية نشأت على إثرها نظرية الحجاج المعاصرة، وقد صبت جهود هؤلاء في سبيل إعادة قراءة التراث القديم وتوصيفه وقراءته قراءة جديدة في ضوء ما قدمته النظريات اللسانية الحديثة.

#### . الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:

ارتبطت البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجية الجديدة سنة 1958م بكل من رجل القانون الشيكوي شايام بيرلمان chaim perelman واللسانية البلجيكية أولبريخت تيتيكا Lucie Olbrechts tyteca حينما أصدرتا معا كتابهما " مصنف في الحجاج وهو مؤلف مشترك بين بيرلمان و تيتيكا جماع تصانيف المؤلفين وزبدة أبحاثهما المتفرقة في مقالات وكتب أخرى لهما وهو أكثرها شهرة واكتمالا وإماما

<sup>1</sup> محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايام بيرلمان، عالم الفكر، العدد02، المجلد 40، أكتوبر. ديسمبر، 2011، ص 20 - 21.

بقضايا الحجاج ... لقد ظهر مصنف في الحجاج . الخطاب الجديدة . عام 1958م وأعيد طبعه منذ ذلك التاريخ طبعات عدة: أعوام 1970م، و 1976م، و 1988م، و1992م<sup>1</sup>.

وقد رأى عبد الله صولة أن الغاية التي توخاها الباحثان من خلال نشرهما للكتاب هي:

- إخراج الحجاج الذي هو عند المؤلفين سليل الخطابة والجدل معا، من دائرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة في القديم مرادفا للمنطق نفسه.

- العمل على تخليص الحجاج من التهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة، وهذه التهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا ودفعه دفعا إلى القبول باعتبارية الأحكام ولا معقوليتها.

- العمل على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب. فالحجاج عندهما معقولة وحرية. وهو حوار من أجل حصول وفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول للذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل. ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره.<sup>2</sup>

ويذهب الباحثان إلى أن موضوع الحجاج هو " هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجات ذلك التسليم ... وغاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج . الخطاب الجديدة " لبرلمان وتيتيكا، ص 298.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 298.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 299.

كما يرى الباحثان أن الحجاج بحسب الجمهور نوعان، حجاج إقناعي: وهو الذي يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص، وحجاج إقتناعي: وهو الذي يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل فهو عام<sup>1</sup>.

أما عن مميزات الحجاج عند بيرلمان فهي " أن يتوجه إلى مستمع، أن يعبر عنه بلغة طبيعية، أن تكون مسلماته كونها احتمالية، أن لا يفتقر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة، أن تكون نتائجه غير ملزمة، (احتمالية غير حتمية)"<sup>2</sup>.

فبيرلمان يسعى إلى أن يجعل من " الحجاج نظرية مطابقة للبلاغة، بحصر هذه الأخيرة فيه، وقد وافقه في هذا التصور العديد من البلاغيين المعاصرين"<sup>3</sup>.

وإجمالاً يمكن القول أنه " على الرغم من ظهور هذه النظرية في فترة مبكرة نسبياً، وإهمالها التركيز على العديد من القضايا والعناصر التداولية التواصلية، فإنه يكفيها أهمية ردها الاعتبار الفلسفي لكلمة بلاغة وإسهامها في العودة إلى إثارة قضاياها الجوهرية من منظور أفاد من تطور معطيات المنطق الحديث وشارف أفق علوم الاتصال الجديدة، هذا فضلاً عما قدمته لبلاغة المكتوب وعناصر تعويض الغياب فيه وتقنياته بصفة عامة"<sup>4</sup>.

فقد سعى كل من بيرلمان وتيتيكا إلى تخلص الحجاج من الأبنية الاستدلالية المجردة، ومن البلاغة الكلاسيكية التقليدية، وتقريبه من مجالات التواصل والاستخدام اليومي.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 301.

<sup>2</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 65.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 66.

<sup>4</sup> محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 133.



.الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر:

L argumentation dans اللغة في الحجاج في النظرية الغربية بنظرية الحجاج في اللغة langue التي وضع أسسها العالم اللغوي الفرنسي أرفالد ديكر، وتنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة والتي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير. وهي تريد أن تبين بأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية<sup>1</sup>.

وقد تميزت هذه النظرية بميزات عديدة من أهمها:

- أن نظرية الحجاج في اللغة نظرية دلالية حديثة تقدم تصورا جديدا للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وتقدم أيضا أفكارا ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر اللغوية.
  - تمكنت هذه النظرية من التغلب على كثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض المقاربات الوصفية والمصادقية للمعنى، وخاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق.
  - تدرج هذه النظرية ضمن تيار حديث في الأدبيات اللسانية، لا يعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة، بل إنه على العكس من ذلك، يسند إليها دورا ثانويا<sup>2</sup>.
- فنظرية الحجاج في اللغة تعود بدايات ظهورها إلى سنة 1973م فهي نظرية لسانية " تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ... هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها"<sup>3</sup>.

وعند الحديث عن نظرية الحجاج في اللغة تتجلى لنا العلاقة الوثيقة بين هذه النظرية، ونظرية الأفعال الكلامية "فقد انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقد قام ديكر

<sup>1</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م، ص 08.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 09.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 14.

بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج<sup>1</sup>.

ويمكن القول أن الحجاج عنده هو " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنتاج تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطائية محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"<sup>2</sup>.

فالبنى الحجاجية من منظور ديكره " ليست ذات طبيعة منطقية، ولكنها لغوية بالأساس، داخلية في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج، هذه المعلومات يمكن تشبيهها وظيفيا بتحديد مسبق للتسلسلات الخطائية ... إن أعمال أوز فالد ديكره و جون كلود أنسكومبر تتميز عن النظريات التداولية الأخرى بمصادرة مخصوصة: إنهما يعتبران أن هذه القطبيات الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ، ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكل دلالة، إن الحجاج في نظر هذين اللسانيين لم يعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى نفسه وأساس تأويله في الخطاب"<sup>3</sup>.

وأهم ما يمكن أن نستنتجه من خلال ما قدمه الباحثان أن الحجاج في نظرهما ليس استدلالا شكليا أو مغالطة أو تلاعبا بالعقول، وإنما هو حوار بين متكلم ومخاطب الغاية منه الإبلاغ والاقناع من أجل تغيير موقف أو معتقد باستعمال الآليات اللغوية الممكنة والمتاحة.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 15.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 16 . 17.

<sup>3</sup> صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص 18.

. الحجاج عند مشال ماير:

ارتبط اسم ماير بنظرية المساءلة حيث انطلق من الحقل الفلسفي الإبستمولوجي، وما زال عطاؤه متواصلًا من خلال التدريس في الجامعة وتأليف المصنفات، والتي من أهمها في مجال الحجاج (البلاغة، المنطق، اللغة الحجاج، اللغة والأدب، أسئلة البلاغة، الفلسفة والأهواء، في المساءلة).

وقد سعى ماير من خلال نظريته إلى:

- إقامة نظرية بلاغية أساسها فكرة التساؤل والمساءلة لأن الوصول إلى السؤال الجوهرى يعد أهم خطوة في أي نظرية وأي موضوع.

- يهدف إلى توضيح معالم الميتافيزيقيا المعاصرة من خلال تأكيده على أزمة الفكر الغربي المعاصر وفلسفته، وهو ما أشار إليه بصراحة في قوله " إن العقل الغربي في أزمة " ومرد هذه الأزمة تراجع التساؤل إلى مواقع خلفية وعدم الاهتمام كما ينبغي بإنسانية الإنسان وبأسئلته الوجودية<sup>1</sup>.

فالسؤال والتساؤل هما جوهر فلسفة ماير والخلاصة في نظره أن الفلسفة القديمة لم تكن بما فيه الكفاية بالتساؤل. ولذا نجد من هذا المنظور أن ماير " يقوم في قراءته التأويلية الفلسفية البلاغية بإعادة التفكير في مفهوم اللوغوس بوصفه ذا دلالات متعددة من أهمها: الخطاب والحجة والعقل المتكلم. لذا يمكن القول أن منطلقه في نظريته هذه منطلق لغوي بلاغي يتوازى مع خلفيته الفلسفية، فالخطاب عنده إفصاح بلاغي بواسطة الكلام، والكلام ليس سوى الوجه الآخر للفكر والعقل، وعملية التفكير ليست سوى عملية مساءلة، واستعمال الكلام الحامل لقدرة الفكر على المساءلة يعد فعل تفكير<sup>2</sup>.

ويؤكد هذه الفكرة في كتابه " المنطق، اللغة والحجاج " فيقول: " وبصفة عامة فإن السؤال والمشكل يتماهيان، وإذا رغبتهم في تعريف ببيكولوجي قلنا إن كل سؤال هو حاجز أو صعوبة أو ضرورة اختيار، وهو بالتالي نداء إلى اتخاذ قرار يتم تجسيده على أرض الواقع... ويثير هذا التصور فكرة مهمة وهي أن

<sup>1</sup> محمد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 134-135.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 134-135.

ماير يشترط في السؤال الحجاجي أن يكون حاملا لطرافة فكرية يكون بحث المخاطب عن دلالاتها مصدر متعة له من جهة، وتأييدا منه لمضمون الفرضيات المقدمة من جهة أخرى<sup>1</sup>.

فقد سعى ميار من خلال مشروعه الفلسفي إلى تجاوز الدراسات الراهنة من خلال إعادة قراءته للفلسفة من منظور جديد، وذلك من خلال العودة بالفلسفة إلى وظيفتها وجوهرها التي ليست هي إلا المساءلة التأسيسية، وبالعودة إلى الفلسفة اليونانية للبحث فيها عن نشأة السؤال الذي اقترن بميلاد الفلسفة والنظر في خصوصياته وأبعاده<sup>2</sup>.

ويصل ميار من خلال نظريته إلى نتيجة مفادها أن " السؤال هو الإمكانية الوحيدة التي يسمح بها السؤال عن جوهر الكلام وهذا ما يمثل حجر الزاوية في نظريته، أما بقية الأحداث الكلامية فهي فرع عن السؤال. ومن هذه النتيجة بالذات تتفرع نظرية ميار حول المساءلة le questionnement وطبيعة السؤال والفرق بين السؤال والجواب وطبيعة الكلام الاستفهامية و الحجاجية"<sup>3</sup>.

ويمكن القول أن الحجاج عند ميار متعلق بنظرية المساءلة باعتباره متعلق بطرفي الخطاب أو التساؤل ومن هنا يوظف مفهومين للحجاج هما الضمني: ويقصد به تلك الإمكانيات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، أما المصريح: فهو ظاهر السؤال وفي هذا الاطار ترتبط البلاغة بالحجاج، ويظهر الأثر الذي تلعبه البلاغة في الحجاج. فالحجاج عنده معقود بركنيين متضافرين ركن البلاغة، وركن العلاقات التخاطبية، وبهذا تكون الأسس التي أقام عليها ميار نظرية وإن كانت فلسفية فهي في صلب النظرية التداولية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 135.

<sup>2</sup> ينظر: محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص 389.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 392.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 394-397-400.

#### 4. الاستلزام الحواري: L implication Conversationnelle

تعتبر نظرية الاستلزام الحواري من أهم المفاهيم في الدرس التداولي<sup>1</sup> وتعود نشأتها إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس H P Grice وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغات الطبيعية Natural Language في جامعة هارفارد سنة 1967م، فقدم فيها تصوره لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية العامة التي يقوم عليها<sup>2</sup>.

فقد لاحظ غرايس ومعه مجموعة من الفلاسفة أن جمل اللغات الطبيعية تدل في بعض المقامات على معنى غير محتواها القضيوي، ويتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و (ب) :

الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ (ب) إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

يرى غرايس أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدناها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي والآخر مستلزم.

- المعنى الحرفي: وهو أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين.

- المعنى الاستلزامي: وهو أن الطالب المذكور ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، وهذه هي الظاهرة التي أطلق عليها غرايس مسمى الاستلزام الحواري<sup>3</sup>.

وإذا وقفنا عند أشهر مقالات غرايس وهو " وهو المقال المنشور سنة 1975م، على ما يسميه صاحبه " منطق المحادثة ". ويسجل هذا المقال تطورا في مفهوم الدلالة غير الطبيعية ويصوغ مقاربة لإنتاج

<sup>1</sup> ينظر: francois Recanati les enonces reformatifs les editions de minuit 1979 p 141

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 143-144.

<sup>3</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 33.

الجملة وتأويلها غير تواضعية حصراً، وقد أدخل فيه غرايس حصراً مفهوميين مهمين هما: الاستلزام الخطابي، ومبدأ التعاون<sup>1</sup>.

وقد ركز غرايس على مبدأ التعاون ذلك المبدأ الذي يركز عليه كل من المتكلم والمخاطب أثناء التواصل والحديث لتتأتى عملية تأويل الأقوال والملفوظات بصورة منظمة وعقلانية، وقد شرح غرايس هذا المفهوم مقترحاً له أربعة قواعد متفرعة عنه، من المفترض أن يحترمها المتخاطبون وأن يستغلوها<sup>2</sup>. وهذه القواعد هي:

. قاعدة القدر: **Quantite** وتخص قدر كمية الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين:

أ/ اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

ب/ لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

- قاعدة الكيف: **Qualite** ونصها " لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطع البرهنة على صدقه".

- قاعدة الملاءمة: **Pertinence** وهي عبارة عن قاعدة واحدة " لتكن مشاركتك ملائمة".

- قاعدة الجهة: **Modalite** التي تنص على الوضوح في الكلام، وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية:

أ/ ابتعد عن اللبس.

ب/ تحرر الإيجاز.

ج/ تحرر الترتيب.

<sup>1</sup> آلان روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 55.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة<sup>1</sup>.

ويمكن القول من خلال ملاحظتنا لهذه القواعد الأربع وما تفرع عنها أن " للعلاقة بين المتخاطبين دورا أساسيا في مراعاة هذه القواعد، أو خرقها عند التلفظ بالخطاب، والتركيز على المعنى كما يقصده المرسل، وما ينتج عن ذلك من خطابات متنوعة الأشكال والاستراتيجيات"<sup>2</sup>.

ويقترح غرايس تنميطة للعبارات اللغوية يرى أن الحمولة الدلالية للعبارة تنقسم على أساسه إلى معان صريحة، ومعان ضمنية.

**1/ المعاني الصريحة:** وهي التي تدل عليها الجملة ذاتها ويقصد بها المعنى الظاهر، وتشمل مايلي:

أ- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما، كالاستفهام، والأمر، والنداء.

**2/ المعاني الضمنية:** وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، وإنما يمكن أن يكون للسياق دخلا في توجيه دلالتها. وتشمل مايلي:

أ- معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

ب- معاني حوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية.<sup>3</sup>

لقد كان تركيز غرايس منصبا على الاهتمام بمبدأ التعاون، رغم أنه لم يتطرق بالتفصيل للقواعد التي تبين كيفية التعامل بين طرفي الخطاب، ولكنه أشار إلى بعض القواعد والتوصيات الأخرى التي رأى أنها لم

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 33-34.

<sup>2</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 96.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 35.

تعب عنه كالقواعد الأخلاقية، والجمالية، والاجتماعية. ولعل هذا ما حدا بالباحثين بعده إلى التركيز على مبدأ التعاون والانطلاق منه للتأسيس<sup>1</sup>.

### 5. الافتراض السابق: Presupposition

يعتبر الافتراض المسبق من أهم المفاهيم الإجرائية في النظرية التداولية ويقصد به المعرفة الضمنية المسبقة أو المعطيات المعرفية السابقة لدى المتخاطبين فعند "كل عملية من عمليات التبليغ ينطلق الأطراف المتخاطبون من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة. وهذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون وهي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التبليغية، وهي محتواة في القول سواء تلفظ بهذا القول إثباتاً أو نفياً"<sup>2</sup>.

فمثلاً إذا تكلمت مع شخص وقلت له:

- أغلق الباب.

- لا تغلق الباب.

- يتمثل الافتراض المسبق هنا في كون الباب مفتوحاً.

ونوضح بمثال آخر، كأن يقول شخص لآخر كيف حال زوجتك وأولادك؟ فسؤال مثل هذا يفترض أن هذا الشخص متزوج وله أولاد. كما يفترض أن العلاقة القائمة بين هذين الشخصين تسمح بطرح مثل هذه الأسئلة، ويرد الشخص الثاني قائلاً: هي بخير، شكراً.

أما إذا انتفى الافتراض المسبق، وكانت الخلفية الإخبارية غير مشتركة بين المتكلمين، فإن الشخص الذي طرح عليه السؤال ربما يجيب بهذه الأجوبة:

- أنا لا أعرفك

<sup>1</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 77.

<sup>2</sup> الجيلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 34.



- أنا لست متزوجا.

- أنا متزوج، ولكن ليس لي أولادا<sup>1</sup>

ويذهب مسعود صحراوي إلى القول بأن التداوليين يرون أن " الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ ففي التعليميات تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه. أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت اسم التواصل السيء، فلها سبب أصلي مشترك وهو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي"<sup>2</sup>.

ويمكن القول أن مفهوما آخر يقابل الافتراض المسبق و هو الأقوال المضمرة *Sous Entendus* الذي هو على حد قول أوركيوني " هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"<sup>3</sup>.

ومن هذا التعريف يمكن القول أيضا أن أهم فرق جوهري بين الافتراض المسبق والأقوال المضمرة أن الأول يحدد على أساس معطيات لغوية، أما الثاني فيرتبط بوضعية الخطاب ومقامه، كما أن الافتراض المسبق وليد الخطاب وملايساته أما الأقوال المضمرة فهي وليدة السياق الكلامي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 34.

<sup>2</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 32.

<sup>3</sup> Catherine Kerbrat Orccheoni L implicite paris Armand Colin 1986 p 39

<sup>4</sup> ينظر: Oswald Ducrot Le dire et Le dit edition de minuit paris 1984 p 84

6. نظرية الملاءمة:

تعتبر نظرية الملاءمة " نظرية تداولية معرفية، أرسى معالمها كل من اللساني البريطاني ديردر ولسن D wilson والفرنسي دان سيربر D sperber وتأتي أهميتها التداولية من أمرين:

- أنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية.

- أنها، ولأول مرة من ظهور الأفكار والمفاهيم التداولية، تبين بدقة موقعها من اللسانيات، وخصوصاً موقعها من علم التراكيب.

فنظرية الملاءمة، تدمج إذا، بين نزعتين كانتا متناقضتين، فهي نظرية تفسر الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وتعد في نفس الوقت نظرية إدراكية.

والسبب أنها تدمج مشروعين معرفيين وتمتخ منهما:

الأول: مستمد من مجال علم النفس المعرفي، خاصة النظرية القالبية Modularity لفودور Fodor 1983م.

الثاني: يستفيد من مجال فلسفة اللغة، وبخاصة النظرية الحوارية لغرايس Grice 1975م.<sup>1</sup>

فنظرية الملاءمة استفادت من النظرية القالبية من توظيف المجال الذهني والنفسي وتأثيراته على العملية التواصلية، واستفادت أيضاً من النظرية الحوارية لغرايس التي ترى أن العملية التواصلية محكومة بمبدأ عام هو مبدأ التعاون، وبمسلمات حوارية. فأعادت النظرية في منظومتها القواعدية، وقلصت من محتوياتها معتمداً في ذلك على " مبدأ الملاءمة " كمبدأ مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة، ويعد تعميماً للتواصل الموصوف بالمناسب الدلالي Ostensive Inferential فهو:

- مناسب، لأن المتكلم يستعمل " المثير " Stimulus الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته.

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 36-37.

- وهو استدلالى لأن المتلقي يستدل على القصد الإخبارى انطلاقاً من ظروف وملابسات التي يسوقها المتكلم أثناء العملية التواصلية.<sup>1</sup>

ويعتبر السياق من أهم الأمور التي ركزت عليها نظرية الملاءمة باعتباره " شيئاً غير معطى، ولكنه يبنى تبعا لتوالي الألفاظ"<sup>2</sup>.

ويتألف السياق من مجموعة من الافتراضات السياقية، تستمد من مصادر ثلاثة هي:

1- تأويل الأقوال السابقة: وهي القضايا التي نحصل عليها مباشرة في أول الكلام، وتخزن في الذاكرة التصويرية، لاستخدامها في عملية التأويل.

2- المحيط الفيزيائى: ويشمل السياق أيضا باعتبار أن ظروف وملابسات ومكان التلفظ هي أمور تساعد المتلقي أثناء عملية التواصل على إدراك وتأويل الملفوظات.

3- ذاكرة النظام المركزى: وتحتوي على معلومات مختلفة عن العالم قد يستخدم بعضها في تأويل الملفوظات.

أما بالنسبة لكيفية انتقاء الافتراضات المسبقة " فإن ذلك يتم بموجب ( مبدأ الملاءمة ) ويتحدد هذا الأخير انطلاقاً من وسيطين : الآثار المعرفية Contextual effects والجهد المعرفى Cognitif. يراد بالمفهوم الأول كل تعالق بين معلومتين، إحداهما قديمة والثانية جديدة مما ينتج عنه مجموعة من الحوسبات الذهنية، كتعديل أو تحسين، أو إثبات أو إقصاء افتراضات توجد في ذاكرتنا التصويرية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 38.

<sup>2</sup> Jaque Moeschler Ane Reboul Dictionnaire encyclopedique de pragmatique

Edition du seuil 1994 p 140

<sup>3</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40.

وأما بالنسبة للآلية التي يعمل بها الوسيطان السابقان فهي وفق المعادلة الآتية:

- كلما قل الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملاءمة هذا الملفوظ.

- كلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهدا كبيرا كانت ملاءمته ضعيفة.<sup>1</sup>

وختاما لما سبق يمكن القول أن السياق هو الركيزة الأساسية الذي قامت عليها دعائم نظرية

الملاءمة، إذ لا يتأتى نجاح العملية التواصلية بمغزل عن السياق وظروفه وملاساته.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 40.

# الباب الثاني

المنحى التداولي في تفسير  
الكشاف للزمخشري

# الفصل الأول

لسانيات التلفظ في تفسير  
الكشاف

تمهيد:

لقد بقي الدرس اللساني مدة من الزمن حبيس اللسانيات البنيوية، إلى أن ظهرت جهود مجموعة من اللسانيين، الذين رأوا أن اللسانيات البنيوية قاصرة عن دراسة جوانب عديدة في اللغة لإهمالها العوامل غير اللغوية أو الخارجية في دراسة تشكل النظام اللغوي، وهذا ما أدى إلى ظهور اتجاه جديد تحول به الدرس اللساني من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام، هذه الأخيرة التي انطوت تحتها مجموعة من النظريات اللسانية اهتمت بالواقع المادي للغات.

وتعتبر لسانيات التلفظ من بين هذه النظريات التي حظيت باهتمام كبير في الدرس اللساني المعاصر، حيث اهتمت بالجانب الحركي للغة، كما أعادت الاعتبار للعناصر غير اللغوية ووقفت على أثرها في توجيه المعنى وتشكل الملفوظ مع مراعاة المعطيات اللسانية الداخلية. " وكانت بداية الاهتمام بدراسة الواقع المادي للغات في تاريخ اللسانيات الحديثة منذ أن شرع بعض اللسانيات البنيويين - هم لسانيو مدرسة جنيف ( شارل بالي ورفقاؤه). في الاهتمام بدراسة الجانب الانفعالي لدى المتكلمين، وهو جانب انصرفوا فيه إلى البحث في مظهر اللغة الحركي، وفيما ينتجه من وظائف للكلام، وتحول درسهم عبره من الاحتفال بالقواعد الافتراضية للغة إلى الاحتفال بقواعدها التحقيقية. وفي نهاية العقد الرابع من القرن العشرين تتابعت أعمال متميزة للسانيين فرنسيين، كانت في مجملها امتدادا لأعمال مدرسة جنيف، وأصبحت تنعت لسانياتها فيما بعد، باسم: لسانيات التلفظ L. d'énonciation أو اللسانيات التلفظية L'énonciation وكانت إيدانا بمرحلة جديدة في علم اللسان الحديث"<sup>1</sup>.

تسعى إلى إعادة النظر في الدرس اللساني الحديث " حيث اعتبرت لسانيات التلفظ ضمن النظرية التداولية امتدادا متميزا للسانيات السوسورية التي احتفظت باللغة كقطب هام في دراستها، ولكن إقرار

<sup>1</sup> الطيب دبة، لسانيات التلفظ وتعليم العربية لغة ثانية، ص 02.

سوسور بلسانيات الكلام مهّد الطريق لبفنست الفرنسي ليرز لسانيات تهتم بالإجراء الفعلي للغة، أي اللغة في حالة الاستعمال<sup>1</sup>.

فإقرار دوسوسير بالكلام ترك الباب مفتوحاً ليشهد المسار التطوري لللسانيات الجديد، ويتولد عن ذلك ظهور ما يسمى بلسانيات الكلام التي أصبحت اتجاهها لسانيا قائما حيث أن "أصحاب هذا الاتجاه على عكس أصحاب لسانيات اللغة الذين يهتمون بصورة الخطاب اللغوي، يهتمون بواقع الخطاب، وملايساته وظروف نشأته، حيث أن مبادئ التحقيق الكلامي لا تظهر إلا عندما ينتج المتكلم خطاباً أو ملفوظاً، والبحث عن متكلم يفضي بالضرورة إلى الحديث عن متكلم؟ وإلى من يتكلم؟ وما هي ظروف الكلام؟ وكلها أجوبة حاولت لسانيات التلفظ الإجابة عنها"<sup>2</sup>.

وإذا كان مسعى لسانيات التلفظ الاهتمام بعنصري العملية التلفظية، وبالخصوص المتلفظ وما يتعلق به من اختيارات تعبيرية، إضافة إلى المقام والسياق والظروف المحيطة بالتلفظ وما مدى تأثيرها في عملية التواصل، وعرفت هذه العناصر في الدراسات التداولية باسم استراتيجيات الخطاب أو التلفظ، فإنه يمكننا القول أننا إذا نظرنا إلى اللغة العربية وما قدمه علماءنا الأوائل من منظور هذه الاستراتيجيات وجدناها موجودة في كثير من المباحث سواء عند النحاة أو البلاغيين أو المفسرين أو الأصوليين، وربما هذا الذي أشارت إليه خلود العموش حين رأت أنه يجب النظر إلى ما توقف عنده العلماء الأوائل من " بيان أسباب النزول وبيان المكي والمدني ... وإنما أتوقف إلى مثل هذا لأنني أراه يتجاوز لديهم ما يكون من تناول الخطاب القرآني في ذاته إلى ما اكتنف الخطاب من شروط خارجية وهو ملحظ يلتقي مع ما طورته مناهج لسانية حادثة في تحليل الخطاب اللساني وخاصة ما طورته الوظيفية، والبراغماتية، ونظرية السياق،

<sup>1</sup> حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين الزيات، التداولية وتحليل الخطاب، بحوث محكمة، كنوز المعرفة، ط1، 2014م، ص 157.

<sup>2</sup> بلقاسم حمادة، مبادئ لسانيات الكلام في البلاغة العربية، ص 19.



واللسانيات الاجتماعية، من مقولات كلية تقوم على أن هناك علاقة وثيقة بين الخطاب وشروطه الخارجية في المكان والزمان والانسان على اختلافها. وهو اختلاف يمثل احدى آيات الله مصدر الخطاب القرآني<sup>1</sup>.

ولكن قبل الحديث عن هذه المباحث تجدر بنا الإشارة إلى القول " أن مقارنة النص القرآني محاولة لا تخلو من صعوبة، أبرزها سعة دائرة المعارف والمعلومات والبحوث والدراسات المتصلة بهذه المقاربة قديما وحديثا، مما يجعل حجم العمل البحثي الاستقرائي كبيرا، كما إن تشكيل رؤية وقراءة جديدة للنص القرآني في ضوء المناهج الحديثة يعد أمرا شائكا يحتاج إلى حرص بالغ وحذر شديد في الاستنتاجات والأحكام"<sup>2</sup>.

### لسانيات التلفظ وعلم التفسير:

إن قراءة تفسير الكشاف للزمخشري من منظور لسانيات التلفظ تقودنا إلى الحديث عن بعض العناصر الضرورية التي تناولها المفسرون أثناء تحليلهم لآي القرآن الكريم، وهي من قبيل دراسة الملفوظات في إطار التفاعل بين بنية المقال ومقتضيات المقام وما تدعوا إليه لسانيات التلفظ كإهتمام بالمعنى والحدث الكلامي والسياق وأسباب النزول والمتلفظ والمتلفظ له، والزمان والمكان، وهي عناصر اعتبرت عندهم أصلا في وصف الخطاب التفسيري.

وقد توجه اهتمام المفسرين إلى العناية بكل ما يتعلق بإمكانيات التعبير المختلفة، فلم يكتفوا بالبحث في المعطيات اللسانية الداخلية "لسانيات اللغة"، بل تجاوزوا البحث في ذلك إلى المعطيات اللسانية الخارجية "لسانيات الكلام" وهذا ما يعد من صميم الدراسات التداولية التي تراعي الجانب الاستعمالي في اللغة.

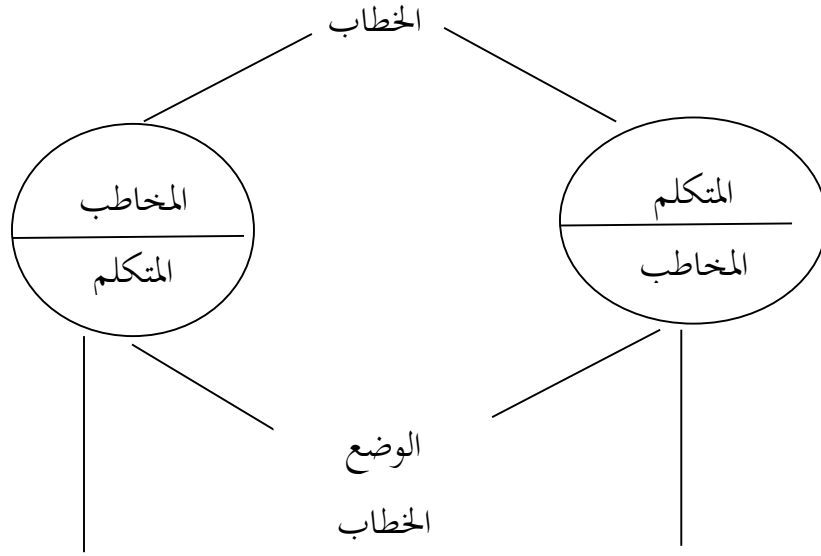
ويذهب عبد الرحمن صالح إلى " أن العرب قد أعاروا اهتماما كبيرا جدا لدور المتكلم وتصرفاته بحسب أغراضه وبمقتضى الحال وكذلك أحوال السامع وغير ذلك مما له دور هام في عملية التخاطب ...

<sup>1</sup> خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد. الأردن، ط1، 2008، ص 5

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 10.

فللعلماء العرب تفهم عميق لكل هذه الظواهر حملهم على ذلك تهمسهم الخارق العادة لدراسة العربية لغة القرآن، ويمكن أن نرسم دورة التخاطب كما تصورها هكذا<sup>1</sup>.

دور التخاطب عند العلماء العرب



يحمل المخاطب الخطاب على الوضع

يستعمل المتكلم الوضع لأحداث

أغراض ← معان ← قرائن = أغراض

الخطاب  
أغراض ← معان ← ألفاظ

القرائن المقالية والحالية

فقد كان لقطبي عملية التواصل أهمية كبيرة في نظرية التلفظ باعتبارهما محور الحديث، وخصوصا المتكلم، فقد أعطت لسانيات الكلام المتكلم مكانه هامة حتى أنه "دُعي بمتكلم صانع الأقوال، يتدخل في الخطاب كبعد في إطار شروط معينة لتحقيقها، وبجاجة إلى مستمع يتحول بدوره إلى متكلم بفعل خاصية التناظر، أحيانا ما يكون هو المتكلم ذاته. يقول سايبير: المتكلم والسامع مندجان في شخص واحد ويمكن أن يقال بأنه ينقل الأفكار إلى نفسه. كما أنها تحيط بالمتكلم والسامع مكونات مثل الزمان والمكان،

<sup>1</sup> عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، د ط، ص 350-351.

والسياق لتشكيل ما دعاه بنفست بالجهاز الصوري للحديث ... حيث يعتبر المتكلم والمخاطب جزءين من الحالة التلفظية، يقيم المتكلم علاقة مع مخاطبه وكذلك مع ملفوظه ( قوله) لتتجسد في الأحداث الكلامية<sup>1</sup>.

وعند حديثنا عن لسانيات التلفظ يمكننا أن نلتمس وجهها آخر للمقابلة بين اللغة والكلام عند دوسوسير، وهو النظام المغلق والنظام المفتوح، إذ يكون الانغلاق في اللغة والانفتاح في الكلام.

### - النظام المغلق والنظام المفتوح:

هناك من الباحثين من يعتبر أن " ثنائية النظام المغلق والنظام المفتوح التي نادى بها بعض دعاة لسانيات التلفظ Linguistique Dénonciation تمثل إطاراً منهجياً هو أفضل ما يمكن أن تدرس به ظواهر المعنى في خصائص النحو العربي، وخلفية مفاهيمية تستند إليها دراسة حركية المعنى اللغوي، وتفسر به تداعياته الاستعملية بين تعبيرات المتكلم واختياراته من جهة، وتوقعات المخاطب وتأويلاته من جهة أخرى"<sup>2</sup>.

- النظام المغلق: " يكون المتكلم فيه مجبراً على الالتزام بقواعد المبنى اللغوي، وبما يمكن أن تمنحه على وجه الأصل والافتراض من معانٍ صورية ينطلق في فهمها أو الإفهام بها على ما هي به في أبنيتها النموذجية وتواضعاتها الاجتماعية.

- النظام المفتوح: يكون فيه المتكلم مخيراً، بحيث تفتح طاقاته التعبيرية في ظل تنوعات سياقية داخلية وخارجية على احتمالات معنوية متعددة، غير أن فسحة الحرية والاختيار تظل رغم الحاجة الملحة لدى المتكلمين إلى هذا الانفتاح مقيدة بحدود العلاقات البنيوية التي يفرضها النظام المغلق"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص 88.  
<sup>2</sup> الطيب دبة، خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 108، ص 199.  
<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 201.

وإذا نظرنا إلى تفسير الزمخشري من منظور لسانيات التلفظ فإننا نقتصر على النظام المفتوح، ومن هنا يمكننا الذهاب إلى القول بأننا: " لو تتبعنا جميع مظاهر الانفتاح في سائر أنظمة اللغات مثلما تصورها اللسانيون المحدثون خاصة أولئك الذين اهتموا بلسانيات الكلام أو لسانيات التلفظ Linguistique dénonciation فنجد أنها تكون على مستويين :

1- مستوى انفتاح المعنى في السياق اللغوي ( السياق الداخلي) حيث يكون فيه النظام منفتحاً انفتاحاً داخلياً بسبب ما يطرأ من تغيير في معطيات واقعه اللغوي.

2- مستوى انفتاح المعنى في السياق المقامي ( السياق الخارجي ) تتغير فيه المعاني بتأثير من الظروف الخارجية لمقام الكلام"<sup>1</sup>.

ويمكن أن نلمس مظاهر هذا الانفتاح في تفسير الكشاف على المستويين: مستوى السياق اللغوي، ومستوى السياق المقامي أو سياق التلفظ من خلال وقوفنا على بعض الظواهر اللغوية والنحوية المبثوثة في تفسيره وهذا ما يدعونا إلى النظر إلى هذه القضايا من خلال هذين المستويين:

- مستوى داخلي: " السياق اللغوي: وسنقتصر فيه على توضيح أهم مظاهر هذا الانفتاح الداخلي الذي يخضع فيه تغير المعاني للنظام اللغوي الذي يعطي للمتلفظ فسحة للتعبير عن أغراضه ومقاصده ، وأيضاً من خلال استثمار الآليات التعبيرية التي توفرها اللغة للمتلفظ. وسنسعى للوقوف على ذلك من خلال:

أثر قصد المتلفظ في توجيه دلالة الإعراب.

أثر قصد المتلفظ في توجيه دلالة التقديم والتأخير.

أثر قصد المتلفظ في توجيه دلالة الصيغة الصرفية.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 209.

- مستوى خارجي: سياق التلفظ: سنقتصر فيه على توضيح أهم مظاهر الانفتاح الخارجي، الذي تفتح فيه الطاقة التعبيرية للمتلفظ وتتغير فيه المعاني بتأثير الظروف الخارجية للتلفظ ومقام الكلام، وأهم ظاهرة تجلى فيها هذا المستوى هو ما يسمى عند المفسرين بأسباب النزول.

### 1. السياق:

إن استعمال اللغة كأداة تواصل لا يكون إلا من خلال عملية التلفظ، التي تعطي هذا الاستعمال طابعه التداولي و" لا يمكن تحديد وظيفة اللغة من وجهة نظر تداولية بمعزل عن الاستراتيجيات التي يستخدمها المرسل، ولا يمكن تحديد هذه الاستراتيجيات التي يتوخاها من الخطاب بمعزل عن المقاصد التي لديه، وعن المرسل إليه، وإجمالاً عن السياق بعناصره المتعددة"<sup>1</sup>.

فالملفوظ الذي هو نتيجة عملية التلفظ لا يتأتى إلا من خلال السياق " الذي يُعدّ محل اهتمام القضايا التداولية جميعاً، لأن تحليل الجمل يخضع إلى السياق، وكذلك تحليل أفعال الكلام، وقوانين الخطاب، ومسائل الملفوظية، والقضايا الحجاجية وغيرها، وربما يمكن القول أن اهتمام الدرس التداولي كله ينصب في بحث مدى ارتباط النص بالسياق"<sup>2</sup>.

ونظراً "لأهمية السياق في دراسة وتحليل القول الطبيعي، نجد القدماء قد أدركوا جيداً ما له من دور خطير في توجيه المعنى، فلا تكاد تجد مفسراً ولا أصولياً ولا لغوياً إلا ويعتبر السياق في كل إجراءاته وتطبيقاته وعياً منه بما يكون لعناصر السياق من دور في إضاءة مجاهيل نصه الذي هو مجموع أقوال طبيعية، لرفع غموضه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، المقدمة، ix

<sup>2</sup> خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في التراث العربي، ص 114.

<sup>3</sup> إدريس مقبول، الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيويه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع أريد، الأردن، د ط، 2007، ص 306.

فدلالة الكلمة وإعرابها لا يكون إلا من خلال التركيب والسياق الذي ترد فيه فقد تفتن العلماء مبكرا لدور السياق بقولهم بفكرتي المقال والمقام إذ يقول تمام حسان: " وإذا كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين بألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي: (المقام) و (المقال) باعتبارهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوفات التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة. وفكرة (المقام) هذه هي المركز الذي يدور حول الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي يتمثل في العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"<sup>1</sup>.

وإذا جئنا إلى المفسرين نجدهم أكثر من غيرهم وعيا بالسياق، فقد أدركوا أهميته في تفسيرهم لأي القرآن الكريم، واستنباط أحكامه، وصرحوا بذلك في كثير من أقوالهم إذ يقول ابن القيم " السياق يرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"<sup>2</sup>. ويقول الزركشي: " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف متعمدا، حتى كأنه غير مطروح"<sup>3</sup>.

ويقول أيضا في معرض حديثه عن القرآن " وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب " المفردات " فيذكر قيذا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، دط، دت، ص 337.

<sup>2</sup> ابن القيم، بديع الفوائد، م4، ص 1314.

<sup>3</sup> بدرالدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 317.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 172.

فالمفسرون لا يتعاملون مع الجملة والكلمة في النص القرآني مستقلة بذاتها بل كانوا ينظرون إليها في إطار سياق النص القرآني. فقد كان للمفسرين اهتمام " ببيان العلاقات التداولية الحاصلة بين آيات القرآن الكريم، متجاوزة أو متباعدة، ومن هذه العلاقات نذكر: التفسير والبيان، أو ما أطلقوا عليه التتميم، وهو أن يذكر كلامهم فيتوهم أنه بحاجة إلى تفسير فيفسر، بما يكشف المراد من اللفظ المعين، ويزيل ما يظن فيه من الخفاء"<sup>1</sup>.

### السياق ونظرية النظم:

إن الحديث عن نظرية النظم يقودنا إلى القول بأن للنظم وجود قبل عبد القاهر الجرجاني، ولكنه استوى كنظرية متكاملة معه إذ استطاع بعبقريته الفذة الاستفادة من الجهود السابقة وصاغ من خلالها نظرية لغوية سماها نظرية النظم ذات منحنى وظيفي تداولي توخى من خلالها معاني النحو للوصول إلى سر الإعجاز القرآني، وإذا عدنا إلى نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني نجد أنها تلتقي مع اللسانيات التداولية في نقاط عديدة، فقد انطلق الجرجاني من فكرة رئيسية مفادها ربط البنية بالوظيفة انطلاقاً من أن الوظيفة الأساسية للغات هي التواصل، كما أنه لم يقتصر على قواعد اللغة بل تجاوز ذلك إلى دراسة جانبها الاستعمالي تبعاً لأغراض المتكلم ومقاصده، والمخاطب وتوقعاته، ودورهما في توجيه المعنى، كما راعى ربط التلفظ بسياقه ومقامه الذي قيل فيه وهذه كلها مبادئ جسدت ميادين لسانيات الكلام.

فنظرية النظم تهدف " إلى مغزى واحد هو أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو... وهذا واضح في أن معاني النحو هي أصل النظم الذي هو الأداة التي يعرف بها المعنى في تقلباته المختلفة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> هادي نحر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص 273.

<sup>2</sup> أحمد جمان الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير) أطروحة دكتوراه (1426 هـ - 1427هـ)، ص 405.

وعبد القاهر الجرجاني لا ينظر إلى التراكيب من زاوية الإعراب فقط بل يتجاوز هذه النظرة إلى ما وراء التراكيب من فروق دقيقة، كما لم يغفل عن الأداء، واختلاف نظم التراكيب وما له من دور في اختلاف المعاني. " فالمعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق"<sup>1</sup>.

كما أن علم النظم " هو الذي يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام"<sup>2</sup>.

فقد تعامل الجرجاني مع الخطاب كبنية في إطار المقام الذي ترد فيه، فلم يتعامل مع الخطاب كألفاظ بل تعامل معه كمجموعة من العلاقات توحى بمعنى التركيب، ويقابل هذا ما يسمى عند بعض المحدثين بتضافر السياقين اللغوي وسياق الحال ودورهما في إبراز المعنى وفهم المقاصد والأغراض.

أما إذا عدنا إلى الزمخشري فإنه يمكننا القول أنه أول من سار على منهج عبد القاهر وتمثل نظريته، واعتنق جل آرائه وطبقها وربما الذي ساعده في ذلك هو امتلاكه لآلة البلاغة إذ يقول شوقي ضيف: "فسر عبد القاهر الجرجاني الأشعري نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز، إذ رد جمال الأسلوب القرآني إلى المعاني الإضافية للتعبير من تقسيم وتأخير، وتعريف وتنكير، وذكر وحذف، وقصر ووصل وفصل وما إلى ذلك من خصائص العبارات. ثم مضى في أسرار البلاغة يصور دقائق الفروق في الصور البيانية، وذكر هنا وهناك بعض آي الذكر الحكيم، موضحاً ما يجري فيها من جمال بلاغي، ولكنه لم يتسع لذلك. وكان ضرورياً أن يخلفه من يقوم بهذا العمل الجليل، وما زالت الأجيال بعده تنتظر من ينهض به، حتى قبض له أحد أئمة المعتزلة وهو الزمخشري الذي برع في الشعر والنثر وأوتي من الفطنة ودقة الحس ورهافة الشعور ما

<sup>1</sup> فهد بن شتوي، دلالة المتشابه السياق أثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، رسالة ماجستير، 2005م، جامعة أم القرى، السعودية، ص 68.

<sup>2</sup> محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية وأثرها في تفسير الزمخشري، ص 189



أعده خير إعداد لتلك المهمة، وكأنما تجمعت في صدره جميع أماني المعتزلة والأشعرية في تصوير بلاغة القرآن المعجزة<sup>1</sup>.

كما يذهب شوقي ضيف إلى القول " أن الزمخشري قد استوعب كل ما كتبه عبد القاهر في (الأسرار) و(الدلائل) ومضى يطبقه تطبيقاً دقيقاً على أي الذكر الحكيم، وكأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من آراء عبد القاهر إلا ساق عليها الأمثلة النيرة من القرآن الكريم. ولم يقف عند ذلك، فقد مضى يستتم هذه الآراء مضيفاً إليها من حسه المرهف وعقله الثاقب. وخاصة في مباحث المعاني والبيان، التي أكمل كثيراً من شعبها ودقائقها ومقاييسها إكمالاً سديداً<sup>2</sup>.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن الاتجاه الذي سلكه الزمخشري في تفسيره هو اتجاه وظيفي تداولي، وليس أدل على ذلك أن من يدرس بإمعان تفسير الكشاف يخرج منه بحقيقتين:

- الأولى أن الزمخشري استوعب كل ما كتبه عبد القاهر في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" وتشبع بروحه واتجاهه البلاغي.

- الثانية أن الكشاف هو في الواقع خير تطبيق على ما اهتدى إليه عبد القاهر من قواعد المعاني والبيان، فقد اتخذ الزمخشري من أي الذكر الحكيم أمثلة وشواهد يوضح بها كل قواعد عبد القاهر البلاغية سواء ما اتصل منها بعلم بعلم المعاني أو علم البيان<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط9، د ت، ص 220.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 243.

<sup>3</sup> عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، ص 262.

القصد:

يعتبر الغرض أو القصد من مفاهيم التواصل التي اشتغلت عليها الدراسات اللغوية العربية القديمة و"يراد به في تصور نحائنا القدماء، الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه، وعليه تكون مراعاة الغرض من الكلام في عرف أغلب النحاة، قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلام وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة... وقد اعتمد النحاة العرب، ولا سيما الوظيفيين منهم، على مبدأ مراعاة غرض المتكلم من كلامه بوصفه قرينة تداولية قوية في الدراسة اللغوية"<sup>1</sup>.

كما اعتبر القصد من أهم القضايا في الدراسات البلاغية فكان "مدار البحث والمركز في بيان الجاحظ ومعاني السكاكي هو الأحوال والمقاصد، وكذلك كان عند الجرجاني في نظرية النظم، فهو من أكثر العلماء الذين رددوا مصطلح القصد، بل كان محور نظريته، بوصفه سبب العدول عن التركيب الأصل هو لبيان قصد المرسل بالاستجابة للسياق تداولياً"<sup>2</sup>.

وقد أصبح مصطلح القصد من الأسس التداولية التي اعتمدت عليها الدراسات اللسانية الحديثة، خاصة تلك التي تعنى بما يحيط بالملفوظ من ظروف وملازمات ومقام وقد راعاه العلماء القدماء في تحليلاتهم النحوية وارتبط هذا المصطلح عندهم بالمتكلم أو المتلفظ.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن كلمة السياق عند المفسرين "تطلق على الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت اجزائه في نسق واحد، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام، أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 200-201.

<sup>2</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 201.

<sup>3</sup> فهد بن شتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي، ص 27.

فالسباق هو " الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع.<sup>1</sup> فهو إطار عام تنظم إليه وحدات الملفوظ، ويمكن تقسيمه إلى قسمين:

- السياق اللغوي:

- سياق التلفظ، أو سياق الحال أو الموقف:<sup>2</sup>

- مظاهر الانفتاح في السياق اللغوي:

- السياق اللغوي:

للسباق اللغوي أثر كبير في توجيه المعنى، وقد ظهر ذلك جليا في مصنفات العلماء العرب القدماء، فإذا كان السياق اللغوي يمثل كيانا لغويا تنتظم فيه جملة من العلاقات المعجمية والصوتية والتركيبية التي تمثل نسيجاً محكما فإنه لا يمكن الكشف عن المعنى إلا من خلاله. وباستثمارنا لمعطيات النظام المفتوح، فإننا سننتقل إلى مجال تنفتح فيه المعاني على دلالات أوسع واحتمالات معنوية متعددة تمنح الملفوظ القدرة على التنوع في المعاني، والتعبير عن الحاجيات والمقاصد والأغراض في ظل تنوعات سياقية داخلية مختلفة. مما يكشف عن القدرة الفائقة التي يمتلكها النظام اللغوي والذي يمتاز بالحيوية والمرونة والقدرة على استيعاب أكبر عدد من المعاني. كما يمكننا التأكيد على أن مظاهر الانفتاح في هذا المستوى تبقى خاضعة للعلاقات البنوية وللنظام اللغوي. ولعل هذا ما نود الوقوف عليه من خلال تفسير الكشاف للزمخشري الذي تتجلى لنا فيه مظاهر هذا الانفتاح من خلال الكثير من القضايا النحوية التي عالجها الزمخشري خصوصا وأنه أول عالم تبني فكر عبد القاهر الجرجاني وتمثل نظريته.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 27.

<sup>2</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 40.

1/ أثر قصد المتلفظ في تأويل معاني الإعراب وتوجيهها:

لقد حظي الإعراب باهتمام كبير عند علماء اللغة الأوائل، ولم يقتصر فيه على " استقراء النصوص اللغوية التي نقلت سماعاً، ووضع الأحكام، بل اتجهوا إلى الموازنة بين الأبواب النحوية وبيان ما بينها من أوجه شبه أو تقارب، وما بينها من أوجه اختلاف وافتراق، لاستنتاج المعاني المقصودة بدقة، والإشارة إلى الوجوه الأخرى للمعنى التي يوحي بها التركيب. ولا عجب في أن يكون القرآن الكريم المحور الذي دارت عليه تلك الدراسات المعنوية لما في آياته من دقة في النظم ولما في أساليبه من جمال في النسخ حيرت النحاة والمفسرين ووضعتهم أمام تحدٍ لقدراتهم في التحليل والاستنتاج"<sup>1</sup>.

وقد سعى علماء اللغة الأوائل جاهدين للعناية بهذا الظاهرة، مبرزين خصائصها ووظائفها المعنوية من خلال تتبع العلامات الإعرابية التي تظهر على أواخر الكلمات المعربة بوصفها دلائل على المعاني، وتوجه نظرهم صوب العناية بالنصوص اللغوية المميزة " فترشح عن هذا النظر مسارات متعددة للوصول إلى الوظائف النحوية والدلالية للكلمات داخل التراكيب النحوية بما وسع من دوائر الإعراب ووظائفه، وصار عندنا في التراث العربي ما يمكن تسميته بالإعراب الوظيفي أو الدلالي، وكان من أبرز مظاهر الإعراب الوظيفي الدلالي هو أفرز في تراثنا نظرية نحوية دلالية مثيرة أساسها ومنطلقها الإعراب فحسب هي نظرية (الاحتمالات الإعرابية) التي تقدم لنا إمكانيات التعدد في الأوجه الإعرابية للكلمة الواحدة داخل النص المعين، بحيث يتخصص كل وجه من وجوه هذا التعدد الإعرابي بدلالة خاصة لا يؤديها الوجه الإعرابي المقابل الذي تحتمله الكلمة نفسها في التركيب النحوي نفسه"<sup>2</sup>.

ويعتبر المفسرون والأصوليون أكثر إدراكاً من غيرهم لأثر هذه المعاني الإعرابية في النص القرآني، لما لها من دور في تأويل المعاني وتوجيهها، وتفسير النصوص والوقوف على أحكامها، ومن هنا أضحت جلياً أن لكل تركيب أو ملفوظ وجهه الإعرابي الخاص به، الذي يميزه عن الوجه الآخر دلالة وتفسيراً ومعنى مما

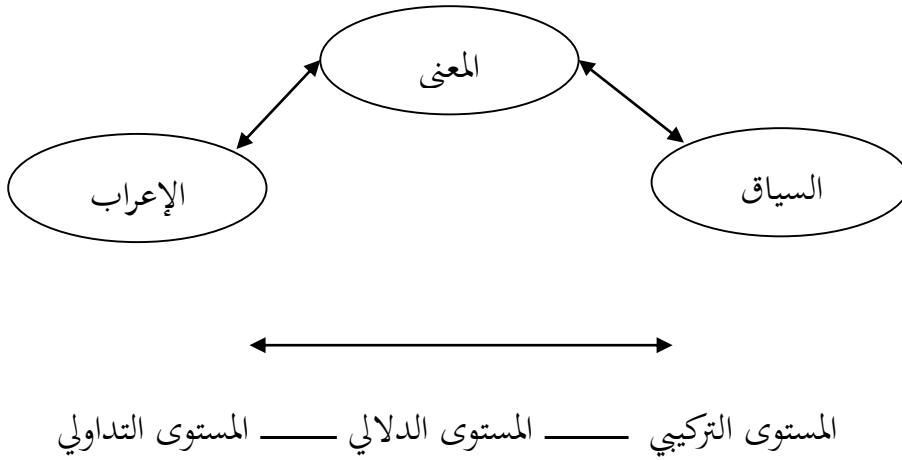
<sup>1</sup> كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص 257.

<sup>2</sup> هادي نمر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 118.

وسع أفق الدراسة، وأصبح القرآن ميدانا حافلا للدرس اللغوي ومصدرا من مصادر الخصوبة والثراء الفكري<sup>1</sup>.

فوجود هذه العلاقة الوثيقة بين الإعراب والمعنى جعلت اللغة العربية " تتسم بقدرتها على اختزال الألفاظ، والسعة في التعبير عن المعنى، ويعد القرآن الكريم - وهو من أقدم نصوصها - مثالا واضحا لذلك، ومن يتأمل في طرائق تعبيره عن المعاني، وأساليبه في أداء المعنى بوجوهه المختلفة، ومسالكه في الإبانة عن تشعبات المعاني بالدقة التي عرف بها والنظام الذي امتاز به، يجد نفسه مبهورا بهذا النسيج الرائع العجيب"<sup>2</sup>.

فالسباق أساس الإعراب والمعنى " ولما كان معنى الكلام مستوقفا على معرفة سياقه، فإن الإعراب نفسه الذي هو آلية لتحصيل المعنى يقوم على السياق.



وهذا عين ما نبه إليه ابن هشام فيما يحتز منه المبتدئ في صناعة الإعراب بقوله: بل ربما مر به فأعربه بما لا يستحقه ونسي ما تقدم له. أي نسي سياقه"<sup>3</sup>. فالسياق الوعاء الحاضن للمعنى " وبهذا فإن عزل المتن اللغوي عن سياقه هو بمنزلة فصله على ماء حياته. فلكم المواقف التي مرت بنا أثناء إعراب

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 119.

<sup>2</sup> كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص 257.

<sup>3</sup> إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيويه، عالم الفكر، العدد، 01، المجلد 33، 2004، ص 255.

شواهد قرآنية أو شعرية تلبلت فيها الألسن واضطربت الآراء، ومرّد ذلك أنّها معزولة عن سياقاتها العامة في القرآن الكريم أو في القصيدة المنظومة، فالتسويق ليس يختص بالجانب اللساني اللغوي فحسب، بل يتعداه إلى مستوى آخر ويجاوزه هو (السياق المقامي)<sup>1</sup>.

فالإعراب آلية من آليات الانفتاح في السياق اللغوي إذ يراعى فيه المعنى وحركيته وتداعياته بين المتلفظ والمتلفظ له، حيث يسمح الإعراب للمتلفظ باتخاذ وضعيات عديدة في التعبير عن المعاني. ومن هنا يصبح الإعراب مظهراً من مظاهر انفتاح المعاني في التراكيب والعبارات ووسيلة من وسائل توليد المعاني. وهذا ما عبر عن أحد الباحثين بقوله: "ويرجع انفتاح المعاني في التراكيب والعبارات إلى ما يستدعيه نظامها التركيبي من الحركات الإعرابية المختلفة، وذلك في ضوء ما تفتح عليه الأبنية النحوية للجملة العربية من مختلف التقديرات والوجوه الاحتمالية إن على المستوى التركيبي أو الاستبدالي... وإن في ذلك من المرونة والتوسع ما يمكن المتكلم من التعبير عن مختلف المعاني التي يريدها والأغراض والحاجات التي يقصدها"<sup>2</sup>.

ولذا فالإعراب إذاً مظهر من مظاهر الثراء في العربية والتوسع بالمعاني فيها، فهو من خصائص العربية إذ أعطاه "مساحة واسعة للتعبير عن المعنى، فلا يعبر عن المعنى بعبارة واحدة ولا بطريقة واحدة، بل يعبر عنه بعبارات عدة وبطرائق مختلفة، وهذه العبارات لا تؤدي معنى متماثلاً البتة، بل إن كل عبارة تختلف عن معنى العبارة الأخرى شيئاً من الاختلاف قليلاً أو كثيراً"<sup>3</sup>.

ولعل أبرز ظاهرة اهتم بها المفسرون وفي طليعتهم الزمخشري، توضح لنا العلاقة بين الإعراب والمعنى وأوجه الاختلاف بين العلامات الإعرابية هي القراءات القرآنية، فقد جعل الإعراب أساساً مهماً في توجيه النص القرآني، والحفاظ عليه من اللحن والتحريف، وبيان الأسرار التي توحى بها الكلمة القرآنية ذات التقلبات الإعرابية المختلفة إذ تفتح على معانٍ أوسع ودلالات مختلفة وهذا مظهر من مظاهر التوسع والانفتاح في المعاني. وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال عدد من الأمثلة التي اختلفت الأداءات القرآنية حولها وتعددت معانيها الدلالية عند الزمخشري في تفسيره الكشاف.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 257.

<sup>2</sup> الطيب دبة، خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، ص 214.

<sup>3</sup> صالح فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار بن حزم، لبنان، ط1، 2000 م، ص 237.

وقد أعمل الزمخشري البلاغة في ميدان القراءات للوقوف على نظم القرآن وبيان أسراره واثراء المعنى وتوسيعه. وهذا ما سيتجلى لنا من بعض الأمثلة التطبيقية:

- وفي تفسير الزمخشري لقوله تعالى:

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>1</sup>

ذهب الزمخشري في إعراب محل الشاهد (غير) على وجهين:

- الوجه الأول: الجر على البدل من الذين.

- الوجه الثاني: الجر على الصفة ل الذين<sup>2</sup>.

وهناك من يرى أن الجر على البدل من الضمير (هم) في (عليهم)<sup>3</sup>.

المعنى الإعرابي الأول:

المنعم عليهم هم المسلمون الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام، وعن ابن عباس أنهم أصحاب موسى قبل أن يغيروا، وقيل هم الأنبياء، وعلى هذا فالمنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله ومن الضلال<sup>4</sup>.

وإذا وجه إلى ذلك كانت (غير) محفوظة بنية تكرير الصراط الذي خفض (الذين) عليها، كأنك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة الفاتحة، الآية: 7. 8.

<sup>2</sup> ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتح: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط 1، 1988، ج 1 ص 53.

<sup>3</sup> ينظر: مكّي بن طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: ياسين محمد الواس، د ط، دمشق، 1984، ج 1، ص 13.

<sup>4</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 122.

<sup>5</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ج 1، ص 181.

المعنى الإعرابي الثاني:

صفة للموصول على أنه عبارة عن إحدى الطوائف المذكورة المشهورة بالإنعام عليهم، وباستقامة المسلك، ووصفوا بذلك إيدانا بأن السلامة مما ابتلى به أولئك نعمة جليلة في نفسها، على أن المنعم عليهم جمعوا بين النعمة المطلقة نعمة الإسلام والإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال<sup>1</sup>.

فالعلامة الإعرابية واحدة وهي الجر، ولكنها تأرجحت بين وظيفتين (البديلة) و(الوصفية) ولكل واحدة منهما معنى خاصا مغايرا للمعنى الآخر.

وفي تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ﴾<sup>2</sup>

ذهب الزمخشري في إعراب محل الشاهد (خطأ) على النصب، من ثلاث وجوه إعرابية مختلفة يختلف المعنى التفسيري فيها تبعا للمقاصد والأغراض:

- الوجه الأول: على أنه مفعول له.

- الوجه الثاني: على أنه حال.

- الوجه الثالث: على أنه صفة للمصدر. إلا قتلا خطأ.

المعنى الإعرابي الأول: أي ما ينبغي له أن يقتله لعله من العلل إلا للخطأ وحده.

المعنى الإعرابي الثاني: أن لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ.

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 122، و أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت، ج 1، ص 19.

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 90.



المعنى الإعرابي الثالث: أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل ابتداءً ألبتة، إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد، بأن يرمي كافراً فيصيب مسلماً.<sup>1</sup>

وأما في تفسير قوله تعالى:

﴿الْمَصِّ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>2</sup>

ذهب الزمخشري في إعراب "ذكرى" على ثلاثة أوجه، على النصب، وعلى الرفع وعلى الجر، إذ يقول "فإن قلت: فما محل ذكرى؟ قلت: يحتمل الحركات الثلاث، النصب بإضمار فعلها، كأنه قيل: لتنذر به وتذكر تذكيراً، لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير، والرفع عطف على كتاب، أو بأنه خبر مبتدأ محذوف، والجر للعطف على محل أن تنذر، أي للإنذار والذكر"<sup>3</sup>.

- فالنصب فهو على معنى أنزل لتنذر به وذكرى للمؤمنين، أي ولتنذر به ذكرى، لأن في الإنذار معنى التذكير.

- أما الجر فهو على معنى لتنذر، لأن معنى "لتنذر" لأن تنذر فهو في موضع جر، للإنذار والذكرى.<sup>4</sup>

وفي تفسير قوله تعالى:

﴿يَبِينُ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِءُ سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّفْوِيءِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ - آيَةِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 124 - 125.

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآية: 01.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 422.

<sup>4</sup> الزجاجي، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988م، ج2، ص 315 - 316.

<sup>5</sup> سورة الأعراف، الآية: 25.

ذهب الزمخشري في إعراب محل الشاهد " لباس التقوى " على الرفع من جهتين، وعلى نصب من جهة فيقول: " ولباس الورع والخشية من الله، وارتفاعه على الابتداء، وخبره إما الجملة التي هي (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير، لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر، وأما المفرد الذي هو خير، وذلك صفة للمبتدأ، كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه خير، ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى، أو أن تكون إشارة إلى اللباس الموارى للسوءة، لأن اللباس الموارى للسوءة من التقوى تفضيلاً له على لباس الزينة، وقيل: لباس التقوى: خير مبتدأ محذوف، أي وهو لباس التقوى، ثم قيل: ذلك خير... وقرئ ( ولباس التقوى ) بالنصب عطفاً على لباساً وريشاً<sup>1</sup>.

- فالمعنى الإعرابي للنصب عطف على اللباس والريش ويكون المعنى: أنزلنا عليكم لباس التقوى.
  - والمعنى الإعرابي بالرفع على الابتداء يكون: ولباس التقوى المشار إليه خير.
  - أما المعنى الإعرابي بالرفع على أنه خبر فيكون: هو لباس التقوى، أي وستر العورة لباس التقوى<sup>2</sup>.
- وفي قوله تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْفَرِيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾<sup>3</sup>.

- ذهب الزمخشري في إعراب محل الشاهد (المستضعفين): على وجهين:
- الوجه الأول: أن يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله.
  - الوجه الثاني: أن يكون منصوباً على الاختصاص.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 435.

<sup>2</sup> ينظر: الزجاجي، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص 328-329.

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 74.

المعنى الإعرابي الأول: أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين.

المعنى الإعرابي الثاني: أي واختص في سبيل الله خلاص المستضعفين، لأن سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه، والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدّهم المشركون عن الهجرة.<sup>1</sup>

وأما في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>2</sup>.

يقول الزمخشري في إعراب محل الشاهد ( فتصبح ) فماله رفع ولم ينصب جواباً للإستفهام؟

لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض، لأن معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثال أن تقول لصاحبك: أم تر أي أنعمت عليك فتشكر: إن نصبته فأنت ناف لشكره شك تفريطه فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر، وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله<sup>3</sup>.

ومن هنا يظهر لنا أن الرائد عند الزمخشري في تحليله هو " المعنى والنحو خادمه. فلا ينساق وإن تعددت أوجه التحليل النحوي، وراء الصياغة النحوية فيحيف عن جانب المعنى، فهو يفضل الوجه النحوي الذي يفيد معنى قويا، ويتجنب التأويلات التي تسف المعنى وتسيء إلى النظم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 107 . 108.

<sup>2</sup> سورة الحج، الآية: 61.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 209.

<sup>4</sup> محمد المهدي حمامي الرفاعي، السياق في كتب التفسير، الكشاف وتفسير ابن كثير أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة حلب، دمشق، ص 112.

كما يمكننا القول أن الزمخشري وإن كان يعتمد على اللغة والنحو والبلاغة والقراءات ويوجهها توجيهها يخدم مذهبه، إلا أنه كان يرجح القراءات التي تتفق والسياق والمعنى، وتحافظ على جماليات الأسلوب القرائي وبلاغته<sup>1</sup>.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن التعدد في المعاني الإعرابية يوحي باختلاف المعاني والتأويلات، وهذا إن دل إنما يدل على مرونة النظام اللغوي وحيويته، إذ يوفر للمتلفظ الآلية اللغوية الكفيلة بتوجيه مقصديته ضمن مجموعة من الآليات والاختيارات والاحتمالات الإعرابية المتاحة، وهذا ما يعد مظهراً من مظاهر الانفتاح في السياق اللغوي.

<sup>1</sup> ينظر: مسعود بودوخة، دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، عالم الكتب الحديث، إربد. الأردن، ط1، 2011م، ص 05-06.

2/ أثر قصد المتلفظ في توجيه دلالة التقديم والتأخير:

يقتضي النظام اللغوي أثناء إنجاز أي ملفوظ أو تركيب أن تنتظم العناصر المكونة له في جملة فعلية فتتكون من فعل وفاعل ومفعول، أو في جملة اسمية فتتكون من مبتدأ وخبر، ولكن اللغة العربية تتيح للمتكلم إضفاء حركية على الملفوظ بتغيير بعض عناصره فتعطي النظام التركيبي للملفوظ مرونة وحيوية ودقة في تحديد المعاني وتوسيع دلالات الكلام فيتولد عن كل تقديم وتأخير معنى جديد. عكس ما نجد في كثير من اللغات الأخرى التي تتميز أنظمتها اللغوية بالتمطية فلا مجال فيها لخاصية التقديم والتأخير، والتوسع في دلالات الكلام، و انفتاح المعاني.

فلا يتبع المتكلم أو المتلفظ استراتيجية واحدة في التعبير عن أغراضه ومقاصده، ومن هنا فاستراتيجية التقديم والتأخير ظاهرة من ظواهر اللغة التي يتدخل فيها الإعراب، حيث " يعطي المتكلم حرية التصرف في البناء التركيبي للجملة (الملفوظ) ويمنحه سعة في التقديم والتأخير، حيث اقتضى المقام البلاغي ذلك مع احتفاظ كل كلمة من ذلك البناء بمعناها الذي تؤديه، ولا يكفي في ذلك رتبة الكلمة، ما لم تمنح الحركة الإعرابية التي تضي عليها المعنى"<sup>1</sup>.

فخاصية الإعراب " قرينة كبرى تحصل بها إمكانية التوسع بالتقديم والتأخير، وتمتنع بوجودها قرينة الرتبة إلا فيما يدخل على التركيب من الطوارئ، فقد يطرأ على الرتبة غير المحفوظة ما يدعو إلى حفظها مما يخشى معه اللبس مثل ( ضرب عيسى موسى ) فالطارئ هنا هو غياب العلامة الإعرابية وقد يكون الطارئ مخالفة حكم من أحكام الباب كالتقديم الواجب في الخبر مثل قولنا ( عندي درهم ) لورود المبتدأ نكرة والأصل فيه أن يعرف، وكورود الفاعل ضميراً في مثل قولنا ( زرت محمدا )"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد القادر السعدي، أهداف الإعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، مج جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، ع 37 جمادى الثانية، 1424 هـ، ص 568.

<sup>2</sup> الطيب دبة، خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، ص 214.

وقد كان التقديم والتأخير ميدانا حافلا بالدراسة شغل به العلماء القدماء حيث يقول سيبويه في باب الفعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول: " وذلك قولك: ضرب عبدُ الله زيدًا. فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل. فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرًا في اللفظ. فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدا، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهو بيانه أعنى، وإن كان جميعا يهماهم ويعنيانهم"<sup>1</sup>.

فسيبويه يرى أن التقديم والتأخير يكون لغرض الاهتمام.

أما ابن يعيش فيرى: " أن الإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها ألا ترى أنك لو قلت : ضرب زيد عمرا، بالسكون من غير إعراب لم يعلم الفاعل من المفعول، ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول يتأخر، لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب ألا ترى أنك تقول : ضرب زيد عمرا، وأكرم أخاك أخوك فيعلم الفاعل برفعه، والمفعول بنصبه سواء تقدم أو تأخر"<sup>2</sup>.

فابن يعيش يؤكد على أهمية الإعراب في توجيه المعنى والدلالة عليه من جهة، ودور الإعراب في الاتساع من خلال خاصية التقديم والتأخير من جهة ثانية.

أمّا عبد القاهر الجرجاني فيصف باب التقديم والتأخير بأنه " باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتّر لك عن بدیعة، ويفضي إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان. واعلم أن تقديم الشيء على وجهين:

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج1، ص 34.

<sup>2</sup> ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 72.

- تقديم يقال إنه على نية التأخير: وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدم على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد، وضرب عمرا زيد. ومعلوم أن ( منطلق ) و ( عمرا ) لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخرت.

- وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا. ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة : زيد المنطلق. وأخرى: المنطلق زيد. فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ...<sup>1</sup>.

ثم يواصل الجرجاني حديثه موجهها سهام نقده إلى سابقه من النحاة ويخص بالذكر إمام النحاة سيبويه إذ يقول: " واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال (صاحب الكتاب)، وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهملانهم ويعنيانهم"<sup>2</sup>.

وقد وضع عبد القاهر الجرجاني الغاية من التقديم والتأخير حيث يقول " وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبما كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه. حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه، والنظر فيه ضرباً من التكلف. ولم تر ظناً أزرى على صحبه من هذا وشبهه، وكذلك صنعوا في سائر الأبواب..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 85-86.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 86.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 87.

فغاية التقديم والتأخير عند الجرجاني لا تتوقف على العناية والاهتمام بالمتقدم فقط ومن هنا " فإن الذي يسعى عبد القاهر الجرجاني إلى التنبيه إليه، في هذا النص، أن مزية التقديم والتأخير ليست محصورة في العناية بالمتقدم فحسب بل هي في كونه إجراء مبنويا اختيارا يفتح على جملة من المعاني النحوية الدقيقة التي يجد فيها المتكلم ضالة البيان الكافي بما يحصل به التفاوت والتباين ويجد فيها السامع الفهم الدقيق والمتعة الرائقة"<sup>1</sup>.

فبعد القاهر لا ينظر إلى البنية التركيبية، بل إلى ما تؤديه من معاني وما يتوقف على ذلك من خفايا وأسرار لا تنجلي إلا بعمق النظر" ويبدو لنا أن إدراك عبد القاهر الجرجاني لسياقات التقديم والتأخير قائما على نظرة عميقة إلى عنصرين قائمين في الصياغة، هما: الثابت والمتغير، يتمثل الثبات في تواجد أطراف الإسناد وما يتصل بها من متعلقات، أما المتغير فيتمثل في تحريك بعض هذه الأطراف من أماكنها الأصلية التي اكتسبتها من نظام اللغة إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل، كما يتمثل هذا التغيير أحيانا في تثبيت أحد الأطراف في مكانه الأصلي وإعطائه حتمية يمنع معها نقله أو تحريكه، وهذا يمثل تغيرا، لأن اللغة العربية لا تلتزم بحتمية في ترتيب أجزاء جملها"<sup>2</sup>.

ولما نتكلم عن التقديم والتأخير عند الزمخشري يمكننا القول أن الزمخشري لم يكن بعيدا عن الجرجاني فقد استوعب فكره وطبق منهجه في تفسيره لآي القرآن مبينا من خلاله المعاني التداولية الدقيقة التي ينبئ بها التقديم والتأخير متمثلا في تحليلاته المنهج الوظيفي التداولي.

وقبل الحديث عن دلالة التقديم والتأخير ينبغي القول: أن " المعاني المعبر عنها بالتقديم والتأخير صنفان: معان ترتبط بالعلاقات الداخلية لوحدات الجملة في السياق اللغوي ولا تتعداها، ولذا فهي معان محصورة ومحددة، وقد تكلم عنها البلاغيون ووضعوا لها القواعد فيما انصرف عنها النحاة وأهملوها، ومعان لا حصر لها ولا حد لأن العبارة ترتبط فيها بسياق المقام الذي تتعدد فيه أحوال التعبير بتعدد المتخاطبين وتعدد ظروف مخاطبتهم"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الطيب دبة، خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، ص 211.

<sup>2</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة الأسلوبية، ص 333.

<sup>3</sup> الطيب دبة، خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، ص 212-213.



فالتقديم والتأخير هو آلية تعبر قصد المتكلم وغرضه، ومظهر من مظاهر انفتاح المعاني مما يكسب اللغة مرونة ويتيح للمتلفظ القدرة على التعبير عن حاجاته وأغراضه، وهذا ما سيتجلى لنا من خلال تحليلنا لبعض النماذج في تفسير الكشاف.

- يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَبُورٌ ﴾<sup>1</sup>. "فإن قلت: هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذه الآية أو أحر؟ قلت: لا بد من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله، كقوله تعالى ( ولا يخشون أحدا إلا الله ) وهما معنيان مختلفان"<sup>2</sup>.

ففي قوله تعالى ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) حصر للخشية بالعلماء كأنه قيل: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، أمّا إذا قدمت الفاعل، فإن المعنى ينقلب إلى أنهم لا يخشون إلا الله، وهما معنيان مختلفان.<sup>3</sup> أي أن من يخاف الله ويتقي عقابه بطاعته، العلماء على من يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه.<sup>4</sup>

وقد حلل الجرجاني هذه الآية بقوله: " ففي تقديم اسم الله عز وجل معنى، خلاف ما يكون لو أحر، فتقديم اسم الله تعالى إنما كان لأجل أن الغرض أن يبين الخاشعون من هم، ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم، ولو أحر ذكر اسم الله، وقدم العلماء، لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشي من هو، والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآية: 28.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 154.

<sup>3</sup> ينظر: محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط 3، 1995، ج 11 ص 270 - 271.

<sup>4</sup> ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص 364.

مقصورة على العلماء، وأن يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية، بل كان يكون المعنى أن غير العلماء يخشون الله تعالى أيضا، إلا أنهم مع خشيتهم الله تعالى يخشون معه غيره<sup>1</sup>.

يبدو أن كلا من الزمخشري والجرجاني قد تنبها إلى الفرق الدقيق الذي حصل في المعنى من خلال تقديم المفعول به (الله) على الفاعل (العلماء) فالتقديم والتأخير لم يحدث اعتبارا وإنما جاء لأداء مقصد وغرض معين، ولولا وجود الإعراب ودلالته لالتبس المعنى إذ دل الرفع على أن العلماء (فاعل) ودل النصب على أن (الله) مفعول به مقدم. فالزمخشري يحلل الشاهد تحليلا وظيفيا ينبئ من خلاله عن المقصد أو الغرض من تقديم المفعول به عن الفاعل.

فالزمخشري يرجع الأغراض والمقاصد التداولية التي ينبئ عليها التقديم والتأخير إلى السياق والنظم، فنراه في تحليله الملفوظات يتحدث عن المعنى الأصلي للملفوظ، والمعنى الذي ينبئ عليه التقديم والتأخير، ثم يقارن بينهما، آخذا بالمعنى المقصود.

- وأما في تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِبُونَ وَالنَّاصِرِيُّ مَسْ- اَمَسَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا قَلِيلًا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>2</sup>.

يقول الزمخشري: " ( والصابون ) رفع على الابتداء، وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين ءامنوا والذين هادوا والناصرى حكمهم كذا، والصابون، كذلك، وأنشد سيبويه شاهدا له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها؟ قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيدا أو عمرا منطلقان، فإن قلت: لم لا يصح والنية به التأخير، فكأنك قلت: إن زيدا منطلق وعمرو؟ قلت: لأني إذا رفعت، رفعت عطفًا على محل إن واسمها،

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 227-228.

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 71.

والعامل في محلهما هو الابتداء، فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين ... فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم وإن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم. وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا، وما سمو صابئين إلا لأنهم صبغوا عن الأديان كلها أي خرجوا، كما أن الشاعر قدم قوله ( أنتم ) تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو ( بغاة ) لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم، مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما. فإن قلت: فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلًا، قلت: لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء، لأنه لا إزالة فيه عن موضعه، وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه"<sup>1</sup>.

فالزخشي في تحليله محل الشاهد (الصابئون) يسعى إلى الوصول إلى خفايا النظم وأسراره من خلاله وقوفه على الفروق والوجوه التي يقتضيها الملفوظ في السياق، للدلالة على الغرض التداولي المقصود من هذا التقديم والتأخير وهو التنبيه. ولو كان الملفوظ عكس هذا لما أفاد هذا الغرض ولا ما أبان عن قصد التلفظ وغرضه وهو ما عبر عنه الزخشي بمصطلح (النية).

وقد يعمد الزخشي إلى المقارنة بين ملفوظ وملفوظ لبيان الفرق الدقيق في المعنى، وتحديد الغرض المقصود، إذ قول في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ لَأَرْبَابَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّفِينِ ﴾<sup>2</sup> " فإن قلت: فهلا قدم الظرف على الرب، كما قدم على الغول في قوله تعالى ( لا فيها غول) قلت: لأن القصد في إيلاء الرب حرف النفي، نفي الرب عنه، وأثبت أنه حق وصدق لا باطل و كذب، كما كان المشركون يدعون، ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد، وهو أن كتابا آخر فيه الرب لا فيه، كما

<sup>1</sup> الزخشي، الكشاف، ج2، 273.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 01.

قصد ( لا فيها غول ) تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي، كأنه قيل: ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة<sup>1</sup>.

فقد بين الزمخشري الفرق الدقيق بين قولنا ( لا فيه ريب ) و ( لا ريب فيه ) ليدل على الغرض المقصود، وهو نفي الريب عن كتاب الله، ولو كان الكلام عكس ذلك لاحتمل أن يكون فيه الريب.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَٰأَبْرَاهِيمُ ﴾<sup>2</sup> يقول الزمخشري: " وقدم الخبر على المبتدأ، لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد"<sup>3</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسِفِيَهُ مِمَّا خَلَفْنَا أَنْعَمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾<sup>4</sup> يقول الزمخشري: " فإن قلت: لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي؟ قلت: لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم، وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم، لم يعدوا سقياهم"<sup>5</sup>.

فالتقديم والتأخير عند الزمخشري قد أبان عن مقصدية التلفظ، ولم يقتصر فيه على بيان الأهم وهو المقدم، وإنما يخرج إلى أغراض بلاغية تداولية عديدة تعرف من سياق الكلام.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 145.

<sup>2</sup> سورة مريم، الآية: 46.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج4، ص 25.

<sup>4</sup> سورة الفرقان، الآية: 49.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج4، ص 361.

وفي قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>1</sup> يقول الزمخشري: " قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجلن وذلك لأن الملك على الحقيقة له، لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه، وكذلك الحمد، لأن أصول النعم وفروعها منه، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداء بنعمة الله جرت على يده"<sup>2</sup>.

فتقدم الظرف في الآية السابقة كان لأجل غرض تداولي وهو الاختصاص، ليدل على أن الملك والحمد من اختصاص الله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد من عباده، ولهذا فإن تقدم الظرف أدى إلى غرض ومقصد، ولو أحر الظرف لما حصل هذا المعنى ولا ما أبان المتلفظ عن قصده.

وأما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾<sup>3</sup> يقول الزمخشري: " فإن قلت: ما معنى تقدم الظرف؟ قلت: معناه التشديد في الوعيد، وأن إياهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه، وهو الذي يحاسب على النقيير والقطمير."<sup>4</sup> فالغرض المقصود عند الزمخشري من تقدم الظرف هو التشديد في الوعيد، ولو تأخر الظرف لانتفى هذا القصد.

<sup>1</sup> سورة التغابن، الآية: 1.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف ج6، ص 130.

<sup>3</sup> سورة الغاشية، الآية: 25 . 26.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج6، ص 366.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنِّي كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﴾<sup>1</sup> يقول الزمخشري: " فإن قلت: ما فائدة تقديم خبر إن على اسمها؟ قلت: القصد إلى توييح بعض المؤمنين على ما استهجن الله من استتباع رأي رسول الله لأرائهم، فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه"<sup>2</sup>.

فقد بين الزمخشري المراد من تقديم الخبر للوصول إلى الغرض التداولي الذي يسعى المتلفظ للتعبير عنه في هذا السياق وهو التوييح.

لم تخرج دلالة التقديم والتأخير عند الزمخشري عن السياق والمقام، فدلالة التقديم والتأخير عنده توحى بأغراض تداولية متباينة، كإهتمامه والعناية والتخصيص والتوكيد والتنبيه... دونما الخروج عن النظم وأحكام النحو ومعانيه ووجوهه المختلفة للتعبير عن المقاصد والأغراض، والتأثير في المتلقي. فالعدول في التراكيب والملفوظات الغرض منه هو إبراز أثر هذه الملفوظات في لفت انتباه السامع.

فالتقديم والتأخير عند الزمخشري هو آلية تبرز مدى مرونة الاستعمال اللغوي، كما أنه يعطي المتلفظ الكثير من البدائل والخيارات للتعبير عن أغراضه ومقاصده، وذلك في ضوء مراعاته لظروف التلفظ وأحواله ومقتضياته.

ولذا يمكن القول أن المتكلم لا يسعى إلى تحريك عناصر اللغة جزافاً، وإنما يلجأ إلى هذه الآلية التداولية وهي التقديم والتأخير، للتعبير عن الأغراض والمقاصد وفقاً للسياق، والمقام، وظروف وملابسات التلفظ.

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية: 7.

<sup>2</sup> المصدر السابق نفسه، ج5، ص 568.

3/ أثر قصد المتلفظ في توجيه دلالة الصيغ الصرفية:

إن من خصائص النظام الصرفي في اللغة العربية تلك الصيغ الصرفية ومعانيها الوظيفية التداولية، التي تعتبر مظهراً من مظاهر الانفتاح في النظام اللغوي " فقد تخرج الصيغة عن معناها الصرفي الأصلي إلى معاني فرعية يفتح بها الكلام على أغراض تعبيرية خاصة، وهذا ما يمثل جهات الانفتاح في المستوى الصرفي... ويزر الانفتاح ههنا في حرية المتكلم حينما يتصرف في صيغ الكلام بما يخرج بها عن الأصل ولكن في ضوء ما يسمح به النظام وتقره المواضع والاستعمال. <sup>1</sup> ومن هنا يمكن القول أن للسياق أثر في إبراز المعاني التي تدل عليها المباني الصرفية، فالتلفظ لما يعدل عن صيغة صرفية إلى صيغة أخرى، يؤدي هذا بالضرورة إلى العدول عن معنى إلى معنى آخر، يريد المتلفظ التعبير عنه، ويكون السياق هو الفيصل في التفريق بين هذه المعاني الصرفية.

وسنحاول من خلال بعض الأمثلة الوقوف على دلالات الصيغ الصرفية عند الزمخشري وأسرارها في النص القرآني، والوقوف على الوجوه والفروق التي يوحى بها التباير في البنى الصرفية ومقاصد العدول الصرفي وسياقاته التداولية، فكثير من الشواهد التي ذكرها الزمخشري نجد فيها سياق التركيب أو الملفوظ يرد ابتداء بالفعل الماضي ثم يتحول عنه إلى المضارع أو الأمر في السياق نفسه، وكذلك الاختلاف بين الدلالة الاسمية والدلالة الفعلية. كما أنه يأخذ في تحليلاته خصوصيات ومقتضيات التخاطب.

- الفرق بين صيغتي الاسم والفعل:

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ <sup>2</sup> " فإن قلت هل من فرق بين (يسبحن) و(مسبحات)؟ قلت: نعم. وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيء بعد شيء وحال بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح. ومثله قول الأعشى (من الطويل)

<sup>1</sup> الطيب دبة، خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، ص 219.

<sup>2</sup> سورة ص، الآية: 17-18.

إلى ضوء نار في يفاع تَحْرُقُ .....

ولو قال: محرقة، لم يكن شيئاً. وقوله ( محشورة ) في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما لم كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء، جيء به اسماً لا فعلاً. وذلك أنه لو قيل: وسخرن الطير يحشرن، على أن الحشر يوجد من حشرها شيئاً بعد شيء، والحشر هو الله عز وجل، لكان خلفاً، لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة<sup>1</sup>.

فالزخشي يشير هنا إلى الفرق بين الصيغتين فهو " يبرر اختيار صيغة الفعل على الاسم في تسبيح الجبال وصيغة الاسم على الفعل في حشر الطير لإبراز فنية و مقصدية هذا الاختيار، خصوصاً و أن الآية تتحدث في هذا السياق عن نعم الله على نبيه داوود. وفي قوله تعالى (وإن كل شيء يسبح بحمده) يقتضي أن تسبيح الجبال دائم لأنها من المخلوقات التي يشملها سياق الآية، ولكن في اختياره لدلالة الفعل الدالة على التجدد في ( يسبحن ) دلالة على أن التسبيح المقصود من الجبال ليس هو ذلك التسبيح الدائم. بل هو تسبيح خاص يتجدد بتجدد التسبيح من داوود، وكذلك بالنسبة للطير فإن من شأنها الحركة وسرعة التنقل من مكان إلى مكان، ومن هنا كان اختياره للتعبير عن حشرها بصيغة الاسم دون الفعل للدلالة على أنه حين تحشر وتتجمع لتجاوب تسبيح داوود تكاد تفارق طباعها، فتثبت في مكان حشرها خاشعة لا تكاد تريم<sup>2</sup>.

فقد بين الزخشي في هذا المثال المعاني التي أوحى بها العدول في الصيغة الصرفية بين الاسم والفعل، فهذا الفرق عنده يوحي بغرض تداولي مقصود لا تظهر مزيمته إلا عند مقارنته بصيغة أخرى يمكن أن تؤدي وظيفتها في السياق نفسه.

<sup>1</sup> الزخشي، الكشاف، ج5، ص 250.

<sup>2</sup> ينظر: حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م، ص 169.



يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنۢ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۗ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۗ ۱ ﴾ " فإن قلت: لأي فائدة أوتر اسم المفعول على فعله؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وأثبت أيضا لإثبات الجمع إلى الناس، وأنهم لا ينفكون منه، ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوب مالك محروب قومك، فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله ( يوم يجمعكم ليوم الجمع ) تعثر على صحة ما قلت لك" 2.

فالملاحظ على الزمخشري في تفسيره إلى الآية أنه ينظر إلى الفروق والوجوه التي يحتملها السياق الواحد حتى تظهر له مزية الوجه المختار المناسب للغرض المقصود، ومن هنا فدلالة اسم المفعول دلت على المعنى الذي يرتضيه سياق الآية ومقامها الذي يصور لنا هول ذلك اليوم المشهود والموعود، ولو عبر عنه بدلالة الفعل مثلا ( ذلك يوم يجمع له الناس ) لانتفى المعنى المراد. لأنه مرتبط بمقام خاص وغرض معين.

- الفرق بين صيغتي الفعل الماضي والفعل المضارع:

من الصيغ التي تكلم عنها الزمخشري صيغتي الفعل الماضي والمضارع فبين الفروق والوجوه التي تكون بين صيغ الفعل المختلفة ومدى ملاءمتها للسياق والمقام.

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ بَقَرَعٌ مِّنۢ فِي السَّمٰوٰتِ وَمِنۢ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنۢ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دٰخِرِينَ ۗ ۳ ﴾ " فإن قلت: لم قيل: ففرع دون فيفرع؟ قلت: لنكتة وهي الاشعار بتحقيق الفرع وثبوته وأنه كائن لا محالة، واقع على أهل السموات والأرض، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به. والمراد فرعهم عند النفخة الأولى" 4.

1 سورة هود، الآية: 103.

2 الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 234-235.

3 سورة النمل، الآية: 89.

4 المصدر نفسه، ج1، ص 476.

فالعدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي كان له أثر في التعبير عن المعنى المقصود، فصيغة الماضي تدل على تحقق الأمر ووقوعه. أما صيغة المضارع فتدل على تحقق الأمر في اللحظة التي يعيشها أو يقصد تصويرها المتلفظ. ومن هنا يتجلى لنا أثر الدلالة الزمنية للفعل في المعنى كما تصورها الزمخشري، حيث أن الآية كانت " تتحدث عن يوم البعث الذي أنكره وجادل فيه قوم واستبطأه آخرون، ومن ثم كان اختيار صيغة الماضي في التعبير عن فزع المخلوقات كلها في هذا أوقع في الرد على المنكرين، ودحض أوهام المستبطين.<sup>1</sup> " ومن ثم كانت صيغة الماضي هي الملائمة للسياق والغرض المراد.

ويقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَيُسْفِنُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ الْنُّشُورُ ﴾<sup>2</sup> " فإن قلت: لم جاء (فتثير) على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح و السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية، بحال تستغرب، أو تهم المخاطب، أو غير ذلك"<sup>3</sup>.

في هذه الآية بين لنا الزمخشري دلالة معنى العدول عن صيغة الفعل الماضي إلى الفعل المضارع وهذا للوصول إلى الغرض المقصود المناسب للسياق والمقام فيستحضر لنا مشهد التلفظ ومقتضيات التخاطب من خلال حديثه عن الغرض وأثره على المخاطب. فكانت دلالة صيغة الفعل المضارع هي " التعبير عن إثارة الرياح وذلك لما في تلك الصيغة من قدرة على تصوير تلك السحب التي تتجدد إثارتها بالرياح، فهي إحدى الصور الكونية التي على الانسان أن يتأملها كي يستجلي فيها عظمة الله وقدرته"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص 171.

<sup>2</sup> سورة فاطر، الآية: 9.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 142.

<sup>4</sup> حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص 171.

- دلالة الجملة الاسمية والجملة الفعلية:

لم يتوقف الزمخشري في تحليلاته عند دلالة صيغة الفعل والاسم والفروق والوجوه التي توحى بها، بل تعدى ذلك إلى ملاحظة الوجوه والفروق بين دلالاتي الجملة الاسمية والجملة الفعلية وبين من خلالها أن دلالة الجملة الفعلية تدل على الحركة والتجدد، مثل فعلها، ودلالة الجملة الاسمية تدل على الثبوت والاستقرار مثل اسمها.

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup> "فإن قلت كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو؟ قلت: لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها"<sup>2</sup>.

فالمعنى المقصود من سياق الآية هو ثبوت المثوبة واستقرارها، ومنه فدلالة الجملة الاسمية هي الصيغة الملائمة لهذا المعنى، ولو عبر عنه المتلفظ بالجملة الفعلية لما أبان عن المعنى المقصود.

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيَكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ﴾<sup>3</sup> "فإن قلت: هلا قيل: أم صمتم؟ ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية؟ قلت: لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر، دعوا الله دون أصنامهم، كقوله تعالى ( وإذا مس الناس ضر )، فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إن دعوتهم، لم تفترق الحال بين احداثكم دعائهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتمكم عن دعائهم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 103.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، 307.

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية: 193.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 543.

فالجملة الاسمية ( أم صتمم ) لم تكن تلائم السياق والغرض المراد من الآية لذا عدل المتلفظ عنها إلى الجملة الاسمية للدلالة على الثبوت والاستقرار وهذا هو المعنى المراد من سياق الآية.

ويقول الزمخشري أيضا في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَّالِدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَّالِدِهِ شَيْئًا ﴾<sup>1</sup> " فإن قلت: قوله: ( ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه. قلت: الأمر كذلك: لأن الجملة الاسمية أكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله (هو) وقوله ( مولود )، والسبب في مجيئه على هذا السنن: أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم: قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي. فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم: أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئا، فلذلك جيء به على الطريق الآكد. ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه، لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده، لأن الولد يقع على الولد وولد الولد، بخلاف المولود، فإنه لمن ولد منك"<sup>2</sup>.

فالملاحظ من خلال تحليلات الزمخشري أنه يحتفل بالمعنى فهو عنده " المقصد الرئيس فلا يكاد يحفل باللفظ إلا قليلا، فنراه حين يبدأ بتفسير السورة يحللها إلى ألفاظها، وبإزاء كل لفظ يضع المعنى أو المعاني التي يرجحها ومن ثم يذكر معنى السياق"<sup>3</sup>.

كما يمكننا القول أن " الغرض والمقصد هو الذي يحكم شكل الخطاب وبنيته ولا يمكننا بحال عزل هذه البنية بما تكون عليه من تقديم لبعض العناصر وحذف لبعضها أو مغايرة بينها، لا يمكن عزل كل ذلك عن سياق هذا الخطاب وأغراضه ومقاصده، وهذا من باب التناسب بين الخطاب والمقام بوجه عام"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة لقمان، الآية: 32.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف ج5، ص 24 . 25.

<sup>3</sup> سماء محمود الخالدي، الزمخشري ناقدا، ص 140.

<sup>4</sup> مسعود بودوخة، دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، 104.

مظاهر الانفتاح في سياق التلفظ:

- سياق التلفظ:

إن الحديث عن سياق التلفظ يقودنا إلى الحديث عن مستوى آخر من مستويات انفتاح المعنى، وهو مستوى انفتاح المعنى في السياق المقامي (السياق الخارجي) الذي تتغير فيه المعاني بتأثير من الظروف الخارجية لمقام الكلام أو التلفظ.

فالغاية من إنشاء الملفوظ والتلفظ به هي التواصل مع الآخر "فتراكيب الكلام خيار شكلي لا يتأتى من فراغ بل يتحكم فيه علاقة المتكلم بالمتلقي وبمقام التلفظ فإننا لا نستطيع أن ننظر إلى هذه التراكيب خارج هذه الأطر الثلاثة (المتكلم، والمتلقي، والمقام)"<sup>1</sup>.

وإذا كانت لسانيات التلفظ لا تنظر إلى الملفوظ باعتباره قواعد معيارية أو نماذج مجردة معزولة عن سياقها التلفظي، بل تنظر إلى الملفوظات في ضوء سياقها التلفظي، وما يحيط به من ظروف وملابسات تكتنف الملفوظات أثناء العملية التلفظية بدءاً من المتلفظ والمتلقظ لهُ ودورهما في تشكيل بنية الملفوظ، والسياق العام للتلفظ، فقد راعى علماء التفسير وفي مقدمتهم الزمخشري هذه الظواهر التداولية في تحليلهم للخطاب القرآني من قبيل حديثهم عن أسباب النزول وعن المكي والمدني.

حيث رأى الكثير من الباحثين أن تناول العلماء القدماء وفي طليعتهم المفسرون لأسباب النزول وبيان المكي والمدني "يتجاوز لديهم ما يكون من تناول الخطاب القرآني في ذاته إلى ما اكتنف الخطاب من شروط خارجية وهو ملحوظ يلتقي مع ما طورته مناهج لسانية حادثة في تحليل الخطاب اللساني وخاصة ما طورته الوظيفية، والبراغماتية، ونظرية السياق، واللسانيات الاجتماعية، من مقولات كلية تقوم على أن هناك علاقة وثيقة بين الخطاب وشروطه الخارجية في المكان والزمان والانسان على اختلافها. وهو اختلاف يمثل إحدى آيات الله مصدر الخطاب القرآني"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 92.

<sup>2</sup> خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص 05.

فمعرفة المكي والمدني وأسباب النزول " هو تعرف إلى السياق بوجه، لأن سبب النزول يقودنا إلى معرفة المخاطب، ومقصدية المتكلم والموقف الدقيق الذي ورد فيه الخطاب، ومن دون المعرفة بهذه الأشياء تبقى دلالات الخطاب وقيمتها الفنية والجمالية غير واضحة لدينا تمام الوضوح"<sup>1</sup>.

وانطلاقاً مما سبق يمكننا القول أن اهتمام علماء التفسير بقضايا مثل أسباب النزول والقرآن المكي والمدني، يمكن أن تصنف ضمن السياق المقامي، وتعتبر من صميم الدراسات التداولية، إذ ربط علماء التفسير نصوص القرآن بمقاماتها الخارجية، واعتبروا ظروف وملازمات التلفظ، وزمانه ومكانه، جزءاً من فهم مقصدية الخطاب القرآني.

فمعاني ومقاصد الخطاب القرآني منها ما هو ظاهر ومنها ما هو مضمّر، ولا يمكن الوصول إلى هذه المقاصد إلا من خلال الاستعانة " بالسياق القرآني سواء ما تعلق منه بزمان ومكان النزول أو ما تعلق منه بالسياق اللساني في بعده التداولي من خلال تحديد مقاطع لغوية واقعة قبل أو بعد الوحدة اللغوية التي نفسرها أو نوولها".

وإذا عدنا إلى تفسير الكشاف، يمكننا القول أن الزمخشري قد وظف سياق التلفظ أو المقام في تحليله للخطاب التفسيري وآي القرآن، فلم ينظر إلى الخطاب القرآني على أن منجز معزول عن سياقه، ويمكننا أن نتصور سياق التلفظ عنده كالاتي:

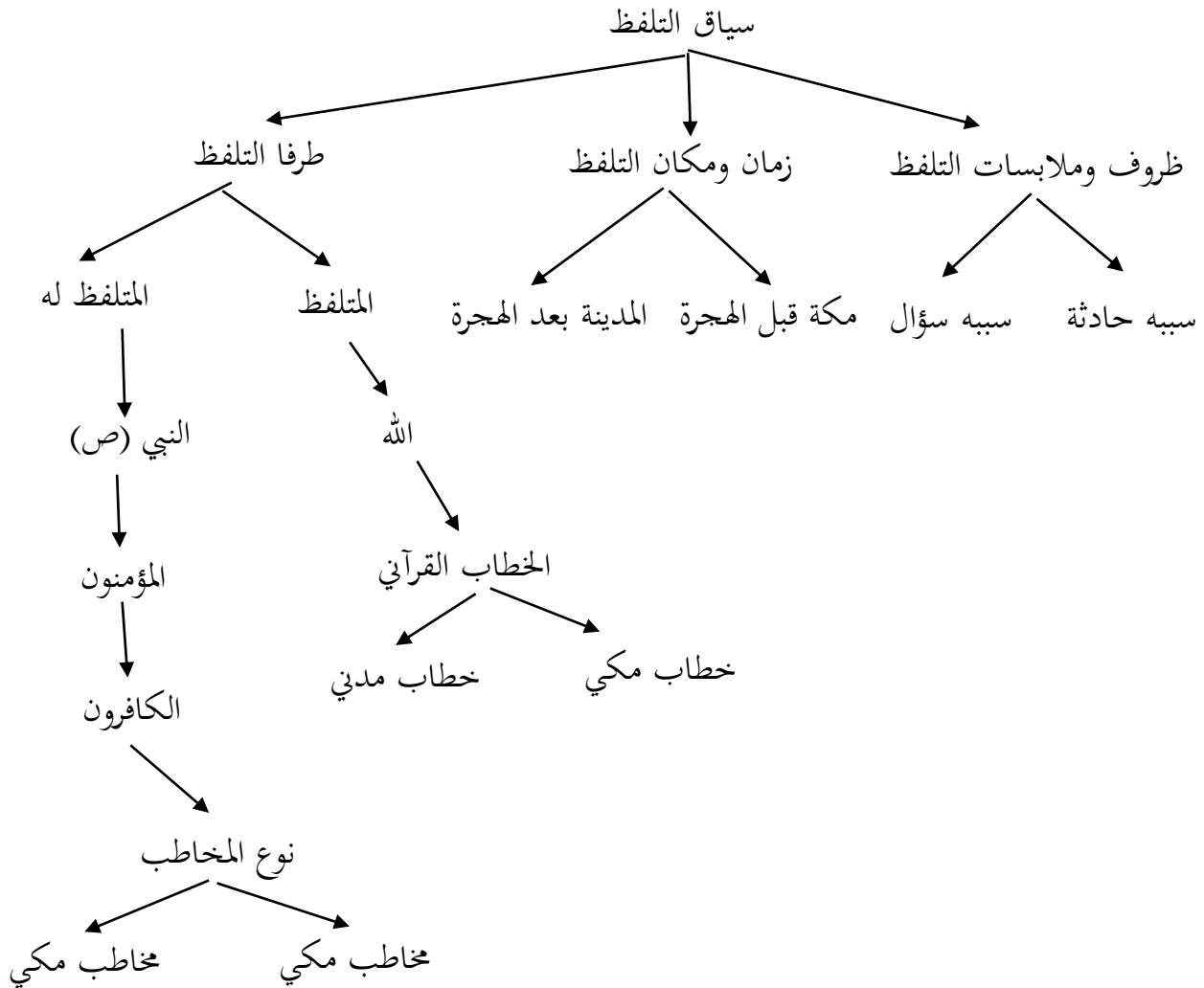
- طرفا التلفظ ( المتكلم - المخاطب )

- زمن الملفوظ ومكانه وبيئته ونوعه ( المكي - المدني )

- ظروف وملازمات التلفظ ( أسباب النزول )

<sup>1</sup> مسعود بودوخة، دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، ص 105.

ويمكن أن نتصور سياق التلفظ عند الزمخشري كما هو مبين في المخطط الآتي:



أ- طرفا التلفظ:

لقد بنى الزمخشري تفسيره الكشاف على أسس تواصلية مراعيًا في ذلك استراتيجيات التخاطب، خاصة استراتيجية الحوار التي طبعت كشافه، حيث يكثر من قول لفظ " فإن قلت "، فهذا يوحى بالمكانة الهامة التي حظي بها طرفا الخطاب أو التلفظ عنده، فدلالات الخطاب القرآني ومعانيه في الكشاف ارتبطت ارتباطًا مباشرًا بأطراف التخاطب، فلم يكن الزمخشري مما تعاملوا مع النص القرآني باعتباره بنية مغلقة ولا ممن " فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريد من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به... راعوا مجرد اللفظ من غير نظر إلى ما يصلح المتكلم به وسياق الكلام"<sup>1</sup>.

فالزمخشري أكد على إيضاح العلاقة بين الخطاب القرآني ومقامه الذي استعمل فيه مركزًا على كل ما يحكم العملية التواصلية أو يؤثر فيها.

وإذا نظرنا إلى الخطاب القرآني يمكن القول أن من أهم خصائصه ومميزاته تعدد المتكلمين فيه والمخاطبين، فتارة يكون التكلم الله ( تبارك وتعالى ) وتارة يكون نبي من الأنبياء أو متكلم آخر من العباد كما في السرد القصصي، أما فيما يخص المخاطبين فقد يكون النبي (ص) أو المؤمنون أو المشركون أو الناس كافة، وتختلف فيه الدلالات والمعاني باختلاف المتكلمين والمخاطبين و باختلاف التأويلات أيضًا، وقد تنبه الزمخشري أثر ذلك في توجيه العملية التواصلية وبيان المقاصد والمعاني فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ حَيِّدٌ﴾<sup>2</sup> يقول الزمخشري: " ذلك إشارة إلى الموت، والخطاب للإنسان ... أو إلى الحق والخطاب للفاجر، ... وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال: الخطاب لرسول الله ( ص )."<sup>3</sup> وعليه يمكن القول أن كل " ما يطرحه النص القرآني

<sup>1</sup> ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زرزور، ط2، 1972، ص 81.

<sup>2</sup> سورة: ق الآية 19.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 598.



من قضايا فإنها ترتبط بالمخاطبين في عقائدهم، وسلوكهم، وأشكال حياتهم المختلفة.<sup>1</sup> وهذا ما سنتطرق إليه من خلال ذكر بعض الأمثلة التي يظهر فيها احتفال الزمخشري بأطراف التخاطب، وأثر ذلك على المعنى في تحليله لآي القرآن الكريم.

- أثر المتلفظ ( المتكلم ) في توجيه الدلالة:

قال تعالى: ﴿وإبراهيمَ إذ قال لِقَوْمِهِ إِعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup> ذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية والآيات التي بعدها على اعتبار المتكلم، فإذا كانت الآيات من " جملة قول إبراهيم . صلوات الله عليه لقومه . وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن الرسول . ص . وشأن قريش ... فإن قلت: إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأمم قبله؟ قلت: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم... فإذا كانت خطابا لقريش... قلت: إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله"<sup>3</sup>.

فقد بين الزمخشري في تحليله لهذه الآية أن للمتكلم أثر في اختلاف المعاني، فإذا كان المتكلم إبراهيم -عليه السلام- فالمقصود هنا الأمم السابقة، أما إذا الكلام من قول الله تعالى والخطاب موجه إلى قريش، فإن إيراد قصة إبراهيم ليس إلا من باب التنفيس عن الرسول ( ص ).

وفي قوله تعالى: ﴿قَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>4</sup> يقول الزمخشري في تفسيره

لهذه الآية " ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم، فتتعلق بشرط محذوف، كأنه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، وإما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات، فيكون التقدير: فعلتم ما أمركم

<sup>1</sup> المهدي حمادي رفاعي، السياق في كتب التفسير، الكشاف وتفسير ابن كثير نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ص 214.

<sup>2</sup> سورة العنكبوت: الآية 6.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 542 . 543.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية: 53.

به موسى فتاب عليكم بارؤكم"<sup>1</sup>. فقد ذهب الزمخشري في توجيهه لهذه الآيات إلى مراعاة حال المتكلم، فإذا كان المتكلم الله تعالى كان للآية معنى خلافا لو كان المتكلم موسى فالمعنى يتغير بتغير المتكلم، كما أن أشار إلى استراتيجية من استراتيجيات التخاطب بقوله: ( وإما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ) مشيرا إلى أسلوب الالتفات كآلية من آليات التواصل له علاقة مباشرة بالمتكلم والمتلقي. في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبْنَا وَفُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِّنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾<sup>2</sup> يقول الزمخشري: " فإن قلت من المخاطبون به؟ قلت: هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين، على أن النذير بمعنى الإنذار. والمعنى ألم ياتكم أهل نذير. أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار، كأنهم ليسوا إلا إنذارا ... ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول: أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا، وأرادوا بالضلال الهلاك."<sup>3</sup> فهذه الأمثلة تدلل على الأهمية التي حظي بها المتكلم عند الزمخشري باعتباره عنصرا مهما من عناصر التلفظ، ويرتبط به القصد، ويتغير المعنى والدلالة بتغيره ولا سبيل للتعامل مع الخطاب أو تحليله إلا باستحضاره والوقوف على القرائن الدالة عليه.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 270.

<sup>2</sup> سورة الملك، الآية: 10.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج6، ص 173.

- أثر المتلفظ له ( المتلقي ) في توجيه الدلالة:

لقد حظي المخاطب باهتمام الزمخشري أيضاً، فقد أدرك الزمخشري أن الغاية الأسمى للنص القرآني هي التأثير في المتلقين، إذ لا يتصور أن يكون هناك نص دون قارئ أو متلقي، وإذا نظرنا إلى المخاطبين في النص القرآني وجدنا أن دائرتهم تتسع فهو يخاطب المؤمن والكافر والفرد والجماعة والناس كافة، وتختلف فيه استراتيجيات التخاطب باختلاف المخاطب، فخطاب المؤمن ليس كخطاب الكافر، كما أن المعنى أو الدلالة تختلف فيه أيضاً باختلاف المخاطب. ومن ينظر إلى تفسير الكشاف يدرك أن الزمخشري قد تنبه إلى هذه المسألة وأهميتها في التعامل مع الخطاب القرآني وهذا ما سنتعرف عليه من خلال هذه الأمثلة:

يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ﴾<sup>1</sup> ذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية على ثلاث اعتبارات تخضع جميعها للمخاطب ويكون المعنى فيها تبعاً له. فإذا كان المخاطب هم المسلمون فمعنى الآية: اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه. وإذا كان المخاطب هم أهل الكتاب، فالمعنى: أتموا إيمانكم لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسول وكفروا ببعض. وأما إذا كان المخاطب هم المنافقون، فالمعنى: أخلصوا في إيمانكم كأنه قال: يا أيها الذين آمنوا نفاقاً آمنوا إخلاصاً<sup>2</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ ءَ ءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ءَ يُوتِيكُمْ كِفَايَاتٍ مِّن رَّحْمَتِهِ ءَ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءَ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ءَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>3</sup> يرى الزمخشري أن الخطاب إذا كان موجه للمؤمنين من أهل الكتاب فإن المعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 135.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 163.

<sup>3</sup> سورة الحديد، الآية: 27.

وعيسى آمنوا بمحمد وصدقوا به وبكتابه، وأما إذا كان الخطاب موجه للمؤمنين، فإن المعنى يكون: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا رسوله واثبتوا على إيمانكم به<sup>1</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً بَإِن طِبَّ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾<sup>2</sup> ذهب الزمخشري إلى أن الخطاب هنا إما أنه موجه إلى الأزواج، وإما أنه موجه إلى الأولياء ثم بين أن هناك فرق في المعنى يكون حسب المخاطب، فإذا كان المخاطب هم الأزواج فالمعنى المقصود هو: آتوهن مهورهن ديانة، أي دينا من الله وشرعه وفرضه، وإذا كان المخاطب هم الأولياء فالمعنى المقصود هو: أعطوهن حقهن من المهر، لأنهم كانوا يأخذونه<sup>3</sup>.

فالخطاب القرآني يراعي حال المخاطبين ويسعى إلى التأثير فيهم، كما يعبر عن المقصد الذي يريد المتكلم إيصاله، فهو ذو علاقة مباشرة بثقافة المتلقين وواقعهم وأحوالهم، ولا بد من ذلك ليتم الاتصال بين المرسل والمتلقي، وتحقق الرسالة غايتها<sup>4</sup>.

ب- أثر زمان ومكان التلفظ وبيئته في توجيه الدلالة:

يعتبر زمان ومكان التلفظ من بين القضايا التي شغلت اهتمام المفسرين وعلى رأسهم الزمخشري لما رأوا لذلك من أهمية في توجيه الدلالة والابانة عن المقاصد في الخطاب القرآني، وقد ضمنوها في دراستهم ضمن مبحث (علم المكي والمدني).

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق نفسه، ج6، ص 53.

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 4.

<sup>3</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 19.

<sup>4</sup> ينظر: المهدي حمادي رفاعي، السياق في كتب التفسير، ص 212-213.

- أثر الزمان والمكان في توجيه الدلالة:

إن معرفة زمان التلفظ ومكانه يسهم في فهم كتاب الله وتفسيره وبيان أحكامه، فمعرفة زمان التلفظ ومكانه تعين في " فهم الأحوال التي سعى التشريع بسياسته الرشيدة إلى إصلاحها في المجتمعين المكي والمدني، ألا وإن ذلك كله ليزيد المفسر إدراكا وفهما للنص المفسر"<sup>1</sup>.

فالخطاب المكي ما نزل بمكة وخوطب به أهل مكة، والخطاب المدني ما نزل بالمدينة وخوطب به أهل المدينة، وهذه التفرقة بين المكي والمدني في النص القرآني " تعد تفرقة بين مرحلتين هامتين ساهمتا في تشكيل النص سواء على مستوى المضمون أو على مستوى التركيب والبناء."<sup>2</sup> كما أن هذه التفرقة تسهم في الكشف عن استراتيجيات التخاطب التي يوظفها الخطاب القرآني في تعامله مع أهل مكة و المدينة.

ومما يظهر اهتمام الزمخشري بالمكي والمدني حديثه في بداية كل سورة عن السورة فهي مكية أم مدنية، فيقول على سبيل المثال في تفسيره لسورة التوبة مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان ثم يذكر بعد ذلك سنة نزولها فيقول: وكان نزولها سنة تسع للهجرة<sup>3</sup>.

فقد ذهب الزمخشري إلى أن كل خطاب " نزل فيه ( يا أيها الناس ) فهو مكي، و ( يا أيها الذين آمنوا )، فهو مدني، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>4</sup> قال: خطاب لمشركي مكة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 255.

<sup>2</sup> خلود العموش، الخطاب القرآني، ص 91.

<sup>3</sup> ينظر، الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 07.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية: 20.

<sup>5</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 210.

وأما في تفسير قوله تعالى: ﴿بَاتَتْ فُؤَاءُ النَّارِ أُلْتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ إِعِدَّتْ لِلْجَبْرِينَ﴾<sup>1</sup> وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَاءً أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>2</sup> يقول الزمخشري: "لم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم، وههنا معرفة؟ قلت: تلك الآية نزلت بمكة، فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة، ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا"<sup>3</sup>.

فالزمخشري ذهب في تفسيره للآية مذهبا تداوليا ففسر مسألة التعريف والتكثير في لفظة ( النار ) تفسيرا تداوليا مراعى فيه استراتيجيات التخاطب، فحال أهل المدينة غير حال أهل مكة.

- أثر البيئة في توجيه الدلالة:

ومما نلاحظه في تفسير الكشاف أن صاحبه قد جعل من الخطاب القرآني في تفسيره انعكاسا للواقع العربي والبيئة العربية، باعتبار أن القرآن الكريم قد صور لنا حياة هذا المجتمع، فلم يعزل النص القرآني عن واقعه، وكثير من الآيات يرجع الزمخشري في تفسيرها إلى تأمل الواقع العربي مستحضرا عاداته وتقاليده وتاريخه ومعاملاته، ليتأتى له الوصول إلى المقصود من الآيات.

وفي هذا إشارة ذكية تؤكد سبق الزمخشري وأقرانه من علماء العرب بآلاف السنين إلى ما يدعو إليه المهتمون بلسانيات الكلام كالتداوليين و أصحاب لسانيات النص، واللسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب، مما يؤكد على أثر المستوى الثقافي أو المعيشي أو الحياتي في توجيه دلالة النص أو الخطاب وبنائه.

<sup>1</sup> سورة البقرة، 23.

<sup>2</sup> سورة التحريم، الآية: 06.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 224.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن عادات العرب وأخبارها ومعاملاتها هي قرائن مهمة من سياق التلفظ اعتمد الزمخشري عليها في تحليله لآي القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك:

يقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرِّ وَسَرَابِيلَ تَفِيكُمُ بَأْسِكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾<sup>1</sup> ذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية إلى القول بأن السرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيهم الحر ولم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم، وقلما يهتمم البرد لكونه يسيرا محتملا معتمدا في تفسير ذلك على الحياة التي كان يعيشها العربي، فالمناخ في شبه الجزيرة هو مناخ صحراوي يمتاز بشدة الحرارة. فالمناخ وعناصر الطبيعة جزء من المقام أو سياق التلفظ يسهم في إيضاح المعنى<sup>2</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَلْبَسْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾<sup>3</sup> يذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية معتمدا على عادات العرب وعباداتهم في الجاهلية لتحليل الآية والوصول إلى المقصود منها حيث أن العربي في الجاهلية إذا حج كان يطوف عريانا ويضع لباسه وراء المسجد، وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه، لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبا فيها وكان بنوا عامر في الحج لا ياكلون الطعام إلا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون نحن أحق بذلك فنزلت هذه الآية تأمرهم بالزينة، فلولا المعرفة القبلية بهذه العادة الجاهلية من طرف المفسر لاستبهم عليه فهم النص القرآن والوصول إلى الدلالة المقصودة. فكانت هذه العادة قرينة من قرائن سياق التلفظ أسهمت في توجيه المعنى<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 81

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 459.

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية: 29.

<sup>4</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 438.

وأما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَيْكُمْ ﴾<sup>1</sup> اعتمد الزمخشري في تفسيره لهذه الآية على التعرف إلى شيء من شؤون العرب وقوانينهم الاجتماعية ينظم العلاقة بين السيد ومملوكه، فقد كان إحدى وسائل التحرر من الرق أن يكتب السيد بينه وبين مملوكه على مال يقسطه له في مدة معلومة أو على خدمة معينة مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض، وبناء دار قد أراه أجرها وجصها وما يبيح بهن فإن أداها عتق، فالآية تقرهم على ما كانوا عليه من المكاتب، وتأمروهم بإعانتهم وإعطائهم نصيبهم من بيت مال المسلمين يستعينوا به على الحرية<sup>2</sup>. فمعرفة هذا القانون الاجتماعي هو قرينة تداولية استطاع الزمخشري من خلالها الوصول إلى معنى الآية.

ولذا يمكن القول أن "المفسر إذا لم يقف على معتقدات العرب في الجاهلية وعاداتهم الدينية وعبادتهم وأهنتهم فسيفوته فهم كثير من معاني آي القرآن وحكمها ومغازيها" فهذه قرائن لا بد لمن يتعامل مع الخطاب القرآني من الوقوف عليها، لأهميتها في توضيح المعنى أو الكشف عنه. وإدراك الزمخشري لأهمية هذه القرائن في توجيه المعنى، هي وعي منه بضرورة ربط النص أو الخطاب القرآني بسياقه الاجتماعي، ليتسنى للقارئ أو المفسر الوصول إلى دلالاته وأحكامه ومعانيه.

### ج- أثر ظروف التلفظ وملابساته في توجيه الدلالة:

يتمثل هذا الجزء في مجموع الأحداث المصاحبة والظروف الملازمة لنزول نصوص الخطاب القرآني، حيث حظي هذا الجزء باهتمام المفسرين وعرف عندهم باسم "أسباب النزول" والمقصود بسبب النزول الحادثة التي وقعت في زمن النبي (ص) واستدعت نزول الوحي على النبي تعليقا عليها، سواء كانت واقعة علق البيان الإلهي عليها ببعض الآيات، أم كانت سؤالا وجه للنبي (ص) فنزلت الآيات بالجواب

<sup>1</sup> سورة النور، الآية: 33.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 301-302. وينظر: حمادي الرفاعي، السياق في كتب التفسير، ص 216.



المناسب، وقد تكون هذه الواقعة خصومة دبت، وقد تكون رغبة تمنها النبي وأصحابه، أو إشكالا وقع لهم بين تشريع جديد وما كانوا عليه في الجاهلية<sup>1</sup>.

فالوقوف على الحادثة وسببها يربط النص أو الخطاب بواقعه ويضفي عليه حركية، ويصبح قرينة تداولية تساعد المتلقي للخطاب على فهمه، فأسباب النزول تدل على موافقة الخطاب القرآني لمقتضى الحال، وبذلك تكون الأهمية التي تنبني عليها أسباب النزول هي استحضار سياق التلفظ وسببه الذي من أجله النصوص القرآنية نزلت، مما يعين على الفهم الدقيق لدلالات القرآن وأحكامه. وهذا ما أكد عليه الزمخشري من خلاله اهتمامه بأسباب النزول في تفسيره لكثير من الآيات وهذا ما سنبينه من خلال بعض الأمثلة:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّعْبَا وَالْمَرْوَةَ مِمَّنْ شَعَّبِيرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ إِيَّاهُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>2</sup>. فالمعنى الظاهر للآية يوهم بأن الطواف بالصفاء والمروة مباح وليس بالواجب والمؤمن مخير في القيام به، ولكن المعنى الحقيقي للآية لا يمكن الوصول إليه إلا باستحضار سياق التلفظ الذي نزلت فيه الآية والظروف والملابسات المحيطة به وهذا عناء الزمخشري في تفسيره لهذه الآية حيث بين السياق التاريخي لمسمى الصفا والمروة، وهما صنمان رجل وامرأة زنيا في الكعبة فمسحا حجرتين فوضع عليهما ليعتبر بهما، فلما طال الأمد عبدا من دون الله، فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوا، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون ذلك لأنه من فعل أهل الجاهلية، فنزلت الآية لتبين للمسلمين أنه لا حرج في ذلك<sup>3</sup>.

والملاحظ أن المعنى الذي يوجهه ظاهر اللفظ ليس كالمعنى الذي يوجهه سياق التلفظ وملابساته. ولولا استحضار هذه القرينة لما اتضح المعنى المقصود من الآية.

<sup>1</sup> حمامي الرفاعي، السياق في كتب التفسير، ص 260.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 157.

<sup>3</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 1، 349-350.

وأما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ﴾ <sup>1</sup> وَقَالُوا  
 ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ <sup>1</sup> ذهب الزمخشري في  
 تفسيره لهذه الآية إلى الاعتماد على سياق التلفظ و ظروف وملابسات النزول، حيث أن النبي (ص)  
 تلى على مشركي قريش قوله (تعالى): "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم" امتعضوا من  
 ذلك امتعاضا شديدا، فقال عبدالله بن الزبيري: يا محمد، أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم، فقال عليه  
 السلام: هو لكم ولآهتكم ولجميع الأمم، فقال: خصمتك ورب الكعبة، أأست تزعم أن عيسى نبي وتثني  
 عليه خيرا وعلى أمه، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما، وعزير يعبد، والملائكة يعبدون، فإن كان هؤلاء  
 في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا فنزلت هذه الآية: والمعنى: ولما ضرب  
 عبدالله بن الزبيري عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى إياه إذا قومك يفرحون من هذا  
 ظنا منهم أنه أسكت النبي (ص) بحجته <sup>2</sup>.

فقد ذكرت الآية عيسى ابن مريم مثلا، ولكنها أطلقت الآية ولم تبين وجه المثل، وما الذي ضرب  
 له، ومن ضربه، وما وجه الجدل، فلو أخذت الآية بنصها فقط لما وصلنا إلى المقصود رغم وضوح أجزائها  
 ومفرداتها <sup>3</sup>.

فالمقام أو سياق التلفظ يصور لنا هذه المناظرة بين النبي (ص) وعبدالله بن الزبيري، بحضور جمع  
 من قريش، كما صور لنا المشهد في أدق تفاصيله حتى حالة الضحك والفرح التي أصابتهم لما سكت النبي  
 (ص) واستحضر هذا الجزء الغائب من الخطاب القرآني يسهم توضيح المبهم من الآية، فلاجمال  
 للاستغناء عن سياق الحال أو التلفظ للوصول إلى المعنى العام للآية.

<sup>1</sup> سورة الزخرف، الآية: 58 . 59.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 451-452.

<sup>3</sup> ينظر: حمامي الرفاعي، السياق في كتب التفسير، ص 263.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنْبِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>1</sup> ذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية إلى ذكر تأويلات عديدة يوهم بها ظاهر الآية، فهي حسبه إما النهي عن ترك الإنفاق لأنه هو سبب الهلاك، أو النهي عن الإسراف في النفقة حتى يفقر ويضيع ماله فيعرض نفسه للهلاك، أو النهي عن الاستقتال والإحطار بالنفس، أو النهي عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو.<sup>2</sup> ولكن بالرجوع إلى سياق التلفظ الذي نزل فيه هذا الخطاب وملايساته يتضح المعنى والدلالة المقصودة، واستحضر الزمخشري هذا السياق بقوله: "وروي أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية، وإنما نزلت فينا صحبتنا رسول الله (ص) فنصرناه، وشهدنا معه المشاهد، وآثرناه على أهاليها وأموالنا وأولادنا، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها، رجعنا إلى أهاليها وأموالنا وأولادنا، نصلحها ونقيم فيها. فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد."<sup>3</sup> فظروف وملايسات التلفظ هو الذي يوضح المقصود من الآية، وهو النهي عن ترك الجهاد والانشغال عنه بأمور الدنيا مما يقوي العدو ويعرض للتهلكة.

لقد عملنا من خلال هذا الفصل على استثمار بعض مفاهيم لسانيات التلفظ ثنائية ( النظام المغلق والنظام المفتوح )، حيث اعتمدنا على معطيات النظام المفتوح، الذي يكون فيه المتكلم مخيراً، بحيث تفتح طاقاته التعبيرية في ظل تنوعات سياقية داخلية وخارجية على احتمالات معنوية متعددة، غير أن فسحة الحرية والاختيار تظل رغم الحاجة الملحة لدى المتكلمين إلى هذا الانفتاح مقيدة بحدود العلاقات البنيوية التي يفرضها النظام المغلق.

وقد تطرقنا في ظل تطبيقنا لهذا النظام ( النظام المفتوح ) في تفسير الكشاف إلى مستويين من مستويات الانفتاح، يتمثل المستوى الأول في انفتاح المعنى في السياق اللغوي ( السياق الداخلي ) حيث يكون فيه النظام منفتحاً انفتاحاً داخلياً بسبب ما يطرأ من تغيير في معطيات واقعه اللغوي وذلك من

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 194.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 397.

<sup>3</sup> الصدر نفسه، ج1، ص 397.

خلال تناولنا لظاهرة الإعراب التي تتعدد فيها المعاني الإعرابية، إذ يعمل الإعراب على انفتاح المعاني على دلالات أوسع واحتمالات معنوية متعددة، تمنح المتكلم القدرة على التنوع في المعاني والتعبير عن الحاجيات والمقاصد والأغراض، باعتباره وسيلة من وسائل توليد المعاني وأفضل ظاهرة يمكن أن نلتبس فيها هذا التنوع في مسالك التعبير هو النص القرآني ممثلاً في القراءات القرآنية وأوجه اختلافها، وظاهرة التقديم والتأخير التي تتجلى فيها مرونة وحيوية وحركية النظام اللغوي للعربية الذي توحى فيه هذه الظاهرة بانفتاح المعاني للتعبير عن أغراض ومقاصد تداولية.

وأما بالنسبة للعدول الصرفي، فهو أيضاً يفتح فيه المعنى لأغراض وظيفية تداولية تعبر عن مقصدية المتلفظ، وأما المستوى الثاني، فيتمثل في انفتاح المعنى في السياق المقامي (السياق الخارجي) الذي تتغير فيه المعاني بتأثير من الظروف الخارجية لمقام الكلام. وذلك من خلال تناولنا لسياق التلفظ وأثر في توجيه المعاني وقد تجلّى الانفتاح الخارجي عند الزمخشري في اهتمامه بأطراف التخاطب في تفسيره للنص القرآني وربطه بمقامه وظروف وملابسات نزوله.

# الفصل الثاني

الحجاج في تفسير الكشاف

تمهيد:

يعتبر القرآن الكريم خطاب الله الموجه إلى عباده المكلفين، وحجة نبيه الكريم لتثبيت دعوته وإقناع الناس باتباعه وعبادة الله الواحد الأحد بالحجج والبراهين اللازمة، "وكونه خطابا يقتضي أنه إقناع وتأثير... ومما يثبت أن القرآن خطاب كثرة مخاطبيه وهؤلاء المخاطبون فيه ثلاثة أنواع على الأقل: قسم مذكور ومعين باسمه أو بضمير الخطاب الذي يعنيه شأن خطاب الرسول- ص - وخطاب الكافرين وهو ما ندعوه المتلقي الخاص، وقسم آخر منه مذكور في القرآن ولكنه غير معين كما نجد ذلك في صيغة يا أيها الناس. أما النوع الثالث من المخاطبين فهو واقع خارج النص القرآني ولكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن، وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم أي المتلقي الكوني"<sup>1</sup>.

ونلمس من خلال وقوفنا على الخطاب القرآني أنه "يهدف إلى إحداث أثر معتدل في المتلقي وذلك بالاستحواذ على وجدانه واستدراجه إلى الإقناع بقيمة دينية أو تبني وجهة أخلاقية بالتوجه إلى عاطفته، كما يهدف من وجهة أخرى إلى إحداث أثر قوي في المتلقي بإثارة مشاعر الخوف والشفقة فيه"<sup>2</sup>. ولما نتكلم عن الحجاج تستوقفنا أهم استراتيجية ارتبطت به وهي استراتيجية الإقناع التي تعتبر من أهم الوسائل الواجب توفرها لدى المرسل "فمن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي له، ولتحقيق هذا الهدف استراتيجية تداولية تعرف باستراتيجية الإقناع إذ تكتسب اسمها من هدف الخطاب"<sup>3</sup>.

وقد تكلم الشهري عن أهمية هذه الاستراتيجية وتحدث عن مسوغات استعمالها وحددها في مايلي:  
- أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت وديمومتها أبقى، لأنها تنبع من حصول الإقناع عند المرسل إليه غالبا لا يشوبها فرض أو قوة.

<sup>1</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 28.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 01 - 02.

<sup>3</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 444.

- تميزها من الاستراتيجيات المتاحة الأخرى، مثل الاستراتيجية الإكراهية لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول الاندفاع الداخلي أو الإقناع الذاتي، فاقناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.
- الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك. لأن من شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية.
- الرغبة في تحصيل الإقناع، إذ يعدو هو الأعلى لكثير من أنواع الخطاب.
- إبداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تحقق استراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها. إما قولاً أو فعلاً وما جعل الإقناع سلطة مقبولة هو كون الحجاج الأداة العامة من بين ما يتوسل به المرسل من أدوات وآليات لغوية.
- شمولية استراتيجية الإقناع، إذ تمارس على جميع الأصعدة... وهذا يعزز استراتيجية الإقناع<sup>1</sup>.

وإذا كانت مدونة بحثنا تتعلق بتفسير الكشاف للزمخشري الذي له ارتباط مباشر بالخطاب القرآني الذي يعد " نصاً حجاجياً بامتياز، باعتباره يطرح أمراً أساسياً يتمثل في عقيدة التوحيد، ويسعى إلى تثبيت أركان هذه العقيدة ويقدم الحجج المدعمة لهذا الأمر. والخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء المخاطب وتغيير سلوكياته بجعله يتقبل ملفوظاً هو بمثابة نتيجة وذلك بالارتكاز وفق طرق متنوعة على ملفوظ أو ملفوظات أخرى هي بمثابة معطاة أوحجة وهكذا فإن المعطاة تقوم مقام البرهان وتهدف إلى تأكيد قضية أو دحضها"<sup>2</sup>.

والخطاب القرآني بوصفه " خطاباً حجاجياً بين باث ومتلق ظروف قول مخصوصة، واختيارات دقيقة تلائم وضع المتلقي، وتنسجم مع ظروف القول وملاساته، وذلك يدعونا إلى الخوض في شأن هذه الاختيارات والبحث في وسائل الاستمالة والتأثير التي ترفد الحجج والعلاقات الحجاجية فتضمن للخطاب

<sup>1</sup> الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 446.

<sup>2</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 01.

تحقيق غايته، وللباث قدرته على الفعل في المتلقي باقتحام عالمه والنفوذ إلى مناطقه وتحويل آرائه وتغيير سلوكه"<sup>1</sup>.

فالمتكلم يستعين بما توفر له من آليات لغوية وحجج وبراهين قصد التعبير عن مقصده والتأثير في المتلقين ويكون نجاح خطابه وفشله مرهونا بما مدى تأثيره من جهة، و مدى تحقيقه للأهداف الحجاجية من جهة ثانية.

ولكن قبل الحديث عن الحجاج كآلية تداولية عند الزمخشري يجدر القول أن إرهابات هذا الفن كانت موجودة في بلاغة العرب القدماء من خلال حديثهم عن بعض القضايا التي لها علاقة مباشرة بهذا العلم كالبيان والإقناع وما يتعلق بالمتكلم والمخاطب ومقتضى الحال والمقام والمقصد... وإن لم يرد الحجاج عندهم بهذا المسمى فقد ورد بمسميات أخرى لها معنى الحجاج من قبيل البيان والاستدلال والبرهان والجدل.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن "البحث الحجاجي كان منشوراً بين ثنايا البلاغة العربية والإسلامية، وإن لم يعرف بمصطلحاته الحديثة"<sup>2</sup>.

والسؤال المطروح هنا ما مفهوم الحجاج؟ وأين يتجلى الحجاج في القرآن الكريم؟ وما علاقة الحجاج بالتفسير؟ وهل يمكن اعتبار تفسير الكشاف للزمخشري تفسيراً حجاجياً؟ وأين تتجلى البنية الحجاجية في الكشاف؟ وكيف كان أثر الاستراتيجية الإقناعية والحجاجية على المتلقي في الكشاف؟

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 13.

<sup>2</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في إنتاج ابن باديس الأدبي، ص 55.



الحجاج : ARGUMENTATION

لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة " حجج " أن " لَجَّ فحجج؟ معناه لَجَّ فغلب، من لاجه بحججه يقال: حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

والحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة، حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته، وفي الحديث : فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة. والحجة: الدليل والبرهان"<sup>1</sup>.

فابن منظور فقد جعل الحجاج مرادفا للجدل.

ويقال: " حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة"<sup>2</sup>.

ويقال أيضا في مادة " حجج " احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب. وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاحة"<sup>3</sup>.

والحجة هي: " ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، دط، دت، مادة " حجج " ج 9، ص 779.

<sup>2</sup> أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م، مادة " حج " ج 2، ص 30.

<sup>3</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1998م. ج 1، ص 169.

<sup>4</sup> الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1985م، ص 86.

والحجة بالضم هي " مرادف للدليل كما في شرح الطواع. والحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم المقصود منها إلزام الخصم واسكاته"<sup>1</sup>.

فالمعاني التي يدل عليها الحجاج هي: التخاصم والتنازع والتجادل، باستعمال الأدلة والبراهين لإقناع شخص بقضية ما أو لتعديل موقف ما. فالحجاج عند القدماء يحمل طابع المنازعة والخصومة، لأن الحجاج يكون بين شخصين متحاورين بالحجج والأدلة يسعى كل منهما لإقناع الآخر.

أما ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فيذهب إلى أن معنى حاج " خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، والحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخاصمة"<sup>2</sup>.

وقد ورد لفظ الحجاج في مواضع عدة من القرآن الكريم من بينها:

﴿هَآأَنُتُمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup>.

﴿وَحَآجَّهُ فَوْمُهُ، فَآلَ أَتَحَآجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْتِي وَلَا آخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ  
إِلَّا أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، دط، دت، ج1، ص 622.

<sup>2</sup> الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م، ج3، ص 32.

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية 65.

<sup>4</sup> سورة الأنعام، الآية 81.

أما الزركشي ففي كتابه البرهان في علوم القرآن في الفصل المعنون ب معرفة جدله فيقول " اعلم أن القرآن الكريم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به"<sup>1</sup>.

فالزركشي في كلامه هذا لم يتحدث عن الحجاج والجدل وإنما تحدث عن البرهان والاستدلال. وقد جمع الامام السيوطي بين الحجاج والجدل والبرهان وربط هذه المصطلحات بالمذهب الكلامي، ولكن الملاحظ أن أغلب القدماء يوردون مصطلحي الحجاج والجدل على أنهما مترادفين<sup>2</sup>.

### اصطلاحا:

للحجاج مجموعة من التعاريف نذكر بعضها:

- هو مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة والغاية المتوخاة<sup>3</sup>.
- هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم<sup>4</sup>.
- هو العلم الذي يهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنه ينطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، 1984م، ص 24.

<sup>2</sup> ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 25.

<sup>3</sup> أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 90.

<sup>4</sup> عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص 13.

<sup>5</sup> أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م، ص 14.

أما حد الحجاج عند طه عبد الرحمان فهو فعالية تداولية جدلية:

فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجها بقدر الحاجة.

وهو جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، كأن تبني الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج<sup>1</sup>.

وعرفه الشهري بقوله: " الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع<sup>2</sup>."

### أنواعه:

أ/ الحجاج التوجيهي: وهو " وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إقائمه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فنجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقوال الخاصة غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يقضي به إلى تناسي الجانب العقلاني من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض عليه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص 65.

<sup>2</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 456.

<sup>3</sup> طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص 227.

في هذا النوع من الحجاج ما يهم المحاجج هو قصده الذي يرمي إليه والطريقة التي يوصل بها هذا القصد فلا يهتم بالمخاطب ولا يتصور أو يتخيل ذاتا تمثله في محاولة لتوقع اعتراضاته واستباق حججه لدحضها واقناعه<sup>1</sup>.

ب/ الحجاج التقويمي: وهو " اثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية يُنزلها منزلة المعارض على دعواه، فهاهنا لا يكفي المستدل بالنظر في فعل القاء الحجّة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها"<sup>2</sup>.

في هذا النوع من الحجاج يفترض المتكلم ذاتا أخرى للحوار تتجسد في المخاطب يفترض بعض الاعتراضات والأسئلة المتوقعة والحجج التي يمكن أن يستدل بها المعارض ويحاول في سياق ذلك الإجابة عنها.

ج/ الحجاج التجريدي: وهو " الاتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان، علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يُعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها"<sup>3</sup>. وهو يعني أيضا " توظيف الحجّة للبرهنة على صحة مقدمة نتيجتها معلومة لدى السامع، لكن يحاول المتكلم الزيادة والتأكيد على صحتها في ذهنه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 470.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص 228.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 226.

<sup>4</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 81.

. تقنيات الحجاج ووسائله:

يقسم بيرلمان وزميله تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين، هما: تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل. ويقصد بالأولى " ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا، وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"<sup>1</sup>.

ويذهب الشهري إلى أنه يمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

. الأدوات اللغوية الصرفية، مثل: ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل، والوصف وتحصيل الحاصل.

. الآليات البلاغية: مثل: تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، البديع، التمثيل.

. الآليات شبه المنطقية: ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية. ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: ( لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا، فحسب، أدوات التوكيد.) ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية، مثل التعديّة بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة<sup>2</sup>.

أما بالنسبة للوسائل والتقنيات التي تقع تحت استراتيجية الإقناع وهي:

. الوسائل اللسانية:

والمقصود بها أدوات الاتساق والانسجام، فهذه الأدوات قد تكون لها وظيفة حجاجية ونذكر منها: الإحالة التي تعتبر وسيلة لسانية حجاجية تؤثر على المستمع لعمله العقلي في إيجاد الشيء المحال له

<sup>1</sup> الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 477.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 477.

وأدوات الإحالة، والحذف: وتكمن وظيفته الحجاجية في جعل المستمع يملأ هذا الفراغ، و يدرك ما تم حذفه انطلاقاً من القرائن والسياق، وأيضا الوصل والتكرار<sup>1</sup>.

. الوسائل الأصولية والفلسفية:

ومن بين هذه الوسائل نذكر القياس: الذي يعتبر أبرز وسيلة حجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين والفلاسفة، فالقياس آلية منطقية حجاجية تمكن المحاجج من الاعتماد عليها في اقناع المعارض، فهو يزيد من القوة الإقناعية لخطاب المتكلم. أما التمثيل: فهو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج، وبيان حججه.

. الوسائل البلاغية:

والمقصود بها الحجاج بالمجاز والصور البيانية كالاستعارة والكناية والتشبيه، فهي أشد وقعا على النفس، ولها قوة التأثير في السامع<sup>2</sup>.

علاقاته:

أ/ العلاقة الاستدلالية: هي التي تحدد ماهية الخطاب فالعلاقة الاستدلالية تتحدد من جانب المتكلم بالادعاء، فيكون مستدلا، ومن جانب المخاطب بالاعتراض فيكون مستدلا له<sup>3</sup>.

فهي علاقة بين المتكلم والمستمع " وقيم هذه العلاقة ما يبعث المتخاطبين للحجاج، الادعاء، والاعتراض فيمكن أن يأخذ المتكلم أي المحاجج الناجح ما يدركه عن المعارض ليكون حجة عليه سواء قولاً أو فعلاً، أي يمكن أن يكون المستمع هو الوسيلة والتقنية للحجاج في حال ما قدم اعتراضاً"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 90.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 91 . 92.

<sup>3</sup> ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص 226.

<sup>4</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 88.

ب/ العلاقة التخاطبية: وهي تكون " بين جانبيين فأكثر يكون للمتكلم فيها فضل السبق في إقامتها كما يكون له حق الانتهاض فيها بأدوار مختلفة، مما يجعله لا ذاتا واحدة، وإنما ذوات متعددة بعضها فوق بعض"<sup>1</sup>.

فاختلاف ذوات المتكلم بين قائل وناقل ومتأدب، وفاعل متخلق، يمكن أن تكون وسيلة حجاجية.

ج/ العلاقة المجازية: في هذه العلاقة يكون " المجاز تقنية حجاجية بكل أنواعه: استعارة، كناية، تشبيه، هذا بالنظر إلى علاقات الحجاج التي يقيمها"<sup>2</sup>.

وقد عرفه طه عبد الرحمان بقوله: " هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص 224.

<sup>2</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 88.

<sup>3</sup> طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص 231.



### الحجاج وعلم التفسير:

تعتبر اللغة وسيلة الإنسان للتواصل مع محيطه فهي الأداة التي يتواصل بها مع غيره، ولكنه قد يتعرض لمواقف عديدة يعرض من خلالها أفكاره ويكون مجبرا على الدفاع عنها ليس باللغة فقط ولكن باستعمال مجموعة من الحجج والبراهين، قصد التأثير في المتلقي وإقناعه، ويدخل هذا ضمن ما يسمى بالحجاج الذي يعد من أهم المباحث التداولية في الدراسات اللسانية الحديثة، وقد حظي باهتمام الباحثين قديما وحديثا.

وإذا عدنا إلى علم التفسير يمكننا القول أنه خطاب تفسيري حجاجي، لأننا إذا نظرنا " إلى مضمون الكتاب المقدس وأسباب النزول يمكن اعتبار القرآن خطابا حجاجيا نظرا لكونه جاء ردا على خطابات سواء أكانت علنية أم ضمنية. فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد ويقدم الحجج المدعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمون من حجج. ويرجع التأكيد على الصفة الحجاجية للقرآن إلى كون المتلقين لهذا الخطاب كثيرا، وهم من مستويات مختلفة، وكذلك الراضون له والعازفون عنه لهم في غالب الأحيان حججهم رغم ضعفها، وهؤلاء أيضا من مستويات مختلفة، وهذه سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي"<sup>1</sup>.

وقد أدرك علماؤنا القدماء أهميته فقد رأى السيوطي أن القرآن العظيم "اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب، دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين أحدهما ... والثاني أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن مُلغزا فأخرج

<sup>1</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 27.

تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة لتفهم العامة من جليلها ما يُتّنعهم وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء<sup>1</sup>.

ويرى ابن القيم في كتابه بديع الفوائد أنك " إذا تأملت القرآن وتدبرته وأعرته فكرا وافيا، اطلعت فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحجج الصحيحة، وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والفرق والمعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه<sup>2</sup>.

ويقول أيضا: " في إرشاد القرآن الكريم والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة، والفرق المؤثرة، وإشارتهما إلى إبطال الدور والتسلسل بأوجز لفظ وأبينه، وذكر ما تضمناه من التسوية بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين والأجوبة عن المعارضات، وإلغاء ما يجب الغاؤه من المعاني التي لا تأثير لها، واعتبار ما ينبغي اعتباره، وإبداء تناقض المبطلين في دعاويهم وحججهم وأمثال ذلك. وهذا من كنوز القرآن التي ضل عنها أكثر المتأخرين، فوضعوا لهم شريعة جدلية، فيها حق وباطل. ولو أعطوا القرآن حقه لرأوه وافيا بهذا المقصود كافيا فيهن مغنيا عن غيره<sup>3</sup>.

فهذه النصوص تدلل على حجاجية الخطاب القرآني، وتكشف عن أهم الآليات والتقنيات والوسائل الحجاجية التي يمكن أن يوظفها الخطاب التفسيري ليصبح بنية حجاجية. ومنه " نخلص إلى أن طبيعة التفسير حجاج مظهره، وطبيعته ونظامه، فالنص الأصلي والمفسر وترابطهما وغاية المفسر والمتكلم الأصلي وهدفهما، كلها مظاهر حجاجية للتفسير بالنظر إلى آلياته ووسائله وأهدافه<sup>4</sup>.

وتتحلى لنا العلاقة بين آي القرآن وبين الدرس الحجاجي في أن " القرآن بوصفه كلاما دالا على ذاته ودالا على مبدعه، يضع نفسه في قلب التواصل اللساني، فعملية الكلام في الخطاب القرآني تحتوي

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، د ط، د ت، ج 5، ص 1954.

<sup>2</sup> ابن القيم الجوزية، بديع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، د ط، د ت، م 4، ص 1540.

<sup>3</sup> ابن القيم، بديع الفوائد، ج 4، ص 1533.

<sup>4</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 142.

على عناصر التواصل الثلاثة: المتكلم، الخطاب، المستمع، وهو يتضمن دلالة الكلام على منشئه، ودلالة الكلام على ذاته، ودلالة الكلام على متلقيه مع الأخذ بعين الاعتبار جلال المرسل في الخطاب القرآني<sup>1</sup>.

ومن المباحث الحجاجية التي اهتم بها المفسرون تناسب الآيات وأسباب النزول، والشروط التي اشترطوها في المفسر واهتمامهم بالسياق، والاستشهاد بالحديث والشعر، فهذه المباحث التي اعتمد عليها المفسرون، هي أبحاث كان لها الفضل في تطوير نظرية الحجاج إلى جانب غيرها من المباحث اللسانية والبلاغية<sup>2</sup>.

وقد أكد قدور عمران على أهمية البحث عن الحجاج في القرآن الكريم كما نوه بضرورة الاستعانة بكتب علوم القرآن الكريم، لتحديد معانيه، وخاصة كتب التفسير، وخص بالذكر من بين هذه الكتب تفسيري الزمخشري وابن عاشور وهما تفسيران ترجح فيهما كفة الجانب اللغوي والبلاغي<sup>3</sup>.

وإضافة إلى ما سبق يمكن القول أن المدونة التفسيرية مادة ثرية يكثر فيها الحجاج، من حيث هو حدث قائم على مبدأ إقناع الجمهور بحقائق تبني واقعا جديدا، وتصورات ومعتقدات هي في نظر الحجاج صائبة، ما على الجمهور إلا الإقناع بها والعمل بها. وتكون درجة الإقناع مرتبطة بكفاءة المحاجج أو المفسر مثلا<sup>4</sup>.

فوظيفة التفسير عند المفسر وعمله يقوم على "البيان وهو عمل ينجح إلى اختيار الحجج والبراهين المبينة لذلك النص، وتقوم على منطق العقل الذي وظيفته الإقناع، لأن المتلقي قد لا يعي النص القرآني

<sup>1</sup> خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص 145.

<sup>2</sup> ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 47-48.

<sup>3</sup> ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 29.

<sup>4</sup> ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة و آفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1،

2010م، ص 259.

من الوهلة الأولى لكن المفسر يبسطه بطريقة حجاجية تحمل ذلك المتلقي على التقيد بما ورد فيه أو العمل به"<sup>1</sup>.

. الآليات الحجاجية في كشاف الزمخشري:

إن التعامل مع النص القرآني وتفسيره ومقارنته تداولياً هي دراسة لا تخلو من صعوبات، ولكنها في الوقت نفسه يمكن أن تكون "منطلقاً لبلورة رؤية سياقية تداولية حجاجية لتحليل الخطابات القرآنية، بوصفها مدونة في منتهى الثراء التأويلي، ومحاذاً لتجلي مظاهر الطاقات الحجاجية الغزيرة للنص القرآني خصوصاً ولغة العربية عموماً"<sup>2</sup>.

ولذا سنسعى من خلال هذا المبحث للحديث عن الآليات الحجاجية التي وطفها الزمخشري في خطابه التفسيري للوقوف على أهميتها في الإقناع وتوجيه مقاصد المرسل، فالزمخشري "يتخذ من الحوار الجدلي، والمساءلة، والالتفات، والاستدراج، والاستدلال، كأساليب لحمل متلقيه على الاقتناع كاستراتيجية وسمت كشافه"<sup>3</sup>.

ويمكن أن نلمس ذلك من خلال أسلوب الزمخشري الذي سلكه في تفسيره، فهو بيني خطابه دائماً على الخطاب المتوقع من المخاطب الذي يفترض وجوده تحسباً لأي اعتراض قد يواجه خطابه، ولذا نرى أن الزمخشري حين يقول: "فإن قلت" فهو يفترض ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه، ويقوم من خلالها حواراً حقيقياً بينه وبين نفسه تظهر لنا من خلاله الكفاءة التداولية عند الزمخشري التي يستحضر من خلالها أطراف التخاطب والسياق والمقام<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، ص 46.

<sup>2</sup> صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 62.

<sup>3</sup> علي حميدانو، التأويل والحجاج، مقارنة معاصرة في ضوء المنهج الأسلوبي التداولي، ص 208 – 209.

<sup>4</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 473.

فالاستراتيجية التخاطبية التي تبناها الزمخشري والقائمة على التحوار هي بمفهوم كل من " إيميرن و جروتندورست حوار ضمني غرضه درء الشك المتوقع من المرسل إليه".<sup>1</sup> ولا يكون ذلك إلا بالدليل والحجة والإقناع.

ولذا يمكن القول أن أسلوب المساءلة الذي تبناه الزمخشري في كشافه هو الذي جعل من الخطاب التفسيري عنده خطابا حجاجيا إذ تتجلى " النزعة الخطابية والجدلية في الكشاف بصورة خاصة في الأسلوب الاستدلالي الحجاجي في اللغة الطبيعية، فقد وظف الزمخشري في تفسيره وسياق أدلته، طرائق متنوعة ومستويات استدلالية مختلفة، ومراتب عديدة من الحوارية Dialogisme"<sup>2</sup>.

إذ أن أجلى صيغة تترجم مبدأي الحوارية والتفاعل هي صيغة ( فإن قلت ... قلت: )، هذه الصيغة تنبئ عن وظائف حجاجية وعلاقات تحاورية، تبرز من خلالها العلاقات التخاطبية والاستراتيجيات الحجاجية التي يقيمها الزمخشري، وكأنه يفترض مناظرة بينه وبين شخص آخر، ولذا فإن ما يحدثه " المبدأ التحواري من تفاعل بين المحاج والمحجوج وما ينجم عن ذلك من قيم حجاجية تمكن المقاصد وترسخ الأطروحات"<sup>3</sup>.

فالزمخشري يستعمل أسلوب الحوار كفعالية حجاجية يوظف من خلالها الأدلة والحجج لإقناع متلقي الخطاب، والبرهنة على صدق كلامه.

والملاحظ أيضا على الزمخشري أنه يحرص " على أن يظل دائما وثيق الصلة بمخاطبه، يفسر له ويطلب منه النظر في الدليل والحجة حتى يؤسس معه برهانا بإجراءات حجاجية يكون في أغلبها قد

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 473.

<sup>2</sup> علي حميدانو، التأويل والحجاج، ص 209.

<sup>3</sup> علي الشبعان، الحجاج والحقيقة والتأويل، ص 237.

استتبطها بنفسه المتلقي، وغايته في ذلك هو إقناع مخاطبه سالكا في ذلك مسلك رضاه بما يعرفه أو يعتقد، من دون أن يتسلط أو يجبره على قبول الحكم ولو مكرها، وإنما يستميله ويجادله بعقل مجتهد<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى مدونة البحث، وهو الخطاب التفسيري عند الزمخشري يمكن القول أننا سنتطرق للحجاج من منطلقين الأول لغوي، والثاني بلاغي، لنبرز من خلالها فاعلية وحركية الخطاب الحجاجي في الكشاف، وذلك انطلاقا من شخصية الزمخشري التي تتميز بخلفية معرفية، وكفاءة لغوية، وأسلوب بلاغي مكنت الزمخشري من امتلاك آلة اللغة التي كانت وسيلته الرائدة بامتياز في الدفاع عن عقيدته ومذهبه وأفكاره، ولعل هذا مما ساعد الزمخشري في اختيار حججه وفي حسن توظيفها بالإضافة إلى معرفته بالسياق وعناصره، وقد لا يتمكن من ذلك عند غياب هذه المعرفة، إذ تقصر همته دون حجاجه، ويغيب عنه ما لو بدا له لعذر نفسه<sup>2</sup>.

ولهذا فإن استحضار الزمخشري للسياق بمجمل عناصره وخلفيته المعرفية المتعددة المواهب المتشعبة بالفكر والفلسفة واللغة والبلاغة والمنطق قد أتاحت له السبل لأن يوظف الحجاج بما يخدم آراءه، فطوع اللغة لخدمته باعتبارها أهم وسيلة حجاجية يستعملها كيف شاء، وبواسطتها يختار حججه وطريقة بنائها. فالزمخشري جعل من علم الكلام " آتته في الاحتجاج وسيله في الانتصار بما أنه العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية حتى يحصل التوافق بين المحاج والمحجوج بطريقة يلتزم فيها بضوابط العقل التي تزين للسامع صحة الحقائق، بما أن مصدرها العقل ومنبتها القلب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه، ص 225.

<sup>2</sup> الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 475.

<sup>3</sup> علي الشبعان، الحجاج والحقيقة والتأويل، ص 247.

### 1/ الآليات اللغوية للحجاج عند الزمخشري:

تميز النص القرآني بميزات عديدة جعلت منه نصا ليس كغيره من النصوص الأخرى، فكل بنية فيه توحى بمعنى معين في مقام تواصلية معين، مما جعل منه نصا حجاجيا بامتياز فيه من الآليات والاستراتيجيات، والتقنيات ما لا يمكن حصره.

ولذا تعتبر اللغة من أهم وسائل الحجاج، فقد تفتن الزمخشري إلى أهميتها، فهي ليست وسيلة للتعبير عن المقاصد والأغراض فقط، بل هي وسيلة للحجاج والإقناع أيضا ولذا جنح الزمخشري في كشافه " إلى جعل الرافد اللغوي بجميع حقوله وبجل فروعه وأصوله، رافدا مركزيا يجعله على مزامعه برهانا ولتأويلاته بيانا به يُحتج ومن خلاله يستدل... فاللغة عند الزمخشري هي الحجة والبرهان على صحة ما يدعي ووثيقة ما يتأول"<sup>1</sup>.

ولعل هذا ما أكد عليه ( ديكرو ) حينما تكلم عن الحجاج في اللغة L argumentation dans la langue مبينا الوظيفة الحجاجية للغة التي تظهر من خلال سلسلة من الظواهر التركيبية واللغوية التي تؤسس لما يسمى بالخطاب<sup>2</sup>.

فنظرية الحجاج في اللغة هي أساسا تقوم على الاهتمام " بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي تتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا ( نتكلم عامة بقصد التأثير)"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علي الشبعان، الحجاج والحقيقة والتأويل، ص 257 – 258.

<sup>2</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 08.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 14.

فاللغة وسيلة للتأثير والإقناع لأن " موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما"<sup>1</sup>.

ومن الملاحظ أن " الحجج متفاوتة من حيث قوتها الحجاجية، ومن حيث إمكاناتها الإقناعية الاستدلالية."<sup>2</sup> إضافة إلى أن الحجج تخدم نتيجة واحدة، ولكنها تختلف من حيث القوة. وربما يرجع ذلك إلى الكفاءة اللغوية، وقدرة المحاجج في استغلاله وتوظيفه للآليات اللغوية في الخطاب.

ولذا يمكن القول أن الخطاب التفسيري عند الزمخشري عند الزمخشري فيه من المعطيات والآليات ما جعل منه خطابا حجاجيا، فهو يصيب الكثير من العناصر اللغوية مثل الكلمات والتراكب<sup>3</sup>.

فالزمخشري جعل من اللغة " حجة الحجج ودليل الأدلة، ينطلق منها الفعل التأويلي، يستخدمها برهانا ويستقوي بها بياناً"<sup>4</sup>.

ثم إن قيام بنية الخطاب التفسيري عند الزمخشري على صيغة (السؤال، والجواب)، هو في الحقيقة آلية تداولية خطابية تعكس قيمة وحركية وحيوية الخطاب التفسيري عنده، إنه خطاب يستحضر كل مقومات النص والخطاب النبوي منها والتداولي.

وقد ذهب علي الشبعمان إلى أن الدليل اللغوي أو الحجة اللغوية عند الزمخشري يأخذ اشكالا وهيئات أهمها:

- عرض اللفظ القرآني عرضا عرفته العرب في معاني منطقتها.
- السير على نهج اللغويين الأوائل الذين كانوا يسمعون من العرب ومن سماعهم يفسرون كتاب الله.

<sup>1</sup> أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، ص 352.

<sup>2</sup> أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 88.

<sup>3</sup> ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 40.

<sup>4</sup> علي الشبعمان، الحجاج والحقيقة والتأويل، ص 280.



- التفريق بين لفظين قرآنيين مترادفين، تفرقة معنوية دقيقة وهو ما يثبت الحقائق المألية التي ينوي الزمخشري تمكينها في عقول السامعين يؤمنون بصحتها ويعملون بمبادئها عمل المطيع الذي صدق بعقله واقتنع بمنطقه.<sup>1</sup>

وإن الحديث عن معاني ودلالات الخطاب التفسيري في الكشاف يقودنا إلى الكشف عن البعد اللغوي عنده وقيمه الحجاجية ودوره في التأثير والإقناع وحمل متلقي هذا الخطاب على التسليم والإقتناع بما يطرح من قضايا و آراء، وهذا ما سنتوقف عنده من خلال بعض الأمثلة التطبيقية:

**1/ الروابط الحجاجية: Les connecteurs:** إن الحديث عن الروابط الحجاجية يقودنا إلى الوقوف على القيمة الحجاجية لها، فهي ليست وسيلة للربط فقط، بقدر ما لها من قيمة حجاجية، فهي دليل قاطع على أن الحجاج مؤثر له في بنية اللغة نفسها.<sup>2</sup>

والروابط كثيرة في العربية، ويمكن أن نميز بين أنماط عديدة منها:

أ - الروابط المدرجة للحجج ( حتى، بل، لكن، مع، ذلك، لأن ... ) والروابط المدرجة للنتائج ( إذن، لهذا، وبالتالي... ).

ب - الروابط التي تدرج حججا قوية ( حتى، بل، لكن، لا سيما... ) والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج - روابط التعارض الحجاجي ( بل، لكن، مع ذلك... ). وروابط التساوق الحجاجي ( حتى، لا سيما )<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ، المرجع السابق نفسه، ص 303.

<sup>2</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 30.

\*السلم الحجاجي: هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالأتي: ن ( نتيجة ) و أ، ب، ج، ححج<sup>1</sup>.

فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة، ويتميز بما يلي:

أ - كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة ل ( ن ).

ب - إذا كان القول ( ب ) يؤدي إلى النتيجة ( ن )، فهذا يستلزم أن ( ج ) أو ( د ) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح<sup>2</sup>.

فالمقصود بالسلم الحجاجي هو مجموعة من الحجج المرتبة عمودياً يكون فيها كل قول في السلم، القول الذي يعلوه أقوى منه دليلاً.

وبالحديث عن اللغة العربية يمكن القول أنها تحتوي " على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، ومن بين هذه الأدوات: لكن، بل، حتى، وأدوات العطف...<sup>3</sup> .

\*الرابط الحجاجي: " بل "

وهي من الأدوات التي " تكمن حجاجيتها في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت<sup>4</sup> وتستعمل للإبطال والحجاج ولها حالان:

- أن يقع بعدها مفرد، فإن تقدمها أمر أو إيجاب، فإنه يجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، وإن تقدمها نفي أو نهي فإنها يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده.

<sup>1</sup> أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 20.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 26.

<sup>4</sup> الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 514.

- وأما إذا وقع بعد " بل " جملة فيكون معنى الإضراب: إما الإبطال، وإما الانتقال من غرض إلى غرض.

ولذا فإن المتكلم حين يتلفظ بقولين من نمط ( أ )، و ( ب ) يستلزم أمرين اثنين:

1 - أن المتكلم يقدم " أ " و " ب " باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة " ن " والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي " لا - ن ".

2 - أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته<sup>1</sup>.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ فُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾<sup>2</sup> نلاحظ في هذا المثال أن الرابط الحجاجي " بل " قد أقام علاقة حجاجية مركبة من علاقيتين حجاجيتين فرعيتين:

\*علاقة الحجة ( نحن أبناء الله وأحباؤه )، والنتيجة ( أن اليهود والنصارى صفوة الخلق عند الله لا يعذبون ولا تمسهم النار).

\*علاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه الحجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي هي بعد الرابط الحجاجي " بل " ( بل أنتم بشر ممن خلق )، والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة وهي ( أنكم اليهود والنصارى من عامة خلق الله من أطاع منكم الله فاز ومن عصاه خسر)

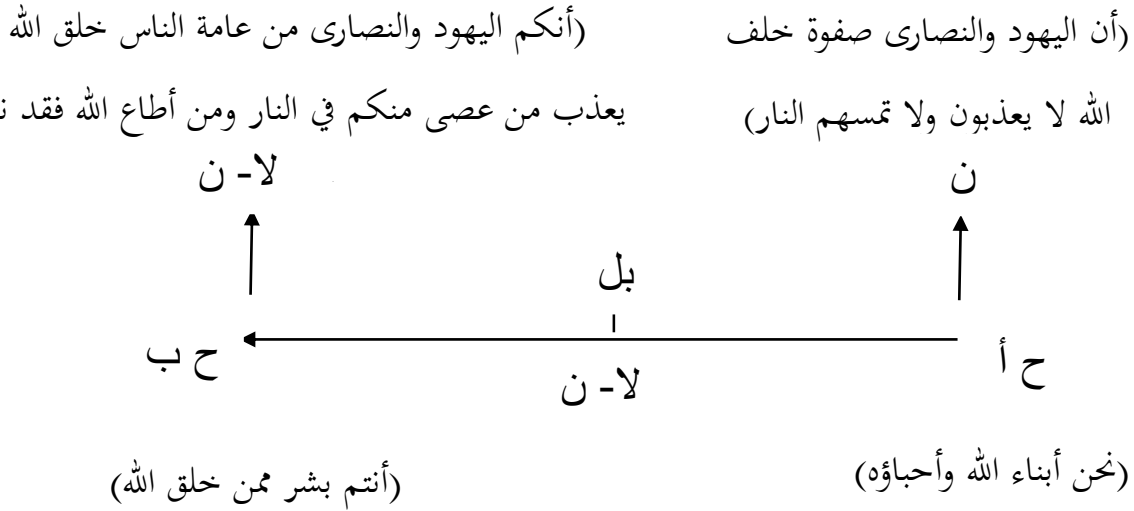
وهذا هو المعنى الذي أشار إليه الزمخشري في قوله: " فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار ... ولو كنتم أبناء الله، لكنتم من جنس الأب غير فاعلين

<sup>1</sup> أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، ص 58.

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 20.

للقبائح ولا مستوجبين للعقاب، ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم من جملة من خلق.<sup>1</sup> فخطاب الزمخشري موجه إلى الحجة الثانية وهي الأقوى.

فالرابط الحجاجي " بل " ربط بين الحجج والنتائج، والحجة التي بعد " بل " هي أقوى من الحجة التي قبلها في السلم الحجاجي، والنتيجة النهائية لهذا القول هي النتيجة المضادة، كما هو في المخطط الآتي:



فالنتيجة المقصودة هي ( لا - ن ) فهناك تعارض حجاجي بينما يتقدم الرابط وبين ما بعده والرابط هنا حرف اضراب أفاد ابطال دعواهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، فقد ربط بين حجتين تخدمان نتيجتين متضادتين.

**المثال الثاني:** قال تعالى: ﴿ هَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۚ ۝٤٧ ۚ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۚ ۝٤٨ ﴾<sup>2</sup> نلاحظ في هذا المثال أيضا أن الرابط الحجاجي " بل " قد أقام علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: \* علاقة الحجة ( اطلاعهم و علمهم بمصير قوم فرعون و ثمود لما كذبوا رسلهم )، والنتيجة ( أنهم لما علموا ذلك فلهم عبرة وموعظة فيما حدث لمن قبلهم ).

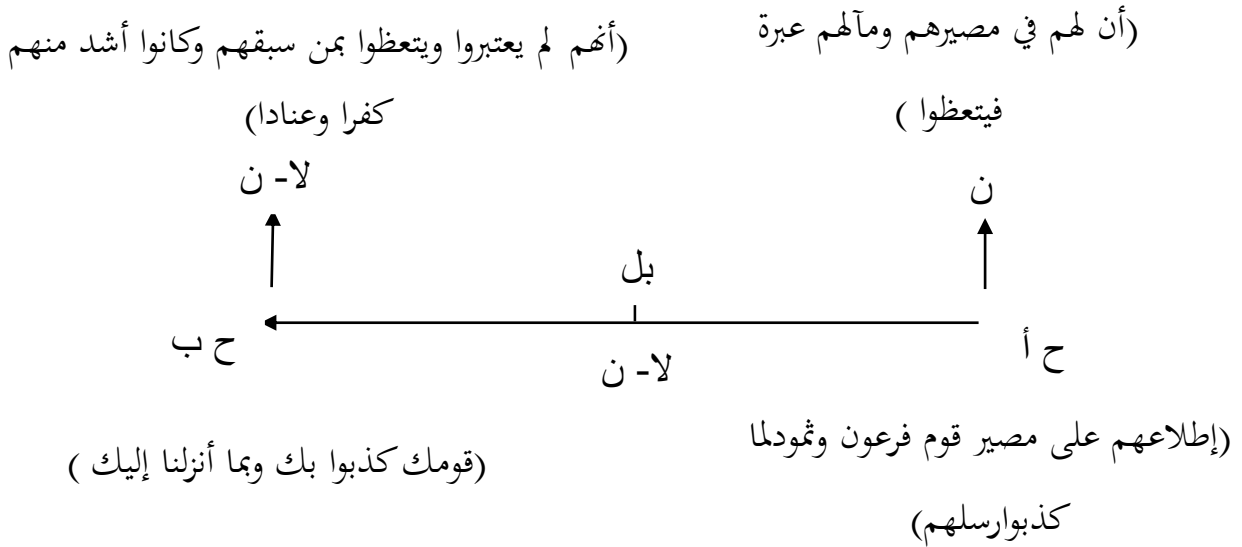
<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 219.

<sup>2</sup> سورة البروج، الآية: 18.

\*علاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه الحجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي هي بعد الرابط الحجاجي " بل " ( قومك كذبوا بك وبما أنزلنا إليك )، والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة وهي ( أنهم لم يتعظوا ولم يعتبروا بمن سبقهم بل كانوا أشد منهم كفرا وعنادا).

وقد عبر الزمخشري عن هذا المعنى بقوله: والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسول، وما نزل بهم من عذاب لتكذيبهم، فإن الذين كفروا من قومك أيضا في تكذيب واستيحاب للعذاب، والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم ولا يعجزونه، ومعنى الاضراب هنا أن أمرهم أعجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم، ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا، وكذبوا أشد من تكذيبهم.<sup>1</sup>

فالحجة " أ " أقوى من الحجة " ب " كما نلاحظ أن كلا الحجتين نتيجتهما ضمنية، وأن نتيجة الحجة " ب " والتي يرمز إليها ب " لا - ن " هي المقصودة، وهي أقوى من نتيجة الحجة " أ ". كما هو موضح في المخطط الآتي:



<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج6، ص 350 - 351.

المثال الثالث: قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا فُلْ بَلْ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيباً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>1</sup>

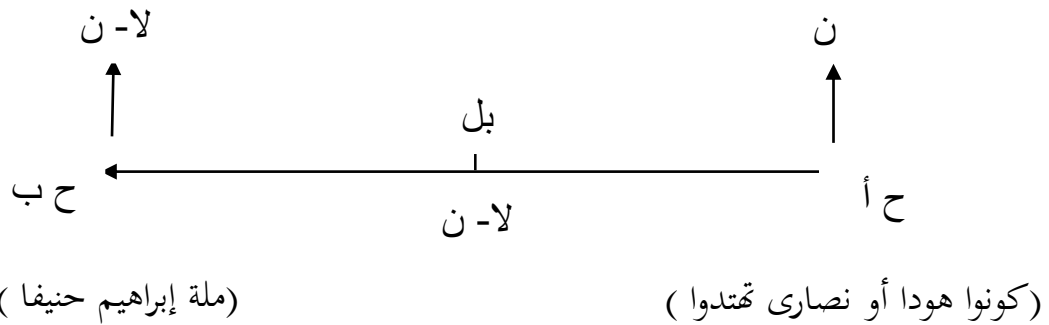
الحجة " أ " هي ( كونوا هودا أو نصارى تهتدوا )، تخدم النتيجة المضادة للنتيجة السابقة " ن " التي هي ( أن اليهودية والنصرانية هي الدين الحق ).

الحجة " ب " هي ( ملة إبراهيم حنيفا )، تخدم النتيجة المضادة للنتيجة السابقة " لا - ن " وهي ( نفي أن تكون اليهودية أو النصرانية هي الدين الحق، وإنما الدين الحق هو اتباع ملة إبراهيم ).

فهنالك تعارض حجاجي بين ما تقدم الرابط الحجاجي " بل " وبين ما بعده، وقد أفاد الرابط بإبطال دعواهم بأن دينهم هو الحق، من نتيجة عكسية ضمنية هي أن اتباع ملة إبراهيم هو الحق، وهذا ما أشار إليه صاحب الكشاف في تحليله للشاهد بقوله: أنكم لستم على الحق وإنما أتم على الضلال والباطل، بل الحق أن تتبعوا ملة إبراهيم وتكونوا من أهل ملته<sup>2</sup>.

(اليهودية والنصرانية هي الدين الحق) (نفي أن تكون اليهودية أو النصرانية هي الدين الحق)

وإنما الدين الحق هو اتباع ملة إبراهيم (



<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 134.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 334.

ومن خلال وقوفنا على الرابط الحجاجي " بل " نلاحظ أنه دائما يربط بين حجتين متعارضتين تكون التي بعده أقوى من التي بعده، وكل حجة منهما تحيل إلى نتيجة ضمنية، ولكن القول بمحملة يؤول إلى النتيجة الضمنية المعاكسة وهي " لا - ن " .

### \*الرابط الحجاجي: " لكن "

يعبر هذا الرابط عن الاستدراك ويستعمل أيضا مثل " بل " للحجاج والإبطال وهي " تعبر دائما عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها.<sup>1</sup> والمتكلم يستدرك بها بعد نفي أو نهي .

والمتكلم يستعمل الرابط الحجاجي " لكن " لعكس الاستدراك وتوجيه الحجاج لما سيتلوها، اعتمادا على ما قيل قبلها، والحجة التي تأتي بعدها تكون أقوى من التي قبلها.<sup>2</sup>

المثال الأول: قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَفَرَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا ﴾<sup>3</sup> نلاحظ أن هناك تعارضا حجاجيا بين ما بعد الرابط "

لكن " وما بعده، فهي كما سبق وقلنا تعبر عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها، وقد استعملت في هذا المثال لعكس الاستدراك وتوجيه الحجاج لما سيتلوها وذلك بنفي السحر والشعوذة عن سليمان وإثباتها للشياطين، وقد أشار الزمخشري إلى هذا المعنى بقوله: أن هناك من كان يظن أن الجن تعلم الغيب، وكانوا يقولون: هذا علم سليمان، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه سخرت له الجن والانس والريح تجري بأمره، ولكن الله كذب الشياطين ودفع عن سليمان هذا العمل الشنيع وهو السحر وذلك بعكس الاستدراك بعد نفي السحر عن سليمان وإثباته للشياطين بأنهم هم الذين كفروا بممارستهم للسحر وإغوائهم للناس.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 60.

<sup>2</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 511.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 101.

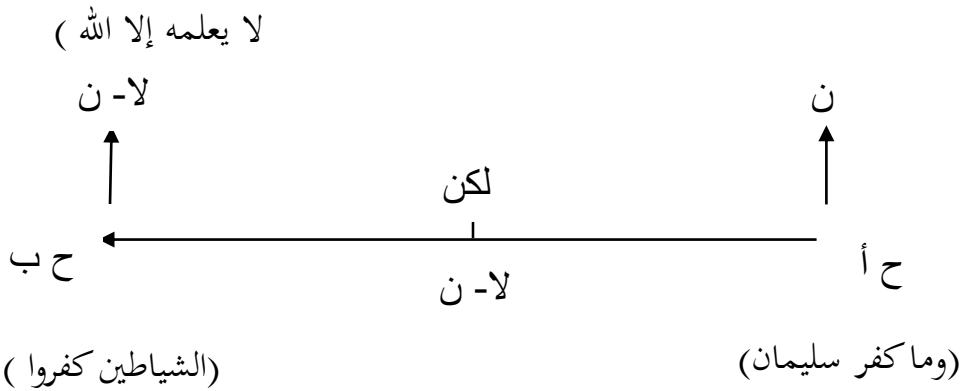
<sup>4</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 305.

الحجة " أ " هي ( و ما كفر سليمان )، تخدم النتيجة " ن " التي هي ( نفي السحر والشعوذة عن سليمان ).

الحجة " ب " هي ( الشياطين كفروا )، تخدم النتيجة المضادة للنتيجة السابقة " لا - ن " التي هي ( أن السحر والشعوذة من عمل الشياطين، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله ).

فالحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، وقد أحالت إلى نتيجة مناقضة وداحضة لنتيجة سابقة، وقد وجهت القول بمجمله نحو النتيجة " لا - ن"، حيث أننا نجد الحجة " ب " مضادة للحجة " أ "، والنتيجة " لا - ن " مضادة للنتيجة " ن "، و " أ " هي حجة بالنظر إلى " ن " و " ب " هي حجة بالنظر إلى " لا - ن "، و " ن " تعاكس " لا - ن "، ويمكن توضيح هذه العلاقة الحجاجية من خلال المخطط الآتي:

(نفي السحر والشعوذة عن سليمان) (إن السحر والشعوذة من عمل الشياطين، وأن الغيب



المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ قَالَ يَلْفَومَ لَيْسَ بِ ضَلَالَةٍ وَلَا كَيْفَ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>1</sup> يوجد تعارضا حجاجيا بين ما بعد الرابط الحجاجي " لكن " وما بعده مكون من علاقتين حجاجيتين متعارضتين هما " :

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 60.



علاقة الحجة " أ " وهي ( يا قوم ليس بي ضلالة )، تخدم النتيجة " ن " وهي ( وهي أن الدعوة إلى الله ضلالة في نظرهم ).

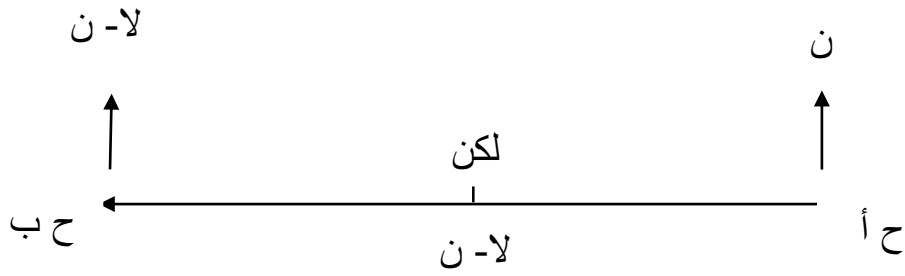
علاقة الحجة " ب " وهي ( رسول من رب العالمين )، تخدم النتيجة المضادة " لا - ن " وهي ( نفي الضلالة عن نوح وإثبات أنه رسول الله ).

وللدلالة على هذا المعنى يذهب الزمخشري إلى القول أن: " فإن قلت: كيف وقع في قوله ( ولكني رسول من رب العالمين )، استدراكا للانتفاء عن الضلالة؟ قلت: كونه رسولا من الله، مبلغا رسالاته، ناصحا، في معنى كونه على الصراط المستقيم، فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة"<sup>1</sup>.

فالحجة الثانية " ب " أقوى من الحجة " أ " وقد أحالت إلى نتيجة عكسية مناقضة للنتيجة " ن " يتوقف عليها معنى القول، وذلك من خلال نفي الاستدراك لإثبات أن نوح رسول من الله. ويمكن أن نوضح ذلك من خلال المخطط:

(نفي الضلالة عن نوح وإثبات أنه رسول الله)

(أن الدعوة إلى الله ضلالة)



(رسول من رب العالمين)

(يا قوم ليس بي ضلالة)

المثال الثالث: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ، أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ فَأَيِّمَةً، وَلَيْسَ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهُمَا مُنْفَلِبًا ﴿٢٥﴾ قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَبَّرْتَ بِالذِّمِّ خَلْفَكَ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 454.

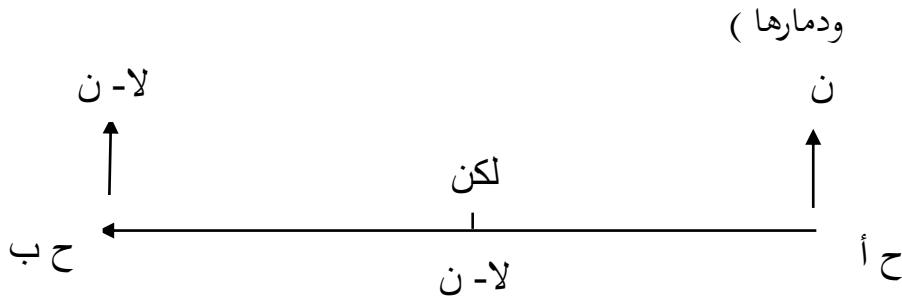
رَجُلًا ﴿٦٦﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا<sup>1</sup> نلاحظ أيضا في هذا المثال تعارضا حجاجيا بين ما قبل الرابط الحجاجي " لكن " وما بعده، يحيل إلى معنى التعارض والتنافي، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه الزمخشري في تفسيره لمعنى الرابط الحجاجي بقوله: " فإن قلت: هو استدراك لماذا؟ قلت: لقوله: أكفرت، قال لأخيه: أنت كافر بالله، لكني مؤمن موحد، كما تقول زيد غائب، لكن عمرا حاضر<sup>2</sup> ". فقوله أنت كافر بالله تناقض وتنافي قوله لكن أنا مؤمن موحد.

فالتعارض هنا بين الإيمان والكفر، والشكر لنعم الله والجدود بها، وجنة الدنيا وجنة الآخرة، فالآية تضمنت حوارا جرى بين أخوين أحدهما مؤمن معتز بإيمانه شاكرا لأنعم الله زاهدا في الحياة الدنيا، والآخر كافر أغوته نفسه فكفر بأنعم الله عليه<sup>3</sup>. ولذا نجد أن هناك علاقيتين حجاجيتين:

علاقة الحجة " أ " ( دخل جنته وهو ظالم لنفسه )، تخدم النتيجة الضمنية " ن "، وهي ( كفره بأنعم الله عليه وهلاك جنته ودمارها ).

علاقة الحجة " ب " ( لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ) تخدم النتيجة الضمنية المعاكسة " لا - ن " ( الإيمان بالله والشكر لنعمه و الفوز بالجنة الدائمة ). فالحجة " ب " أقوى من الحجة " أ "، والقيمة الدلالية و الحجاجية للرابط " لكن " تخدم النتيجة العكسية " لا - ن " التي هي مناط القول، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

( كفره بأنعم الله عليه وهلاك جنته ) ( الإيمان بالله والشكر لنعمه ثوابه الفوز بالجنة الدائمة )



( لكننا هو ربي ولا أشرك بربي أحدا )

( دخل جنته وهو ظالم لنفسه )

<sup>1</sup> سورة الكهف، الآية: 25 - 26.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 587.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 586.

ومما سبق يمكن القول أن القيمة الحجاجية والدلالية للرباط الحجاجي " لكن " تتجه دوما نحو توجيه الخطاب حجاجيا نحو النتيجة " لا - ن " التي هي محور العلاقة الحجاجية.

\*الروابط الحجاجية: " الواو " و " ثم "

تعتبر أدوات العطف أيضا من الروابط الحجاجية التي وظفها الزمخشري في خطابه التفسيري لما لها من دور هام في ترتيب الحجج ووصلها بعضها ببعض، حيث أن كل حجة منها تقوي التي تليها، كما أنها تعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي. وهذا ما سنتوقف عليه من خلال التمثيل لكل نوع من هذه الروابط:

الرباط الحجاجي: " الواو "

مثال: قال تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>1</sup>

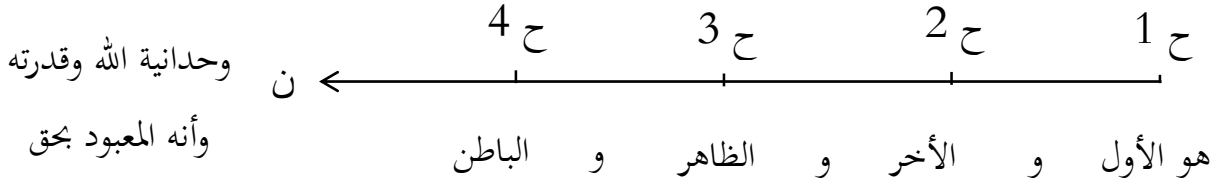
ذهب الزمخشري في تفسيره لمعنى الآية إلى القول: " هو القديم الذي كان قبل كل شيء، والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء، والظاهر بالأدلة الدالة عليه، والباطن لكونه غير مدرك بالحواس"<sup>2</sup>. وإذا كانت وظيفة الرباط الحجاجي " الواو " وصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة الضمنية، فقد أشار الزمخشري في تفسيره لهذه الآية إلى هذه القيمة الحجاجية والدلالية لـ " الواو " بقوله: " فإن قلت: فما معنى الواو؟ قلت: الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولى و الآخريّة، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء. وأما الوسطى، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولىين ومجموع الصفتين الآخريين، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن: جامع للظهور بالأدلة والخفاء، فلا يدرك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوز إدراكه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الحديد، الآية: 03.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج6، ص 42.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج6، ص 42 - 43.

فالملاحظ أن الحجج في الآية جاءت متسقة ومترابطة، وكل حجة تقوي التي بعدها بفضل " الواو " للوصول إلى النتيجة الضمنية وهي: تقرير وحدانية وقدرته وأنه هو المعبود بحق، ويمكن أن نتصور هذه الحجج كالاتي:



الرابط الحجاجي: " ثم "

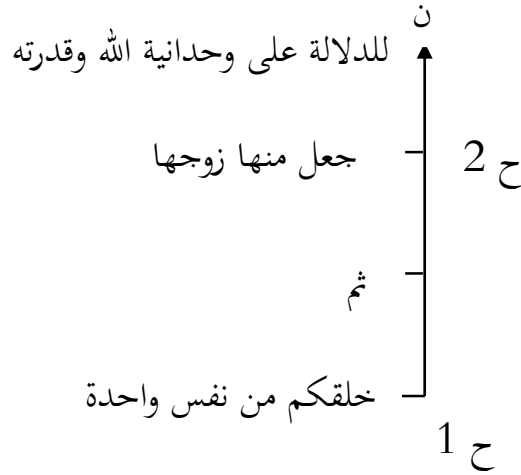
ذهب الزمخشري في تحليله لهذا الرابط " ثم " إلى أنه يعود إلى معنيين: الأول: الاستبعاد إذا كان ما قبلها من الأحداث والأفعال مهيناً لعدم حصول ما بعدها، أي مستبعد الوقوع، والثاني: بيان البعد بين الأمرين: بمعنى أن الأمرين من جنس واحد، ولكن ما بعد الرابط " ثم " أعلى مرتبة في هذا الجنس وأبلغ مما قبلها<sup>1</sup>. والمعنى الثاني هو المقصود في الحجاج، بحيث تصبح الحجة التي بعد الرابط " ثم " أقوى في الدلالة على الحجاج من الحجة التي قبلها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿خَلَفَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾<sup>2</sup> فقد ذهب الزمخشري في تفسيره لمعنى الرابط الحجاجي " ثم " إلى القول: " فإن قلت: ما وجه قوله: ثم جعل منها زوجها، وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته: تشعيب هذا الخلق الفائق للحصر من نفس آدم، وخلق حواء من قصبريه، إلا أن إحداها جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجر بها العادة، ولم تخلق أنثى من غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في المنزلة والحال لا من التراخي في الوجود"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 239.

<sup>2</sup> سورة الزمر، الآية: 07.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 289 – 290.

فقد تضمنت الآية حجتين هما: خلق الناس من نفس واحدة، ثم خلق من هذه النفس زوجها، فكانت الحجة الثانية أقوى إقناعاً وتأثيراً للدلالة على وحدانية الله وقدرته، وهذه هي النتيجة المقصودة، فقد أضاف الرابط الحجاجي " ثم " قيمة حجاجية جعلت من الحجة الثانية أكثر قوة وأكثر تأثيراً على المتلقي، ويمكن تصور هذه الحجج كالتالي:



فالروابط الحجاجية تعمل على ضبط العلاقات الحجاجية بين الحجج والنتائج وتنظيمها.

إن الاعتماد على الاحتجاج باللغة يضمن نجاح الخطاب ويستجلي معاني الآي والسور ويجعلها قريبة من فهم المتلقي.

**3/ العوامل الحجاجية: les operateurs:** وهي أدوات لا تربط بين متغيرات حجاجية ( أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج ) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، قليلا، كثيرا، ما، إلا، وجل أدوات القصر.<sup>1</sup> وستطرق إلى العاملين " إنما " و " ما إلا " مع الإشارة إلى إن الاختلاف في استعمال هذه العوامل يعود المقامات والسياقات المختلفة، فقد يصلح عامل في مقام ولا يصلح في مقام آخر.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

<sup>2</sup> ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 329.

\*العامل الحجاجي " إنما " :

لقد ذهب الجرجاني إلى أن العامل الحجاجي " إنما " يأتي إثباتاً لما يذكر بعده ونفياً لما سواه.<sup>1</sup> فهي "تجيء لخبير لا يجهره المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يُنزل هذه المنزلة."<sup>2</sup> ومثال ذلك:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْغُرَبَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ فُلُوْهُنَّ فِي الرِّقَابِ وَالْعَرَمِيِّنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>3</sup> فالملفوظ القرآني على حسب رأي الزمخشري يفيد " قصرًا لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة، وأنها مختصة بها، لا يتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم، نحو قولك: إنما الخلافة لقريش، تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم"<sup>4</sup>.

فالعامل الحجاجي " إنما " أثبت أن الصدقات إنما تكون للأصناف الثمانية المذكورة، وليس للمنافقين فيها شيء، وهنا تكمن القيمة الحجاجية للعامل، فهو يريد التنبيه إلى أن الصدقات لهذا الصنف والتأكيد عليها، لمنع جزع المنافقين وطمعهم وطعنهم في قسمته ( ص ) ولدفع اعتقاد هؤلاء بأن لهم حقا في الصدقة ولهذا يقول الزمخشري " كيف وقعت هذه الآية في تضاعف ذكر المنافقين ومكائدهم؟ قلت: دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم، حسماً لأطماعهم واشعاراً باستيحابهم الحرمان، وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها، فمالهم وما لها؟ وما على التكلم فيها ولمز قاسمها، صلوات الله عليه وسلامه."<sup>5</sup> فإنما بدخولها على الملفوظ وجهته نحو نتيجة ضيقة محددة، هي خلوص الصدقة لهذه الأصناف الثمانية، وحمل المخاطب على الإقناع بهذا التوجيه.

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 328.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 330.

<sup>3</sup> سورة التوبة: الآية: 60.

<sup>4</sup> الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 60.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج3، ص 61.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾<sup>1</sup> يقول الزمخشري في تفسيره معنى الملفوظ القرآني "أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، وإنما يستجيب من يسمع ... وقيل معناه: وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون، وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم"<sup>2</sup>.

فقد قصر الاستماع والاستجابة على الذين يسمعون، وأما من لا يسمع فهو بمنزلة الميت، وفي هذا تنبيه إلى المخاطب، وهو النبي (ص) ودفع لبس من اعتقد أن هؤلاء سيستجيبون لدعوته (ص) ضمن مبدأ الاقتناع "فكل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال ويدعى إليه، وأن من لم يسمع ولم يعقل لم يستجب"<sup>3</sup>.

فقد عمل العامل الحجاجي "إنما" على تعديل القيمة الحجاجية للملفوظ القرآني من خلال قيمة الإثبات، أي التأكيد على أن هؤلاء بمنزلة الأموات لن يستجيبوا لك، وقيمة التخصيص من خلال قصر الاستجابة على الذي يسمع ويعقل، للوصول إلى نتيجة ضمنية محددة أن هؤلاء سواء دعوتهم أم لم تدعوهم لن يسمعوا لك.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ لَأَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾<sup>4</sup> فقد ذهب الزمخشري في تفسيره لمعنى العامل الحجاجي "إنما" إلى القول " (إنما) لقصر الحكم على شيء، كقولك: إنما ينطق زيد، أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنما زيد كاتب، ومعنى (إنما نحن مصلحون)، أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمخضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 37.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 342.

<sup>3</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 331.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية: 10.

الفساد.<sup>1</sup> وقد جاءت الآية في سياق حوار جدلي بين المؤمنين والمنافقين وقولهم: ( إنما نحن مصلحون ) من جملة قول المنافقين ردا على المؤمنين حينما قالوا لهم ( لا تفسدوا في الأرض ) فنفوا عن أنفسهم الفساد وأثبتوا لأنفسهم صفة المصلحين وقصروها على أنفسهم ليثبتوا عكس ما قيل فيهم والمعنى " يدعون أن كونهم مصلحين أمر ظاهر معلوم"<sup>2</sup>.

ولذا رد الله عليهم مكذبا إياهم في قوله ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) فجمع بين (ألا) التي هي للتنبيه و ( إن ) التي هي للتأكيد. وفي ذلك يقول الزمخشري: " ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا... فرد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم"<sup>3</sup>.

فقد نفى الله اعتقاد المنافقين أنهم مصلحون وذلك بتوجيه الملفوظ القرآني نحو نتيجة مفادها أن هؤلاء المنافقون مفسدون ولكن لا يشعرون.

### \*العامل الحجاجي " ما إلا "

هو من العوامل التي توجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض.<sup>4</sup> ويكون استعماله لأمر ينكره المتلقى ويشك فيه، فإذا رأيت شخصا من بعيد وقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدا<sup>5</sup>.

قال تعالى : ﴿ فَلَا أَجْدُ فِي مَآءِ وَحْيٍ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾

<sup>1</sup> الزمخشري، ج1، ص 180.

<sup>2</sup> الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص 147.

<sup>3</sup> الزمخشري، ج1، ص 181.

<sup>4</sup> الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 520.

<sup>5</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 332.



فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>1</sup> فقد ناقضت الآية غرضهم فأحلت ما حرموا وحرمت ما أحلوا، حيث يقول الزمخشري: " وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم، فاعترض بالاحتجاج على من حرمها، والاحتجاج على من حرمها تأكيد، وتسديد للتحليل، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد ... وتنبه على أن التحريم إنما يثبت بوحى الله تعالى وشرعه لا يهون النفس ... إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أو دما مسفوحاً"<sup>2</sup> .

فالنفي ب " ما إلا " استعمل في ما أنكره المخاطب، فالمخاطبون حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، فأضاف القصر قوة حجاجية من خلال التأكيد والتنبيه على أن الله هو الذي يحل ويحرم وأن هذا الأمر من اختصاصه عز وجل، وقد عمل القصر على تقليص الإمكانات الحجاجية وتوجيه المخاطب نحو نتيجة مضمرة وهي: أن ما أحللتموه حرام، وما حرمتموه حلال، وأن أمر الحلال والحرام لله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِيسِرٌ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>3</sup> يقول الزمخشري " والمراد الرد على النصارى في تثليثهم"<sup>4</sup>، فالمخاطبون أنكروا أن يكون الله واحداً، فأضاف القصر قوة حجاجية بنفي ما أنكره هؤلاء، وقد عمل القصر على تقليص الإمكانات الحجاجية وتوجيه المخاطب نحو نتيجة مضمرة وهي: أن الله هو الواحد الأحد، وهذا القصر حقيقي.

وختاماً لما سبق يمكننا القول أن الزمخشري قد وظف العديد من الروابط والعوامل في خطابه التفسيري التي أسهمت في جعل خطابه التفسيري خطاباً حجاجياً بما يتلاءم وسياق الكلام. وإضافة إلى الروابط والعوامل الحجاجية، فإن الخطاب التفسيري عند الزمخشري يزخر بآليات عديدة هي في صميمها حجاجية، سنقتصر على الإشارة إلى بعضها من قبيل:

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 146.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 406.

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية:

<sup>4</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 566.

- حجاجية العدول الصرفي:

يعتبر العدول الصرفي من الآليات اللغوية الحجاجية، وقد وقف الزمخشري على الفروق المعنوية التي يوحى بها العدول الصرفي وما لها من أثر في توجيه المعاني، ولذا فإن البحث في "الأصول الاشتقاقية التي للكلم، ينجر عنه فعل حجاجي ودور برهاني، يضمن نجاعة التأويلات ويحقق استقامة الأدلة. وما التقليل الذي نعائين وجوده في الكشاف، سوى دليل على قوة هذا النمط الحجاجي الذي يؤصل الدلالات اللغوية، تأصيلاً يجعلها متوافقة ومبادئ النسق التأويلي الذي يروم المحاج توصيله وتبليغه."<sup>1</sup>، وهذا ما سنتوقف عليه من خلال الأمثلة التالية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾<sup>2</sup> يقول الزمخشري " فإن قلت: لأي فائدة أوتر اسم المفعول على فعله؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروباً لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وأثبت أيضاً لإثبات الجمع إلى الناس، وأنهم لا ينفكون منه، ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوب مالك محروب قومك، فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله ( يوم يجمعكم ليوم الجمع ) تعثر على صحة ما قلت لك"<sup>3</sup>.

فالعدول عن صيغة الفعل ( يجمع ) إلى صيغة اسم المفعول ( مجموع ) انجر عنه فعل حجاجي ودور برهاني، إذ أن التعبير بصيغة اسم المفعول دلالته أقوى من حيث التأثير على المخاطب وتحقيق الاقناع وهو يوم الحساب الذي يجمع له الناس كائن لا محالة على معنى فليعمل الناس لذلك اليوم. وأما التعبير بدلالة الفعل ( يجمع ) فهي على معنى أنه يوم مثل بقية الأيام، ومن خلال الوقوف على المعنيين يتبين لنا

<sup>1</sup> علي الشبعان، الحجاج والحقيقة والتأويل، ص 281.

<sup>2</sup> سورة هود، الآية: 103.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 234-235.

كيف أن الزمخشري وظف العدول الصرفي في بنية خطابه توظيفاً حجاجياً يهدف من خلاله إلى إقناع المخاطبين بصحة تأويلاته.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>1</sup> يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم قيل: (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدرّج والتنجيم، وهو من مجازه لمكان التحدي، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوماً سورة بعد سورة وآيات غب آيات، على حسب النوازل وكفاء الحوادث، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر... فلو أنزل الله لأنزله بخلاف هذه العادة جملة واحدة... فقيل: إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدرّج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجماً فرداً من نجومه، وهلموا نجماً فرداً من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات، وهذه غاية التبيكيت، ومنتهى إزاحة العلل"<sup>2</sup>.

فقد جاء الملفوظ القرآني في سياق حوار جدلي فبعد أن بين الله تعالى الصور الدالة على وحدانيته بما يبطل الشرك ويهدمه عطف على ذلك بيان ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد (ص) وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله أم من عند نفسه<sup>3</sup>.

وقد انبنى العدول الصرفي من صيغة (أنزلنا) إلى صيغة (أنزلنا) على فعل حجاجي تمثل في الاستدلال على أن القرآن كلام الله وأن نزوله منجماً من مجاز التحدي، وذلك لدحض دعواهم القائلة بعكس ذلك بحجة أنه لو كان كلام الله لما نزل منجماً على عادة الشعراء والخطباء في كلامهم. فكان ذلك أبلغ في التحدي والمحاجة ودفع الشبهة، ولذا فإن صيغة (نزلنا) كانت أقوى دلالة وأبلغ برهان في الرد

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 23.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص218.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص218.

على هؤلاء المشككين المنكرين ودحض دعوهم من خلال بيان الحكمة التي أنزل الله من أجلها القرآن منجما.

### - حجاجية الالتفات:

يعتبر الالتفات في اللغة آلية من آليات الحجاج اللغوية التي أشار الزمخشري إليها في كشافه لما له من دور مهم في استمالة المتلقي وتهيئته ودفعه للإقناع، فهو " طريقة للضغط على ذهن المتلقي ولفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة في الرسالة"<sup>1</sup>.

وقد ذهب صولة إلى القول أن بيرلمان و تيتيكاه قد حصرا وظيفة الالتفات الحجاجية في جعل الشيء الذي عليه مدار الالتفات أشد حضورا في ذهن المتلقي<sup>2</sup> وقد يتجاوز الالتفات هذه المسألة لأن يصبح آلية يستثمرها المتكلم في الإقناع ، ويصبح وسيلة من وسائل الحجاج.

ولذا يمكن القول أن " هذا التغير في نوع الضمائر مع بقاء الملتفت عنه واحدا يتغير، ليس مجرد الافتتان في الكلام وليس هو لتطرية السامع وتنشيطه فحسب. وإنما هو كذلك، وربما أساسا، لتوريط هذا السامع والزج به في القضايا التي يتناولها الخطاب، ولجعله طرفا فيها معنيا بها"<sup>3</sup>.

وقد ذهب الزمخشري في حديثه عن أهمية الالتفات إلى القول " وهو فن من الكلام جزل، فيه هنز وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما: إن فلانا من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك، نبهته بالفتاتك نحوه فضل تنبيه، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من

<sup>1</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 459.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 456.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 462.

طبعه ما لا يجده إذا استمرت على لفظ الغيبة، وهكذا الافتتان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الأذان للاستماع، ويستتهش الأنفس للقبول<sup>1</sup>.

فقد أشار الزمخشري في نصه هذا إلى البعد الحجاجي لأسلوب الالتفات، وتطرق إليه في ثنايا الكشاف في مواضع عديدة وهذا ما سنتوقف عليه من خلال الأمثلة الآتية:

قال تعالى: ﴿ وَمَالِيَ لَأَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>2</sup> يقول الزمخشري في تفسيره لمعنى الملفوظ القرآني: " ألا ترى إلى قوله: ( وإليه ترجعون ) ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع، وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: ( آمنت بربكم فاسمعون ) يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني، فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه، أن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدؤكم، وإليه مرجعكم، وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء، إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء، لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده، ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه، إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز<sup>3</sup>.

فقد جاءت الملفوظ القرآني في سياق الحديث عن حبيب بن إسرائيل الذي جاء ناصحا إلى قومه يدعوهم إلى الإيمان بالرسول، وقد أشار الزمخشري هنا إلى حجاجية الالتفات في قوله ( وإليه ترجعون ) من خلال حثه لقومه ودعوتهم للسمع والطاعة ليكون ذلك أجدى لهم لأن يعملوا بنصيحته فيؤمنوا بما جاء به الرسول فيبتهم بالحجة ويتحقق له الاقناع " فالتفت من التكلم إلى الخطاب، وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه، تلطفا وإعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم وعوتهم إلى الله. وأيضا لأن قومه لما أنكروا عليه عبادة الله، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم، فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه، ثم حذرهم بقوله

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 210.

<sup>2</sup> سورة يس، الآية: 21.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 172.

(وإليه ترجعون).<sup>1</sup> " فالالتفات من التكلم إلى الخطاب آية من آيات الحجاج التي وظفها المتكلم في خطابه ليتحقق له الاقتناع والاستدلال.

قال تعالى : ﴿ فُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي ۚ وَيُمِيتُ فَمَنْ نُوأ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۚ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾<sup>2</sup> فقد ذهب الزمخشري في تفسيره للملفوظ القرآني إلى القول: "فإنت قلت: هلا قيل: فآمنوا بالله وبني، بعد قوله: إني رسول الله إليكم؟ قلت: عدل عن المضمرة إلى الاسم الظاهر، لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، كائنا من كان، أنا أو غيري، إظهاراً للنصفة وتفادياً من العصبية لنفسه"<sup>3</sup>.

فالزمخشري كشف من خلال تحليله عن الأهمية التي يبني عليها الالتفات من حيث كونه آية حجاجية تعمل على تعديل القوة الحجاجية وتوجيه القول بما يحقق الاستدلال والاقتناع وذلك من خلال توظيف الحجج باستعمال الالتفات، وقد عمل استعمال أسلوب الالتفات في هذا الملفوظ على:

- دفع النبي (ص) التهمة عن نفسه بالعصبية لها كونه رسولا إلى كافة الناس. - تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة، من النبوة والأمية التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته، بل لهذه الخصائص.<sup>4</sup> ليتحقق له النفاذ إلى عقولهم واستمالة قلوبهم ويتحقق له الإقناع بأن يؤمنوا به ويصدقوا بنبوته.

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 35.

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآية: 158.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 519.

<sup>4</sup> ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 317.

- حجاجية القياس:

القياس أيضا من الآليات اللغوية التي وظفها الزمخشري في كشافه كوسيلة للاستدلال بها على صحة كلامه، لا سيما في حديثه عن معاني ودلالات وتراكيب اللغة، فللقياس دور كبير في دراسة اللغة وتعيد أحكامها وضبط ألفاظها، والزمخشري كثيرا ما يستعين بالقياس في تفسيره لآي القرآن الكريم ففي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>1</sup> على سبيل المثال "يقول الزمخشري في تفسيره للفظه (الرحمان) مستعينا بالقياس اللغوي:" والرحمان فعلان من رحم، كغضبان، وسكران، من غضب، وسكر، وكذلك: الرحيم فعيل منه، كمريض وسقيم، من مرض وسقم، وفي (الرحمان) من المبالغة ما ليس في (الرحيم)... فإن قلت: كيف تقول: الله رحمان، أتصرفه أم لا؟ قلت: أقيسه على أخواته من باب، أعني: نحو عطشان، وغرثان، وسكران، فلا أصرفه، فإن قلت: قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى، واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى، فلم تمنعه الصرف؟ قلت: كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى، كعطشى، فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة، فإذن لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض، فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص، وهو القياس على نظائره"<sup>2</sup>.

فقد جعل الزمخشري من القياس آلية لغوية حجاجية للاستدلال بها على عدم تصرف لفظ (الرحمان) في تفسيره للملفوظ القرآني ليلزم المتلقي بالحجة ويتحقق له الاقناع.

وقد يعمد الزمخشري في تفسيره للملفوظ القرآني إلى الحديث على اللفظ ومحاولة شرحه بالوقوف على أصله اللغوي ومشتقاته بالرجوع إلى المعاجم العربية أو إلى أقوال النحاة ليلزم المتلقي الحجة، ويستدل ويبرهن من خلاله على صحة تأويله، ونجد ذلك كثيرا في ثنايا الكشاف، فعلى سبيل المثال ذهب الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ

<sup>1</sup> سورة الفاتحة، الآية: 02.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 109 - 110.

بِمُؤْمِنِينَ<sup>1</sup> إلى القول في شرح لفظة ( الناس ) " وأصل ( ناس ) : أناس، حذفته همزته تخفيفاً كما قيل: لوقة، في الوقة، وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس، ويشهد لأصله إنسان، وأناس وأناسي، وإنس، وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون، كما سمي الجن لاجتنائهم، ولذلك سموا بشرا، ووزن ناس فعال، لأن الزنة على الأصول، ألا تراك تقول في وزن ( قه ) افعل، وليس معك إلا العين وحدها؟ وهو من أسماء الجمع كرخال، وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل، ولام التعريف فيه للجنس"<sup>2</sup>.

وقد يعمد الزمخشري للتدليل على صحة تأويله إلى الاستشهاد بالقرآن أو السنة أو الشعر كوسيلة حجاجية طبعت كشافه ومن أمثلة ذلك يقول الزمخشري في الكشاف " ومعنى إقامة الصلاة: تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها، من أقام العود - إذا قومه - أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وجل ( الذين هم على صلاتهم دائمون )،... من قامت السوق إذا نفقت، وإقامها، قال ( من المتقارب).

أقامت غزاة سوق الضراب لأهل العراقيين حولاً قميطاً<sup>3</sup>.

فقد استدل الزمخشري ببيت من الشعر ليبرهن من خلاله على صحة المعنى الذي ذهب إليه، وكثيرة هي الأمثلة على ذلك، ولكن لضيق المقام اقتصرنا على هذه النماذج التي تظهر من خلالها شخصية الزمخشري المتمرس التي تسلك كل سبيل للوصول إلى التأويل الصحيح وأسر عقل القارئ والمتلقي على السواء، وإلزامهما بالحجة والدليل.

ومما سبق يمكن اعتبار القياس وسيلة حجاجية عند الزمخشري وظفها للاستدلال بها لإقناع متلقي خطابه التفسيري.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 07.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 170.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 154.



### 2/ الآليات البلاغية للحجاج عند الزمخشري:

تعد البلاغة من أهم الوسائل والآليات الحجاجية التي وظفها الزمخشري في كشافه، وذلك لما لها من أثر في استمالة المتلقي والتأثير فيه، ولما لها من قدرة فائقة وعجيبة تؤثر في العقل، والقلب، والذهن، فهي تحرك الوجدان، وتخطب العقل والعاطفة والحس.

وقد ذهب علماء الحجاج إلى " الإقرار بوجود طاقات / آثار حجاجية تحتوي عليها الأساليب البلاغية التي هي في الأصل ذات قيمة تصويرية ينشط فيها الخيال وتعلو داخلها طاقة التمثيل ولكن فيها، إضافة إلى ذلك، أبعادا استدلالية تقوي في الخطاب نظام البرهنة كما ترفد حركة الاستدلال التي تعد آلة الحجاج في إقناع الجمهور بمحمولات فكره ومقتضيات عقله"<sup>1</sup>.

وعندما نتحدث عن العلاقة بين الحجاج والبلاغة، فإنه يمكن القول أن في الحجاج بلاغة، وفي البلاغة حجاج، فكلاهما يقول على علاقة تخاطبية تواصلية قائمة على التفاعل والتجادل<sup>2</sup>. إذ أن " الوجوه البلاغية عند بلرمان تكون ضربا من الرخرف إذا لم توظف في خدمة الحجاج"<sup>3</sup>.

فالزمخشري "وظف البلاغة واللغة لخدمة اعتزاله، لما توجده من أثر في النفس بسبب ما تتضمنه من أساليب فيها الكثير من الحس والمزية، وهو في تفسيره يهتم بتقرير أثر هذه الأساليب ويعالج القضايا البلاغية، بعد أن ينظر إلى النص القرآني نظرة المتفحص المتحقق، ليخرج لنا صورة على أحسن شكل بأسلوب فيه كثير من التميز والجدارة"<sup>4</sup>.

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى اهتمام المعتزلة بالبلاغة، وهي كونها عنصرا هاما من عناصر الإقناع.

<sup>1</sup> علي الشبعمان، الحجاج والحقيقة والتأويل، ص 335.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 335.

<sup>3</sup> حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 397.

<sup>4</sup> صبا يوسف النجار، الإعجاز اللغوي في القرآن بين الجرجاني والزمخشري في كتابيهما الدلائل والإعجاز، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، ص 136.

ولذا يمكن القول أن الخطاب القرآني عموماً، والخطاب التفسيري خصوصاً عند الزمخشري " وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"<sup>1</sup>.

ومن هنا فإن طبيعة الخطاب الحجاجي تقتضي أن " يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس"<sup>2</sup>.

ولعل مما يدل على حجاجية البلاغة " أن الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية ( كما هو مطلوب في سياق البلاغة ) بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية ( كما هو مطلوب في الحجاج )، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية و لإفادة أبعاد تداولية"<sup>3</sup>.

فقد أضفت البلاغة بأشكالها على خطاب الزمخشري مسحة فنية جمالية، وأعطت دافعية وفاعلية هيأت له قيماً حجاجية استطاع من خلالها أن ينفذ إلى عقول المتلقين، ويلفت انتباههم، ليتحقق له الإقناع.

ولذا يمكن القول أن الاستعارة والكناية والتشبيه والمبالغة والطباق " هي وسائل بلاغية من حيث إنها تساهم في الإمتاع والتأثير، ولكنها أيضاً حجاجية من حيث إنها تعبر عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيراً وإصابة"<sup>4</sup>. وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال تحليلنا لبعض النماذج من تفسير الكشاف لنقف من خلالها على البعد البلاغي عند الزمخشري، وقيمه الحجاجية، وأثره في البرهنة والاستدلال والإقناع.

<sup>1</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 58.

<sup>2</sup> صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 50.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 50.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 456.

-حجاجية الاستعارة:

عند ما نكلم عن الاستعارة وقيمتها الحجاجية فإنه ينبغي التفريق بين الاستعارة البديعية والاستعارة الحجاجية " فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية.<sup>1</sup> فالاستعارة الحجاجية " تدخل ضمن الأدوات اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية"<sup>2</sup>. فهي التي تهدف إلى الإقناع والاستدلال.

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ

بِدُعَائِكَ رَبِّ شَفِيئًا ﴾<sup>3</sup> جاءت هذه الآية في سياق الدعاء الذي توجه به سيدنا زكرياء إلى الله . تعالى . فاستهل هذا الدعاء بثلاث حجج للوصول إلى النتيجة المتوخاة:

ح1 ربي إني وهن العظم مني

ح2 اشتعل الرأس شيبا.

ح3 لم أكن بدعائك ربي شقيا.

ح4 إني خفت الموالي من ورائي وكانت إمراي عاقرا.

فقد سرد مجموعة من الحجج تخدم نتيجة واحدة وهي: أن يهب الله له ولدا صالحا يرث علمه وشريعته، إلا أن الحجة الثانية ذات التركيب الاستعاري تتوفر على طاقة حجاجية جعلتها أقوى من غيرها من الحجج لأن الحجاج بالمجاز أقوى من الحقيقة حيث يذهب الزمخشري في تفسيره لهذا الملفوظ إلى القول: " شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال

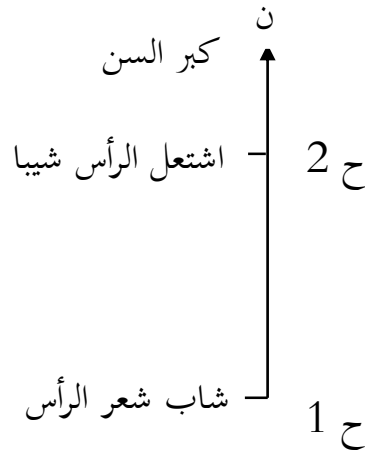
<sup>1</sup> صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 108.

<sup>2</sup> الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 452.

<sup>3</sup> سورة الكهف، الآية: 03.

النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب وهو مميزاً ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكرياء، فمن ثم فصحت هذه الجملة<sup>1</sup>.

فشبهه الشيب بشواظ النار، وهو المشبه به، ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية للدلالة على كبر السن، فالعلاقة بين المشبه والمشبه به تجعل حضور المعنى في ذهن المتلقي أقوى، ومن هنا يمكن المقارنه بين القول الحقيقي والاستعاري من خلال السلم الحجاجي:



نلاحظ أن القول الاستعاري هو الدليل الأقوى، فالقول الاستعاري يقدمه المتكلم على أنه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْفَلُونَ بِهَا أَوْ - إِذَا نَّ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾<sup>3</sup> قال الزمخشري في تفسيره لمعنى هذه الاستعارة: "فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟ قلت: الذي قد تعرف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 06.

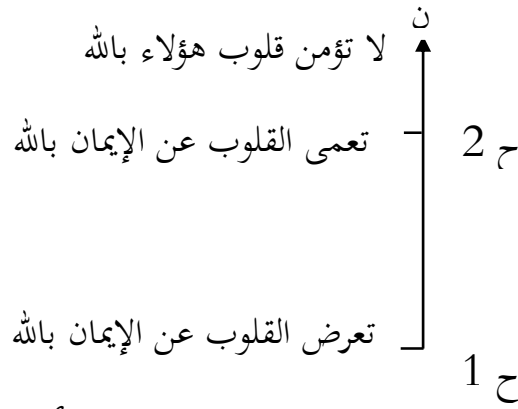
<sup>2</sup> أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 106.

<sup>3</sup> سورة الحج، الآية: 44.

الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف، ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار...<sup>1</sup>.

فقد استعير لفظ العمى للقلوب للدلالة على أن هؤلاء قوم لا يعقلون، وأنهم لو كانوا يعقلون لتأملوا في الكون ولوجدوا فيه الكثير من الآيات الدالة على وحدانيته والتي يرونها كل حين. وقد جاءت هذه الآية في سياق التعريض بالمشركين والكافرين فشبه القلوب بالأبصار واستعار لفظ العمى للدلالة على ذلك. لأن هؤلاء يبصرون ولكن في الحقيقة قلوبهم صماء عمياء أعرضت عن الحق والإيمان للدلالة على أن العمى الحقيقي هو عمى القلوب وليس عمى الأبصار، فهذا القول أقوى لإقناع المتلقي بهذه الحقيقة التي هي خلاف المعتقد كما يقول الزمخشري.

فهذا القول الاستعاري أقوى في السلم الحجاجي بالمقارنة مع أي قول آخر عادي، لأن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية. وهذا ما نلاحظه من خلال السلم الحجاجي:



قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرْفَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 202.

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية: 60.

جاءت هذا القول الاستعاري في سياق مجموعة من الحجج الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله الواحد الأحد حيث يقول الزمخشري: " جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة، لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال، ومن علم مفاتيحها وكيف تفتح، توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده، لا يتوصل إليها غيره، كمن عنده مفاتيح أقفال المخازن، ويعلم فتحها، فهو المتوصل إلى ما في المخازن"<sup>1</sup>.

فالمشبه هو الغيب والمشبه به محذوف هو شيء مادي محسوس كالباب مثلا، والمفتاح هو اللازم الدال عليه، للدلالة على أن القول الاستعاري هو القول الأقوى حجاجا مقارنة بالأقوال الأخرى العادية، ويمكن التمثيل للحجج الآتية بالسلم الحجاجي:

ن	الله تعالى هو عالم الغيب
ح 4	عند مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو
ح 3	ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين
ح 2	ولا حبة في ظلمات الأرض
ح 1	وما تسقط من ورقة إلا يعلمها

فالقول الاستعاري هو القول الأقوى حجاجا لخدمة النتيجة " ن " وهي أنه لا يعلم أحد الغيب غير الله فالاستعارة لها علاقة بمفهوم القوة الحجاجية، ولذا فالقول الاستعاري أقوى حجية ودليلا من القول العادي إذ أن القول الاستعاري يسعى المتكلم من خلاله إلى التأثير في المتلقي من خلال تغيير موقف

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 355.

فكري أو عاطفي.<sup>1</sup> كما أنها " تستثير خيال المتلقين وتهمز وجداناتهم، وتجذبهم إليها في لحظات من المتعة الفنية التي هي أشبه بما يجده المتأمل في التصاوير والفنون التشكيلية الساحرة"<sup>2</sup>.

فالزخمشري يوظف الحجاج بما يناسب السياق والمقام إذ أن من شروط الحجاج التناسب بين الحجة والسياق<sup>3</sup>.

### -حجاجة التشبيه:

يعتبر كل من التشبيه والتمثيل آلية أو وسيلة حجاجة يسعى من خلالها المحاج إلى تصوير المعنى وجعله في أبهى صورة ليكون له تأثير على المتلقي، وقد عد الزخمشري وأغلب البلاغيين أن التشبيه والتمثيل لفظان مترادفان، غير أن الجرجاني رأى أن التشبيه أعم من التمثيل.

وقد ذهب الجرجاني إلى أن التمثيل " إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورته الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها ... وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقر، وبيانه أبحر"<sup>4</sup>.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>5</sup>.

تتمثل القيمة الحجاجة لهذا التشبيه في أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن المتلقي وتوضيحه حيث شبه الله - تعالى - اليهود في إعراضهم عما في التوراة بحال الحمار الذي يحمل الأسفار لا منفعة له فيها،

<sup>1</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 495.

<sup>2</sup> حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص 131 - 132.

<sup>3</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 468.

<sup>4</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود شاكر، دار المدني جدة، دط، دت، ص 118.

<sup>5</sup> سورة الجمعة، الآية: 05.

واستحضار هذا المشهد المؤلف في ذهن وخيال المتلقي يوحى بتصوير عميق للمعنى المقصود، يجعله قريبا من ذهن المتلقي، حيث يقول الزمخشري: " شبه اليهود - في أنهم حملة التوراة وقراءها وحفاظ ما فيها، ثم إنهم غير عاملين بها ولا مستنفعين بآياتها، وذلك أن فيها نعت رسول ( ص ) والبشارة به ولم يؤمنوا به - بالحمار حمل أسفارا، أي كتبا كبارا من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب. وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وبئس المثل مثلا القوم الذين كذبوا بآيات الله، وهم اليهود الذي كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ( ص ) " <sup>1</sup>.

واعتمادا على ما أورد الزمخشري يمكن القول أن هذا التشبيه يحمل طاقة حجائية إقناعية من خلال العلاقة بين المشبه والمشبه تستهدف صنفين من الناس:

الصنف الأول: وهم اليهود الذين علموا التوراة وما فيها من دلائل توحى بصدق نبوة محمد فلم يعملوا بها، ولم يصدقوا بنبوة محمد، فعمل من خلال هذا التشبيه للتعريض بهم والعمل على إقناعهم للعدول عن رأيهم من خلال تحذيرهم مما يفعلون.

الصنف الثاني: وهم المسلمون، والمعنى لا تكونوا كاليهود علموا ما في التوراة ولم يعملوا به، فهم في ذلك مثل الحمار الذي يحمل الأسفار، فعليكم أنتم أن تعملوا بما جاء به نبيكم وهو القرآن.

وتتضح دلالة التشبيه الإقناعية أكثر من خلال ملاحظة الفرق بين القولين الآتين:

-القول الأول: لا تكونوا كاليهود أنزلت عليهم التوراة ولم يعملوا بها.

-القول الثاني: لا تكونوا كاليهود حملوا التوراة فلم يحملوها مثلهم في ذلك كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا.

نلاحظ من خلال القولين أن القول الثاني أبلغ وأقوى من حيث طاقته الحجائية، ودلالته الإقناعية

التي تقتضي الإيمان بما جاء به النبي ( ص ) والتصديق به، والعمل به.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج6، ص 111.



قال تعالى : ﴿ حُنَبَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيبٍ ﴾<sup>1</sup> يقول الزمخشري في تفسيره لبنية هذا الملفوظ: "يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإذا كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله، فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاخطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء هي التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشیطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة"<sup>2</sup>.

فقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن عاقبة الشرك، فشبه الله - تعالى - حال المشرك بحال من سقط من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، وتمثل القيمة الحجاجية لهذا التشبيه في استحضار المتلقي لتلك الصورة الشنيعة التي تجسدت في العلاقة بين المشبه والمشبه به، والتي تصور عاقبة الإشراف بالله، فهذه الصورة تتميز بطاقة حجاجية إقناعية تجعل النفس تنفر من الشرك، لهول المنظر أو الصورة التي جسدت النتيجة المترتبة عن هذا الفعل.

وتتضح دلالة التشبيه الإقناعية أكثر من خلال ملاحظة الفرق بين القولين الآتين:

القول الأول: من يشرك بالله فإن له عذابا أليما.

القول الثاني: من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق.

<sup>1</sup> سورة الحج، الآية: 29.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 192.

نلاحظ من خلال القولين أن القول الثاني أقرب مأخذاً إلى النفس وأقوى دلالة وإقناعاً وتأثيراً على المتلقي، فطاقته الحجاجية أقوى في ردع المتلقي عن الشرك بالله، وإقناعه بضرورة الابتعاد عن هذا الفعل الشنيع وتوحيد الله الواحد الأحد، وهذه هي النتيجة المرجوة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَبْيَهَا أَمَرْنَا لِيَلَّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْصَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>1</sup> يقول الزمخشري في تفسيره لنبية الملفوظ القرآني: " هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في تقضيها، وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه و ذهابه حطاماً بعدما ألتف وتكاثف وزين الأرض بخضرتها ورفيفه..."<sup>2</sup>.

فقد شبه الله - تعالى - حال الدنيا في انقضائها بحال نبات الأرض الذي ينبت على أحسن وجه، ثم سرعان ما يندثر، فالعلاقة بين المشبه ( الحياة الدنيا ) والمشبه به ( نبات الأرض ) تنبئ بطاقة حجاجية تمثلت في تلك الصورة المألوفة التي يستحضرها ذهن المتلقي، فتجعل المعنى قريباً منه. فهذا القول أبلغ وأقوى إقناعاً من قولك للمتلقي: الحياة الدنيا دار فانية.

والهدف من هذه الصورة هو بناء طاقة حجاجية إقناعية لجعل المتلقي يقتنع بفناء الحياة الدنيا وزوالها، وأن العمل والادخار للدار الآخرة الباقية.

وتسجيل المعنى بهذه الصورة يجعل المعنى أقرب مأخذاً وأيسر نفاذاً إلى عقول المتلقين كما يرى عبدالله صولة. ولذا يمكن القول أن التشبيه تقنية حجاجية لها فاعليتها في الإقناع والاستدلال، كما أنه وسيلة من وسائل إيراد المعنى وتوضيحه.

<sup>1</sup> سورة يونس، الآية: 24.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 129.

فآليات البلاغية وظيفتها جعل الغائب حاضرا مشاهدا لإظهار المجرد في شكل المحسوس ولتقوية الشعور لدى المتلقي بحضور الأشياء من أجل حمله على الاقتناع والتأثير فيه<sup>1</sup>.

فالزخشي جعل من الحجاج وسيلة " تقوي الإذعان في كيانات المتقبلين وتشحذ في دواخلهم طاقات اعتقادية مأتاها ما يلقي على أسماعهم من حقائق هي في منتهى الأمر تبصير بالمعنى الحق الذي ادعى الزخشي امتلاكه وحمل نفسه بيانه وتحلية غامضه"<sup>2</sup>.

وفي الختام يمكن القول أن هناك وسائل وآليات لغوية وبلاغية كثيرة مبثوثة في الكشاف أضفت فاعلية وحركية على الخطاب الحجاجي عند الزخشي. من حيث أنها أعطت قوة للجانب الإقناعي في الخطاب.

ومما سبق يمكن القول امتلاك الزخشي لآلة البلاغة وبراعته في توظيفها مكنه من الوقوف على الأوجه التأويلية التي تحيل إليها العبارات القرآنية، ومن ثم اختيار الوجه الذي هو أكثر حجية وإقناعا بما يلائم السياق والمقام.

فتفسير الكشاف صبغ بصبغة حجاجية ، و يرجع ذلك لأمرين هما:

- أن التفسير تفسير اعتزلي سعى من خلاله الزخشي إلى شرح الكثير من القضايا التي تتعلق بمذهبه، فكان همه الأول هو سلوك الأسلوب الملائم واللائق لجلب عقول المتلقين لهذا التفسير وليس أدل على ذلك صبغة السؤال والجواب التي طبعت كشافه.

- إمتلاك الزخشي لآلي اللغة والبلاغة جعلته يمتاز بأسلوب أحاذ يأسر العقول، ويؤثر في النفوس، ويتلاعب بالألفاظ والتراكيب ويكيفها وفق معتقداته وتأويلاته مما جعلته يسلك كل السبل والطرق الكفيلة بإيصال المعنى للمتلقى وإقناعه وإزامه بالحجة.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 495.

<sup>2</sup> علي الشبعان، الحجاج والحقيقة والتأويل، ص 260.

# الفصل الثالث

أفعال الكلام في تفسير  
الكشاف

تمهيد:

تعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم المباحث اللغوية في اللسانيات التداولية، التي تعاطت مع الملفوظات باعتبارها أفعالا لغوية تعبر عن مقصدية المتكلم وتسعى إلى إحداث تأثير في المتلقي من خلال حمله على حدث معين أو تغيير موقف، أو إصدار حكم، وتختلف هذه الأفعال وتتنوع باختلاف المقاصد والغايات وتعدد المواقف، فتكون أمرا، أو نھيا، أو حكما... وقد تمثلت هذه النظرية في الجهود التي قدمها كل من جون أوستين وتلميذه سيرل.

وإذا عدنا إلى موروثنا العربي وتأملنا في كثير من الصفحات المشرقة منه وجدنا فيه كثيرا من خيوط التماس بينه وبين ما قدمته النظرية التداولية اليوم، وعند الحديث عن نظرية أفعال الكلام يمكن القول أن هذه النظرية تقابل نظرية الخبر والانشاء عند العرب القدماء، التي بحث فيها علماء العرب وتعمقوا في تحليل مفاهيمها نحاة ومفسرين، وبلاغيين وأصوليين... .

والذي نسعى إليه من خلال هذا الفصل هو استثمار هذه النظرية في قراءة الموروث اللساني العربي من أجل عقد صلة بين الماضي والحاضر للوصول إلى أوجه التشابه والاختلاف، وللوقوف أيضا على الجهود الجبارة التي قدمها علماء العرب في هذا المجال. ولذا عملنا على علم التفسير ليكونا مبحثا نسلط من خلاله الضوء على هذه النظرية من خلال تناولنا لتفسير الكشاف عند الزمخشري ليكون نموذجا للبحث، ساعين من خلاله للكشف عن القيمة العلمية لهذه النظرية عند الزمخشري. وأهمية هذه الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني، وأثرها في توجيه المقاصد، والكشف عن الدلالات والأحكام الشرعية.

ولكن قبل الحديث عن الأفعال الكلامية عند الزمخشري فإن منهجية البحث تدعونا إلى الحديث عن الأفعال الكلامية في الفكر العربي ومحاولة عقد صلة بينها وبين الفكر الغربي من خلال تناولنا لجهود العلماء العرب حول نظرية الخبر والانشاء، لتكون الأرضية أو الأساس الذي ننتقل منه في دراستنا لهذا المبحث:

- أفعال الكلام في التراث العربي:

إن الحديث عن الأفعال الكلامية في التراث العربي يقودنا إلى تسليط الضوء عن جهود العلماء في بحث ظاهري الخبر والإنشاء التي يتجلى فيها الفعل الكلامي بوضوح، والتي يتأكد من خلالها نضج العقل العربي الذي سبق العقل الغربي في كثير من القضايا، ومن يتصفح أمهات الكتب العربية يجد أن العلماء العرب قد توسعوا في بحث ظاهرة الأفعال الكلامية وتعمقوا في بحث مفاهيمها وأسسها.<sup>1</sup> من خلال مناقشتهم لنظرية الخبر والإنشاء وحديثهم عن الفروق بين الخبر والإنشاء، ومعايير التمييز بينهما. ولذا يمكن القول أن " نظرية الخبر والإنشاء . من الجانب المعرفي العام . مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين."<sup>2</sup>

- نظرية الخبر والإنشاء:

مسألة الخبر والإنشاء من القضايا التي شغلت العلماء العرب القدماء، فكانت محل بحث عند النحاة والبلاغيين والمفسرين والأصوليين، فتوسعت مباحثها وتعددت مفاهيمها وتطبيقاتها. وتباينت الآراء حولها، ومرت بمراحل وأطوار حتى كتب لها الاستقرار والنضوج.

ويمكن أن نتصور الإطار الاستمولوجي العام الذي بحثت في إطاره هذه الظاهرة في التراث العربي

كالآتي:

- تطرق النحاة والبلاغيون لظاهرة الخبر والإنشاء، وتوسعوا فيها باعتبارها مقصدا وغاية في ذاتها.
- اعتمد الفلاسفة والمناطق في دراستهم لهذه الظاهرة على التركيب الخبري، وأهملوا التراكيب غير الخبرية.
- فكان اهتمامهم بالوسائل والأهداف لا بالمقاصد والغايات.

<sup>1</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 48.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 49.

- اعتمد الأصوليون والفقهاء في بحثهم للظاهرة على الرؤية التداولية، فجعلوا القصد هو الأساس في تعاملهم مع الخطاب القرآني.<sup>1</sup>

### 1- مفهوم الخبر والإنشاء:

ذهب العلماء العرب إلى أن الكلام المفيد ينقسم إلى قسمين هما: الخبر والإنشاء، ووقفوا على حد كل منهما بقولهم: "الكلام إما خبر أو إنشاء، إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، فخبر، وإلا فإنشاء."<sup>2</sup> فالخبر عندهم هو الذي يحتمل الصدق أو الكذب، وأما الإنشاء فهو الذي لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

وقد ذكر السيوطي الخلاف بين العلماء في ذلك، فمنهم من حصره في الخبر والطلب والإنشاء وذلك لقولهم عن الكلام: "إما أن يقبل التصديق والتكذيب أولاً، الأول: الخبر، والثاني: إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب."<sup>3</sup> أما قطرب فقد ذهب إلى أن الكلام ينقسم إلى "خبر واستخبار- وهو الاستفهام- وطلب، ونداء. فأدرج الأمر والنهي تحت الطلب"<sup>4</sup>.

وقد تباينت وجهات نظر العلماء وآراؤهم في ذلك، فمنهم من تجاوز التقسيم الثنائي، وذكر تقسيمات أخرى للكلام، كالفارابي مثلاً الذي ذهب في تقسيمه لأنواع المخاطبات إلى القول، بأنها إما أقوال وإما أفعال، فهو يرى أن كل "مخاطبة وكل قول يخاطب به الإنسان غيره، فهو إما يقتضي به شيئاً ما، وإما يعطيه به شيئاً ما. والذي يعطي به الإنسان غيره شيئاً ما فهو قول جازم إما إيجاب وإما سلب، حملي أو شرطي، ومنه التعجب، ومنه التمني، ومنه سائر الأقاويل التي تأليفها أو شكلها يدل على انفعال

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 57.

<sup>2</sup> الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: عبدالرحمان البرقوق، دار الفكر العربي، ط1، 1904م، ص 38.

<sup>3</sup> أبو بكر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص 46. وينظر: محمد عبد المنعم الجوجري، شرح شذور الذهب، تح: نواف بن جزاء الحارثي، ط1، 1424هـ، ج1، ص 165.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 47.

آخر مقرون به ... والقول الذي يُقتضى به إما قول ما وإما فعل شيء ما، والذي يقتضي به فعل شيء ما فمنه نداء، ومنه تضرع، وطلبية، وإذن، ومنع، ومنه حث، وكف، وأمر، ونهي<sup>1</sup>.

وتعليقا على هذا الكلام أشار صاحب كتاب " التداولية عند العلماء العرب " إلى مفهوم " الملفوظ الإنجازي " الذي تنبه له الفارابي منذ وقت مبكر، وهو من مقولات التداوليين اليوم وقد عبر عنه بلفظ القوة force عند حديثه عن القوة الإنجازية المحتواة في كل من فعلي النداء والاستفهام.<sup>2</sup> وقد التقت وجهة نظر كل من الفارابي وأوستين في مسألة أننا حينما ننطق بالكلام فإننا ننجز أفعالا، فأشار أوستين إلى ذلك في مقال له بعنوان " كيف ننجز الأشياء بالكلمات " وأشار الفارابي أيضا إلى ذلك بقوله: " والنطق بالقول هو فعل ما "<sup>3</sup>.

وعند الكلام عن الخبر والإنشاء تستوقفنا تلك الفكرة التي عرضها (أوستين) في مبحث الأفعال الكلامية حينما ثار على آراء الوضعيين وميز بين نوعين من الأفعال التقريرية والإنجازية من حيث درجة تحققها في الخارج وموقف المتكلم<sup>4</sup>.

وفي خضم حديثنا عن الخبر والإنشاء نعود إلى القسمة الثنائية التي ناقشها العلماء وتوسعوا بالبحث في مفاهيمها محاولين الوصول إلى تفسير دقيق لفكرتي الخبر والإنشاء. فذهبوا إلى أن الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب، فإذا طابق حكمه الواقع فهو صادق، وإذا خالف حكمه الواقع فهو كاذب. كما بحثوا في ضروب الخبر وأغراضه فقالوا: " أن قصد المخبر بخبره، إفادة المخاطب، إما نفس الحكم، كقولك: زيد قائم، لمن لا يعلم أنه قائم، وسمي هذا فائدة الخبر، وإما كون المخبر عالما بالحكم، كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم أنك تعلم ذلك - زيد عندك - ويسمى هذا لازم فائدة الخبر "<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تج: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 162.

<sup>2</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 88.

<sup>3</sup> الفارابي، كتاب الحروف، ص 103.

<sup>4</sup> ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 201.

<sup>5</sup> عبد المتعالى الصعيدي، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، دط، دت، ج1، ص 42.



فحديثهم عن " لازم الفائدة " و " فائدة الخبر " ينحو منحى تداوليا إذ يُرعى فيه الاستعمال اللغوي وأطراف التخاطب ومقاصد المتكلمين. وهناك مثال آخر ذكره الجرجاني تتجلى فيه الرؤية التداولية بوضوح، فقد روي عن ابن الأنباري أنه قال: " ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك، فقال: أجد العرب يقولون: ( عبد الله قائم ) ثم يقولون ( إن عبد الله قائم ) ثم يقولون: ( إن عبد الله لقائم ) فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: ( عبد الله قائم ) إخبار عن قيامه، وقولهم: ( إن عبد الله قائم ) جواب عن سؤال سائل، وقوله: ( إن عبد الله لقائم ) جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني"<sup>1</sup>.

ويتضح لنا من خلال هذا المثال ارتباط البنية بالوظيفة، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي يراعى فيه حال السامع فيكون الملفوظ تبعا لحاله، كما يُرعى فيه حال المتكلم أيضا، وقسم العلماء هذه الأخبار إلى ثلاثة أضرب، فسموا الأول خبرا ابتدائيا، وسموا الثاني خبرا طليبا، وسموا الثالث، خبرا إنكاريا. فإذا كان المخاطب خالي الذهن ألقى إليه الخبر دون الحاجة إلى استعمال المؤكد، وأما إذا كان المخاطب مترددا أو شاكا في الخبر حسن تقويته بمؤكد، وأما إذا كان منكرا للخبر فوجب تأكيده بمؤكدين فأكثر حسب حالة الإنكار.<sup>2</sup> ويمكن أن نصنف حسب تعبير (سورل) هذه الأضرب ضمن (الإخباريات).

أما سيرل فقد رأى أن مثل هذا النوع الذي تكون فيه الملفوظات متكافئة من حيث اللفظ ومختلفة معنى يتم النظر إليه من حيث "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول" فقد يتشابه الملفوظان في (الغرض المتضمن في القول) ويختلفان في الشدة، ثم يتفاوتان إنجازيا.<sup>3</sup>

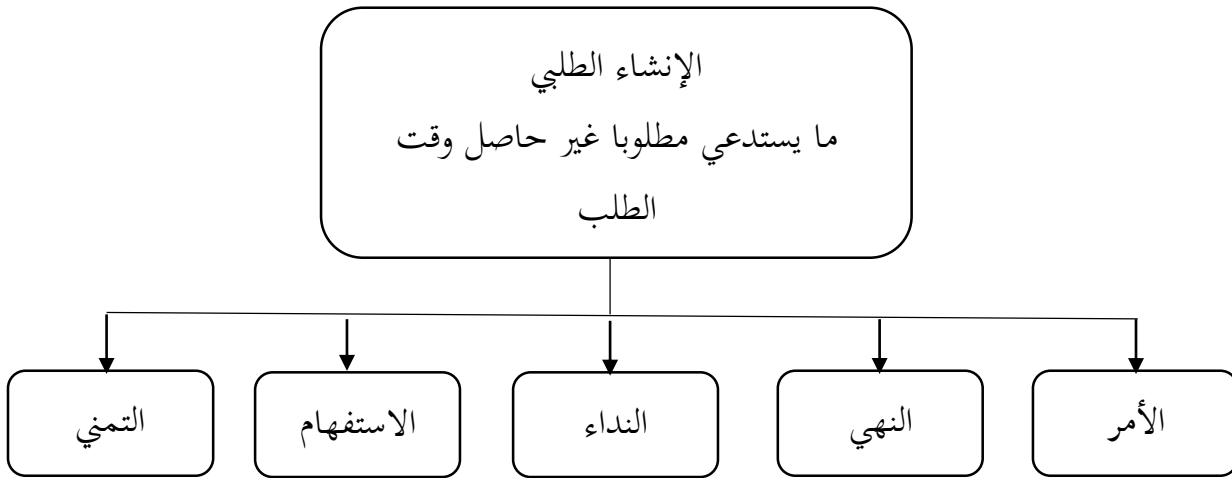
<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 315.

<sup>2</sup> ينظر: عبد المتعالى الصعيدي، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص 45 - 46 - 47.

<sup>3</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 96 - 97.

وإذا كان الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، فإذا كان صادقا طابقت نسبته الكلامية الواقع،  
وأما إذا كان كاذبا لم تطابق نسبته الكلامية الواقع. فما مفهوم الإنشاء؟

أما فيما يخص مفهوم الإنشاء فلم يقل اهتماما عند العلماء عن الأسلوب الخبري، فعرفه العلماء  
بقولهم: " الإنشاء هو ما لم يكن لنسبته خارج تطابقه "1 أو هو " الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب  
لذاته، ولا يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق  
به. "2 وقد ذهب السكاكي إلى القول أن " الطلب نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول،  
وقولنا لا يستدعي أن يمكن أعم من قولنا يستدعي أن لا يمكن. ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول. "3  
والمقصود بالطلب عند السكاكي هو الإنشاء، وينقسم إلى قسمين وهما: الإنشاء الطلبي، وغير الطلبي.  
أ- الإنشاء الطلبي: وهو ما يستلزم مطلوبا ليس حاصلًا وقت الطلب.4 وأقسامه عند جمهور العلماء هي،  
كما هو موضح في المخطط الآتي:5



<sup>1</sup> بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في تلخيص شرح المفتاح، تح: عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2003، م1، ج1، ص 105.

<sup>2</sup> عبد السلام محمد هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م، ص 13.

<sup>3</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 302.

<sup>4</sup> عبد السلام محمد هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، ص 13.

<sup>5</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 116.

- الأمر: وهو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقة أو ادعاء، أي سواء كان الطالب أعلى في واقع الأمر، أم مدعياً لذلك، وله صيغ أربع هي: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.<sup>1</sup> والأصل في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإيجاب، ولكنه قد يخرج لأغراض بلاغية تعرف من السياق والمقام، كالدعاء، والالتماس والتمني، والتعجيز، والتهديد...<sup>2</sup>

فالتعجيز مثلاً في قوله تعالى: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾<sup>3</sup>

- النهي: وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة، وهي الفعل المضارع المقرون بلا الناهية، ولكن الأصل في النهي أن يكون لطلب الكف على سبيل التحريم، إلا أنه قد يخرج لأغراض بلاغية أخرى تعرف من خلال السياق كالتمني، والدعاء، والإرشاد والتهديد، والتحقير...<sup>4</sup>

فالدعاء مثلاً في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾<sup>5</sup>.

الإرشاد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>6</sup>.

- النداء: وهو إنشاء نسبة النداء بحرف يقوم مقامها ليقبل المخاطب به إلى المتكلم بقلبه، وليس مقصوداً بذاته، وإنما ينادى ليبدأ بكلام بعده، أو ليعلم حضوره أو غيبته<sup>7</sup>... وهو أيضاً طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النداء ينوب مناب (أدعو) ومن أدواته: (أ، أي، يا، أي، هيا، وا). ومنها ما

<sup>1</sup> ينظر: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، ص 14.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 23.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية: 286.

<sup>6</sup> سورة الاسراء، الآية: 27.

<sup>7</sup> محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، 1997م، ص 240.

يستعمل للقريب ومنها ما يستعمل للبعيد، وقد يستعمل أحيانا للبعيد للقريب أو العكس. وقد يخرج النداء عن الأصل إلى معاني أخرى تدرك من السياق والمقام كاللوم، والندم، والاستغاثة، والتعجب، والندبة<sup>1</sup>.

كالندبة مثلا في قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ

وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾<sup>2</sup>.

- التمني: وهو إنشاء إرادة حدوث شيء ما، وأظهر لفظ وضع له هو " ليت " <sup>3</sup> وهو أيضا طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه، ولكن لا يرجى حصوله في اعتقاد التمني لاستحالته في تصور، أو هو لا يطمع في الحصول عليه إذ يراه بالنسبة إليه متعذرا بعيد المنال. وقد يخرج التمني للدلالة على أغراض بلاغية أخرى فتستعمل في التمني أدوات من قبيل " هل " و " لعل " و " عسى " لإبراز الشيء المتمنى في صورة الممكن المطموع فيه <sup>4</sup>.

- الاستفهام: هو طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم<sup>5</sup>. أو هو طلب الفهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، بواسطة أداة من أدواته. وهي ( الهمزة، مَنْ، هل، ما، متى، أين، أيان، أنى، كيف، كم، أي ) وتنقسم هذه الأدوات إلى أقسام ثلاث هي:

- ما يستفهم به عن التصور و التصديق ، وهو ( همزة الاستفهام ).

- ما يستفهم به عن التصديق فقط، وهو ( هل ).

- ما يستفهم به عن التصور، وهو بقية الأدوات.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 240 - 241.

<sup>2</sup> سورة الزمر، الآية: 53.

<sup>3</sup> محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص 98.

<sup>4</sup> عبد الرحمان حسن حسنك الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ج1، ص 251 - 252.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 258.

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تعرف بالأحوال والقرائن، كالتعجب، والتنبية، والوعيد، والتقرير، والانكار، والتوبيخ، والتهكم<sup>1</sup>.

التوبيخ في قوله تعالى: ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾

التنبية في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ تَذَهَبُونَ﴾

وعليه يمكن القول أن الأغراض البلاغية للأساليب الإنشائية الطلبية التي تكلم عنها العلماء العرب كثيرة وهي بتعبير التداولين اليوم " أفعال متضمنة في القول". " أو كما قال السكاكي: " متى امتنع اجراء هذه الأبواب على الأصل، تولد منها ما ناسب المقام"<sup>4</sup> أي ما يراعى فيه مقتضيات التواصل والتخاطب، والتعبير عن المقاصد والأغراض.

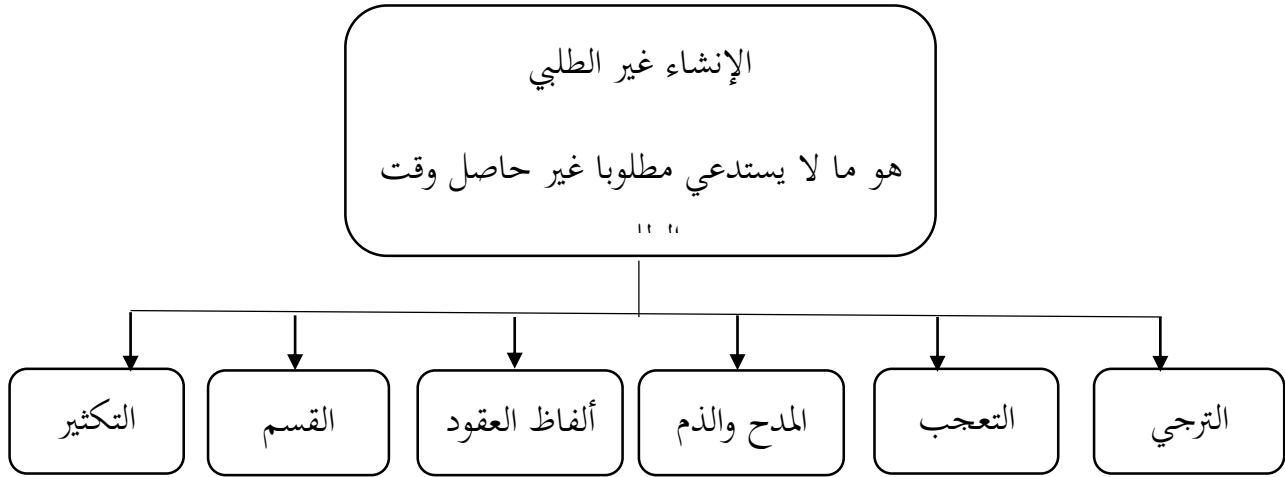
<sup>1</sup> ينظر: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 19 - 20 - 21.

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآية: 150.

<sup>3</sup> سورة التكوير، الآية: 36.

<sup>4</sup> ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص 304 - 305.

ب- الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب<sup>1</sup> أو هو: ما لا يستدعي مطلوباً، إلا أنه ينشئ أمراً مرغوباً في إنشائه.<sup>2</sup> ومنه: الترجي، والقسم، والتعجب، والمدح والذم، والتكثير، وألفاظ العقود، والاعراء والتحذير، والاستغاثة، والندبة... وأهم الأصناف المتداولة عند الجمهور هي كالآتي:<sup>3</sup>



ولم يحظ هذا المبحث باهتمام العلماء العرب مقارنة بالإنشاء الطلبي لقلة المباحث فيه، ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء.<sup>4</sup> وهذا ما عبر عنه صاحب شروح التلخيص بقوله: والإنشاء غير الطلبي المتمثل في " أفعال المقاربة، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود والقسم ورب ونحو ذلك، فلا يبحث عنها هنا لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها، ولأن أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء"<sup>5</sup>.

والمقصود بأفعال المقاربة، أفعال الرجاء التي يظهر فيها الإنشاء وهي: (عسى، حرى، اخلولق). ولا

يظهر في غيرها من أفعال الشروع والمقاربة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 13.

<sup>2</sup> عبد الرحمن حسن جسنك الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، وفنونها، ص 224.

<sup>3</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 127، وينظر: المرجع السابق، ص 13.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 13-14.

<sup>5</sup> سعد الدين التفتنازي، شروح التلخيص، ج 2، ص 236.

<sup>6</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 236.

- الترجي: هو طلب أمر قريب الوقوع، فإذا كان الأمر مكروها حمل معنى الإشفاق، والأصل فيه أن يكون ب ( لعل، عسى ) وقد يأتي بغيرها ك ( ليت )<sup>1</sup>.

وهو " ترقب حصول الشيء سواء كان محبوبا، ويقال له طمع، نحو: لعلك تعطينا، أو مكروها ويقال له اشفاق، نحو: لعلني أموت الساعة."<sup>2</sup> وعرفه الجرجاني بقوله: " هو إنشاء إمكان حدوث أمر ما."<sup>3</sup> ولذا يمكن القول أن بين الترجي والتمني " مشاركة في مطلق الطلب وأنه لا فارق بينهما إلا اشتراط إمكان المترجي، دون اشتراط إمكان المتمني"<sup>4</sup>.

والفرق بين التمني والترجي يكمن في أن " التمني مستعمل في الممكن والممتنع بخلاف الترجي."<sup>5</sup> وأما مسعود صحراوي فقد ذهب إلى أن التمني والترجي بحسب معايير ( سيرل ) مرتبطان " بمبدأ ( شرط المحتوى القضوي ). فالمحتوى القضوي في التمني هو قضية غير ممكنة في نظر المتكلم، وفي الترجي قضية ممكنة"<sup>6</sup>.

- القسم والتكثير: صنف العلماء هذا القسم ضمن الإنشاء غير الطلبي مع اختلافهم في ذلك وقد ذهبوا إلى أن المقصود بالقسم هو " الحلف واليمين وهو إما أن يكون بجملة فعلية نحو: ( أقسم بالله )، أو بجملة إسمية نحو: ( يمين الله لأفعلن كذا )، أو بأدوات القسم الجارة لما بعدها، كالواو، والباء، والتاء.<sup>7</sup> فقولك ( أقسم بالله )، هي جملة لإفادة إنشاء القسم. " فالمتكلم ينشئ يمينا للتعبير عن صحة ما يعتقد"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> عبد السلام هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، ص 17.

<sup>2</sup> سعد الدين التفتنازي، شروح التلخيص، ج2، ص 245.

<sup>3</sup> محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص 98.

<sup>4</sup> سعد الدين التفتنازي، شروح التلخيص، ج2، ص 237.

<sup>5</sup> المصدر السابق نفسه، ص 98.

<sup>6</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 119.

<sup>7</sup> عبد السلام هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، ص 162.

<sup>8</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 162.

وأما فيما يخص التكثير فهو: " أن ينشئ المتكلم استكثارا لعدد من شيء، مستعملا: رب أو كم الخبرية، للتعبير عن الكم... فالتكثير إنشاء في نفس المتكلم وليس له وجود في الخارج حتى يحتمل الصدق والكذب."<sup>1</sup> ف ( رب ) تستعمل لإفادة " إنشاء التكثير بناء على أنها للإنشاء باعتبار أنك إذا قلت مثلا: رب جاهل في الدنيا، فالمراد أنك تظهر كثرة الجاهلين ولا يعترضك تكذيب ولا تصديق في ذلك الاستكثار"<sup>2</sup>.

- التعجب والمدح والذم: بالنسبة للتعجب فيه خلاف بين العلماء، فمنهم من اعتبره من أقسام الخبر، ومنهم من اعتبره من أقسام الإنشاء، وحجة القائلين بأنه من أقسام الإنشاء لأنه في نظرهم " صيغة كلامية يطلب بها تعظيم الأمر في نفس السامع"<sup>3</sup>. ولتعجب تعريفات كثيرة ذكرها العلماء فهو: " استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره." وعرفه الزمخشري بقوله: " معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله"<sup>4</sup>. ولتعجب صيغ تدل عليه، فتكون صيغ من لفظ التعجب ك ( ما أفعله - أفعل به ) وبصيغ أخرى من غير لفظه.

وأما المدح والذم فيأتي عن أفعال وصيغ كنعم نحو: نعم الرجل زيد، ويأتي بالذم نحو قولك: بئس الرجل أنت. فأفعال المدح والذم " ما وضع لإنشاء مدح أو ذم... وذلك أنك إذا قلت (نعم الرجل زيد) فإنما تنشئ المدح وتحديثه بهذا اللفظ، وليس المدح موجودا في الخارج في أحد الأزمنة مقصودا مطابقة هذا الكلام إياه، حتى يكون خيرا، بلى تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الموجودة خارجا، ولو كان إخبارا صرفا عن جودته خارجا لدخله التصديق والتكذيب، فقول الأعرابي لمن بشره بمولود وقال، (نعم المولودة) والله ماهي بنعم الولد. ليس تكذيبا له في المدح إذ لا يمكن تكذيبه فيه، بل هو إخبار بأن الجودة التي

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 122.

<sup>2</sup> سعد الدين التفتنازي، شروح التلخيص، ج2، ص 237.

<sup>3</sup> ينظر: عبد الرحمان حسن جسناك الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، وفنونها، ج1، ص 168.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 168.



حكمت بحصولها في الخارج ليست بحاصلة، فهو إنشاء جزؤه الخبر، وكذا الإنشاء التعجبي، والإنشاء الذي في ( كم ) الخبرية، وفي ( رب )<sup>1</sup>.

- ألفاظ العقود والمعاهدات: والمقصود بها عقود البيع والزواج، وأوامر ضرب الرق، وغيرها من قرارات التعيين، وقرارات الإقالة، وعبارات الطلاق، وتأتي صيغ العقود وصيغ حلها بعبارات مختلفة من الجمل الاسمية والفعلية ك: بعتك، وزوجتك، وأزوجك، وأبيعك، وفسخت العقد، وقول الرجل لزوجته، طلقتك، أو أنت طالق<sup>2</sup>. فهذه الألفاظ لم تلق اهتماما من طرف العلماء العرب، ولم تبحث إلا عرضا في ثنايا الكتب، ولم يهتم بها إلا علماء الأصول الذين تطرقوا إليها في ضوء حديثهم عن البيوع والمعاملات<sup>3</sup>. واختلفوا أيضا فيها فهي خبرية أم إنشائية أم هي خبرية منقولة للإنشاء، أو خبرية أصلا متضمنة معنى الإنشاء<sup>4</sup>.

وقد ذهب مسعود صحراوي إلى أن كلام العلماء العرب عن هذه الألفاظ " يمثل أهم مظهر (للأفعال المتضمنة في القول)، وأقوى نقطة يركز عليها في إثبات بحث العلماء العرب لظاهرة الأفعال الكلامية. وقد ألح أوستين في محاضراته الأولى من كتابه *Quand dire c'est faire* على أن القول النموذجي الذي يحصل به فعل كلامي هو هذا (أي ما سمي بألفاظ العقود في تراثنا)، وأما ما عداه من الألفاظ المتضمنة في القول قد جاءت لاحقا بتوسيع النظرية وتعميقها على يد سيرل<sup>5</sup>. وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن **ألفاظ العقود والمعاهدات** تصنف " ضمن الأفعال الكلامية، بل توضع ضمن الأفعال المتضمنة في القول، بل هي السبب في بحث الظاهرة من أصلها، وتتموضع بالتحديد ضمن (الإيقاعات)<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> شرح الرضي على الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، ط2، 1996م، ج4، ص 238.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الرحمان حسن جسنك الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، وفنونها، ج1، ص 224 - 225.

<sup>3</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 123.

<sup>4</sup> مزيد من التفصيل حول هذه المسألة يرجع إلى كتاب التداولية عند العلماء العرب، ص 124 - 125 - 126.

<sup>5</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 122 - 123.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 124.

2- معايير التمييز بين الخبر والإنشاء:

لقد وقفنا في المبحث السابق على مفهوم الخبر والإنشاء عند العلماء العرب، ورأينا كيف اختلفت وجهات نظر العلماء حوله، فعرفوا الخبر بقولهم " الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب " وقالوا في تعريفهم للإنشاء " هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق ولا الكذب " ولكن السؤال المطروح هل معيار الصدق والكذب هو المعيار الوحيد للتمييز بين الخبر والإنشاء، أم أن هناك معايير أخرى للتمييز بينهما ذكرها العلماء؟

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي تتبع المراحل التطورية التي مرت بها هذه النظرية، حتى استقر جهازها المفاهيمي، ولكن المقام لا يسعنا لتتبع هذه المراحل والتفصيل فيها، ولذا سنقتصر على الإشارة إليها فقط. ومنه يمكن القول أن العلماء لم يقتصروا في تمييزهم بين الخبر والإنشاء على معيار واحد وهو ( معيار الصدق والكذب )، بل اعتمدوا معايير عديدة وهي في نظر مسعود صحراوي نوعان منطقية و تداولية، وهي متداخلة يصعب الفصل بينها<sup>1</sup>.

- معيار الصدق والكذب: ذهب معظم العلماء العرب إلى أن معيار الصدق والكذب هو الفيصل في التمييز بين الخبر والإنشاء، فالخبر عندهم هو ما يقبل الصدق والكذب، والإنشاء هو ما لا يقبل الصدق والكذب. فقد ذهب السكاكي إلى القول أن " الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما يفرقان باللازم المشهور، وهو احتمال الصدق والكذب."<sup>2</sup> وعليه فالملفوظ إن قبل الصدق والكذب فهو خبر، وإن لم يقبل الصدق والكذب فهو إنشاء.

وإذا نظرنا إلى فلاسفة الوضعية المنطقية نرى أن يقتصرون العبارات اللغوية على الاخبار ووصف العالم الخارجي، ومن ثم الحكم على العبارة بالصدق والكذب من خلال مطابقتها للواقع أو عدم مطابقتها،

<sup>1</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 58.

<sup>2</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 165.

أما العبارات غير الإخبارية فهي عندهم لا محتوى قضوي لها، وقد أنكر أوستين هذا القول وأطلق عليه مسمى المغالطة الوصفية *discriptive fallacy*<sup>1</sup>.

- معيار مطابقة النسبة الخارجية: يتمثل المعيار الثاني في النسبة الخارجية، أي إذا كان للكلام نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه بالسلب أو الايجاب فهو الخبر، وإن لم تكن له نسبة فهو إنشاء، فالنسبة الكلامية إذا طبقت الواقع فالكلام صادق، وإذا لم تطابقه فالكلام كاذب. ومن هنا فالكلام "إن كان لنسبته خارج في أحد الأزمنة الثلاث أي يكون بين الطرفين في الخارج نسبة ثبوتية أو سلبية ( تطابقه ) أي تطابق تلك النسبة ذلك الخارج بأن يكونا ثبوتيين أو سلبيين أو ( لا تطابقه ) بأن تكون النسبة المفهومة من الكلام ثبوتية والتي بينهما في الخارج و الواقع سلبية أو بالعكس ( فخير ) ... وإن لم يكن لنسبته خارج كذلك فإنشاء."<sup>2</sup> فقد تجاوز العلماء المعيار الأول إلى معيار أكثر دقة وعلمية وبهذا يكون الخبر هو الملفوظ الذي لنسبته الكلامية نسبة خارجية. وأما الإنشاء فهو الملفوظ الذي ليس له تلك النسبة<sup>3</sup>.

- معيار إيجاد النسبة الخارجية: اعتمد العلماء هذا المعيار في التمييز بين الخبر والإنشاء، وقد ذهب مسعود صحراوي إلى أن ( محمد بن علي الجرجاني ) هو أول وأبرز من دعى إلى اعتماد هذا المعيار للتمييز بين الخبر والإنشاء، ونفى مطابقة الإنشاء لنسبته الخارجية ، لأنه هو الذي يوجد لها<sup>4</sup> وقد ذكر الجرجاني هذا المعيار في تعريفه للإنشاء بقوله: " الإنشاء كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوق بنسبة أخرى ... والإنشاء ليس له نسبة أخرى ... فإن المتكلم هو الذي يحدث نسبة هي صورة الكلام."<sup>5</sup> فالمتكلم عنده هو الذي يوجد النسبة، وفي هذا الكلام إشارة إلى مبدأ تداولي هام هو **القصد** وقال أيضا في حديثه عن أفعال

<sup>1</sup> ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 61.

<sup>2</sup> سعد الدين التفتنازي، شروح التلخيص، ج1، ص 166.

<sup>3</sup> ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 63 - 64.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 73.

<sup>5</sup> الجرجاني، الإشارات والتنبيهات، ص 85.

التعجب "... فهذه الأفعال لا يحتملها باعتبار النسبة التي هي صورة الكلام بل باعتبار ما لأجله تلك النسبة"<sup>1</sup>.

وأشار صاحب شروح التلخيص أيضا إلى ذلك بقوله: " الكلام الذي يحسن السكوت عليه لا محالة يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منه الدلالة على أن تلك النسبة المفهومة من الكلام حصلت في الواقع ووقعت في الخارج بين معنى المسند والمسند إليه فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد الدلالة على أن اللفظ وجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء."<sup>2</sup> فقد ربط أيضا معيار إيجاد النسبة الخارجية بالتحليل التداولي حين أشار إلى القصد.

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن " النسبة الخارجية للإنشاء يوجد لها الإنشاء نفسه لأنها لم تكن موجودة قبله، أو يتسبب في إيجادها. أما النسبة الخارجية للخبر فلا يوجد لها لفظ الخبر وإنما كانت موجودة قبله، وجاء الخبر ليصفها ويصورها، أي ليطابقها أو ليخالفها."<sup>3</sup>

- معيار قصد المتكلم: القصد قرينة مهمة من قرائن التحليل التداولي، وقد أشار العلماء العرب إلى أهميتها في توجيه معاني الملفوظات وبيان أوجهها الدلالية، ولذا اتخذها العلماء العرب قرينة للتمييز بين الخبر والإنشاء، وذهبوا إلى أنه إذا كان قصد المتكلم الإخبار فإن الكلام خبري، وإذا كان قصده إيجاد النسبة الخارجية فإن الكلام إنشائي<sup>4</sup>.

- معيار عدد النسب: من العلماء من رأى أن هناك معيارا آخر يمكن التمييز به بين الخبر والإنشاء، وهو معيار ( عدد النسب ) ومن هذا المنظور يكون للخبر ثلاث نسب: نسبة كلامية، ونسبة ذهنية، ونسبة خارجية، أما الإنشاء فله نسبتان فقط: نسبة كلامية، ونسبة ذهنية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المصدر السابق نفسه، ص 87.

<sup>2</sup> سعد الدين التفتازي، شروح التلخيص، ج 1، 168.

<sup>3</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 73.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 78.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، 79.

- معيار تبعية النسبة الكلامية للنسبة الخارجية أو العكس: وهذا المعيار أورده شهاب الدين القرافي، وهو قائم على أساس أن " الإنشاءات تتبعها مدلولاتها والأخبار تتبعها مدلولاتها"<sup>1</sup>.

### ب/ أفعال الكلام بين التراث العربي والفكر الغربي:

لقد تكلمنا عن الأفعال الكلامية في الفكر الغربي في الباب الأول<sup>2</sup> وتوسعنا فيها بشيء من التفصيل مؤكداً على الجهود التي بذلها كل من ( أوستين و سيرل ) في هذا الميدان، ولذا لا داعي لإعادة الحديث عنها، غير أن الذي نسعى إليه في إطار حديثنا عن أصول هذه النظرية في التراث هو محاولة الربط بين نظرية ( الخبر والإنشاء ) ونظرية ( أفعال الكلام ) التي نرى أنها تقابلها، وتتفق معها في كثير من المفاهيم والأسس التي من بينها تمييز أوستين بين نوعين من الأفعال، أفعال إخبارية، وأفعال وصفية أو إنجازية، الذي هو في الحقيقة تمييز بين الخبر والإنشاء عندنا<sup>3</sup>.

ولعل هذا ما جعل الكثير من الباحثين الدارسين في هذا المجال<sup>4</sup> يذهبون إلى أن الدراسات التي قدمها علماء العرب سواء كانوا بلاغيين أو مفسرين أو أصوليين في هذا المجال هي دراسات لا تختلف عما طرحه نظرية أفعال الكلام اليوم، بل ونجد السبق في كثير من القضايا لعلمائنا القدماء من خلال ربطهم لهذه الأفعال بالمقاصد ومقتضيات التخاطب والتواصل، وحديثهم عن المعاني الأصلية والأغراض البلاغية التي تخرج إليها.

ولذا يمكن القول أن " منطق التفكير عند أوستين و عند علمائنا واحد، فهم لم يقتصروا الكلام - كما فعل فلاسفة الوضعية المنطقية - على ما له واقع إذا طابقه كان صادقا، وإذا لم يطابقه كان كاذبا بل تجاوزوا ذلك إلى ما سعى أوستن جاهدا لإثباته وعده فلاسفة اللغة الغربيون إنجازا كبيرا، وهو أن من الكلام ما لا واقع له يطابقه أو لا يطابقه، و لا يوصف بصدق ولا كذب، ووصلوا إلى الفكرة المحورية التي

<sup>1</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 79 - 80.

<sup>2</sup> ينظر: الباب الأول، الفصل الثالث: التداولية في الفكر الغربي، ص 02 - 03 - 04.

<sup>3</sup> ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 62.

<sup>4</sup> ينظر: خليفة بوحادي، في اللسانيات التداولية، ص 200.

كانت المنطلق إلى وضع هذه النظرية، وهو أن من الكلام ما يكون فعلا أو إيقاعا لفعل بلفظ يقاربه في الوجود"<sup>1</sup>.

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن دراسة العرب القدماء لمعاني الخبر والإنشاء، واهتمامهم بالمقاصد والأغراض، وأحوال التخاطب، هي دراسة لا تتعد عما تناولته نظرية أفعال الكلام، ويمكن أن تسهم جهود علمائنا هذه إذا وضعت في إطارها الصحيح، ووظفت توظيفاً حسناً، وتضافرت الجهود في بناء نظرية عربية للأفعال الكلامية.

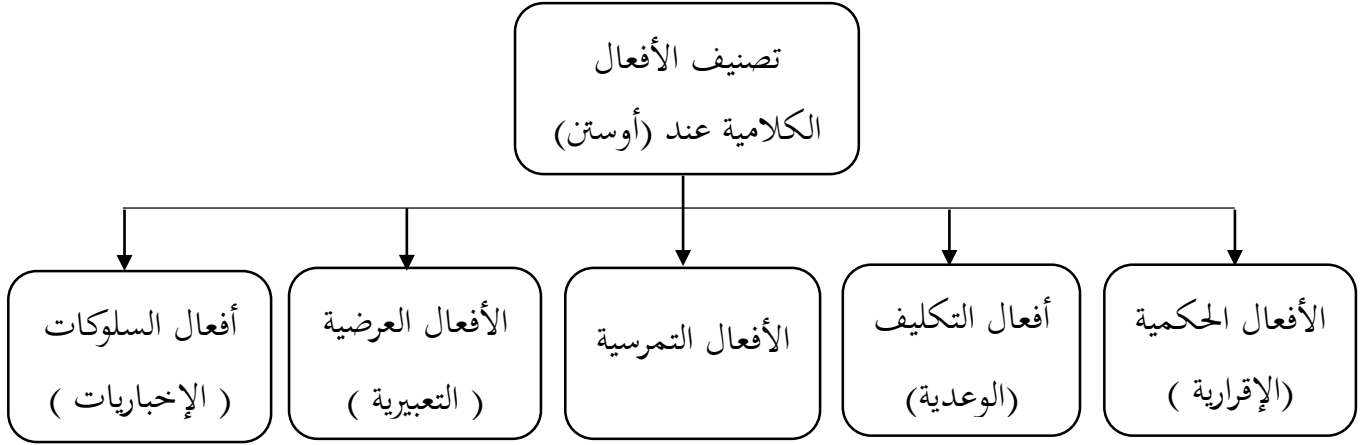
### – الأفعال الكلامية عند الزمخشري:

يتميز النص القرآني بكثير من الخصائص والمميزات التي جعلت منه خطاباً ليس كغيره من الخطابات، مما جعله مدونة ثرية تستجيب لمتطلبات البحث في المجال التداولي، وبالخصوص إذا كان موضوع البحث هو الخطاب التفسيري الذي يسعى للبحث في ألفاظه والكشف عن معانيه وأسراره، ولعل الذي نسعى إليه هو محاولة الوقوف على جهود المفسرين فيما يخص الأفعال الكلامية من خلال كشف الزمخشري الذي يتجلى فيه التحليل اللغوي والبلاغي بوضوح، لرصد الأفعال الكلامية في تفسيره، ومعرفة معانيها، والكشف عن قوتها الإنجازية، وأوجهها الدلالية.

ولكن قبل الحديث عن هذه الأفعال عند الزمخشري، وكيفية توظيفه لها في فهم معاني القرآن وتوجيه دلالاته، ومحاولة قراءتها من منظور نظرية أفعال الكلام عند كل من (أوستن و سيرل) ينبغي الإشارة إلى التقسيمات التي ذكرها هؤلاء للوقوف على التقسيم الملائم الذي نرتضيه في هذا المبحث والذي على ضوءه نصنف الأفعال الكلامية في الكشاف.

<sup>1</sup> محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 97.

فقد أشرنا من قبل إلى الجهود التي بذلها كل من ( أوستن وسيرل ) والتي كان لها الفضل في التأسيس لنظرية أفعال الكلام عند الغربيين. ولذا فإن ( أوستن ) ذهب في تقسيمه للأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف كما هو موضح في المخطط.

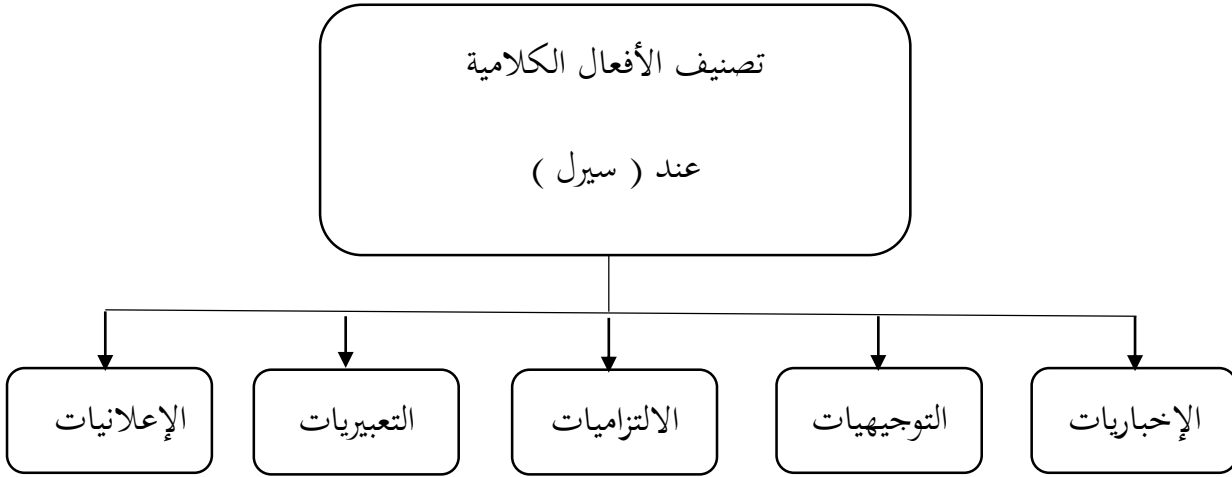


وبالنظر إلى التقسيم الذي قدمه ( أوستن ) يمكن القول أن هذا التقسيم يشوبه نوع من الغموض، وهذا باعتراف أوستن نفسه، الذي لم يحقق ما كان يصبو إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية<sup>1</sup>، ولكنه رغم ذلك استطاع أن يقدم تصورا شاملا لهذه النظرية فتح الباب للباحثين بعده أمثال ( سيرل ) الذين كان لهم الفضل في إرساء معالم هذه النظرية وتثبيت أركانها.

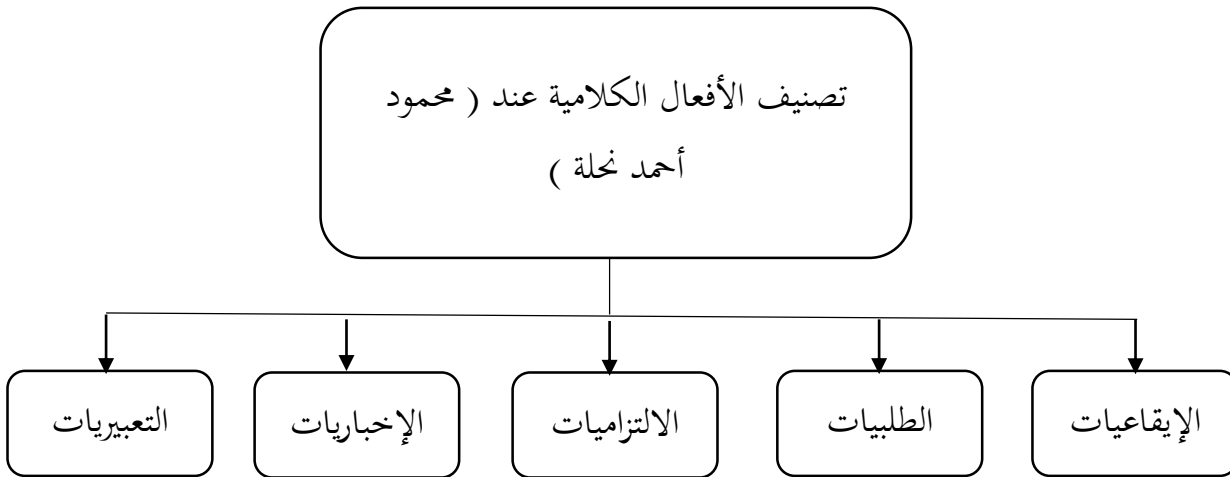
وقد انطلق ( سيرل ) من الطروحات التي قدمها أستاذه، ليعيد النظر في بعض القضايا التي رأى أنها حالت دون بناء هذه النظرية، لينتهي به المطاف إلى وضع تصور آخر قدم بموجبه تصنيفا لأفعال الكلام كان أكثر شمولية ودقة وهو كما هو موضح في المخطط الآتي:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 70.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 78-79.



وأما الأستاذ محمود أحمد نخلة، فقد قدم تصنيفاً آخر للأفعال الكلامية استفاد فيه من التصنيفين اللذين قدمهما كل من ( سيرل و أوستين )، ورأى أن هذا التقسيم ملائماً لنظرية أفعال الكلام عند العرب<sup>1</sup>.



والملاحظ على التقسيم الذي قدمه (نخلة) أنه شبيه بتقسيم (سيرل) غير أن الاختلاف يكمن في مسمى (الإعلانيات) الذي سماه (نخلة) (الإقاعات) وأطلق على مسمى (التوجيهيات) مصطلح (الطلبات) وبعض الشروط المتعلقة بتقسيم الأفعال الكلامية.

<sup>1</sup> ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 98 - 99 - 100 - 104.



وقد اقتضت دراستنا هذه الانطلاق من التصنيف الخماسي الذي قدمه (سيرل) ومحاولة التوفيق بينه وبين التقسيم الذي قدمه (محمود نحلة) للوقوف على الأفعال الكلامية عند الزمخشري. وللوقوف أيضا على الآليات اللغوية والبلاغية التي وظفها في إبراز الفعل الكلامي وقوته الإنجازية.

### 1- الإخباريات : ( التقريريات ) : Assertives

وهي الأفعال التي " تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها، وجعله مسؤولا عن وجود وضع للأشياء ومن أمثلتها أفعال التقرير، الوصف، والاستنتاج"<sup>1</sup>.

والغرض الإنجازي للإخباريات " هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة من خلال قضية proposition يعبر بها عن هذه الواقعة. وأفعال هذا الصنف تعبر كلها عن الصدق والكذب. واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى الواقع."<sup>2</sup> كما أن الغرض منها أيضا هو " الغرض التقريري ... والحالة النفسية التي يعبر عنها هي الاعتقاد"<sup>3</sup>.

وإذا كان القرآن الكريم هو مدونتنا في التطبيق، فإن هذا يطرح إشكاليات عديدة منها، إذا كان الملفوظ الإخباري يحتمل الصدق والكذب، هل يمكن القول أن كل ملفوظ إخباري يخضع لهذا الاعتبار؟ أو بصورة أخرى، هل الملفوظات الإخبارية في القرآن تخضع لهذا الاعتبار؟

ولذا يمكننا القول أن الخطاب القرآني هو كلام الله الذي لا يعتره الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه فيه أخبار الأمم، وقصص الأولين، وأخبار الرسل، ومن هذا المنطلق نذهب إلى أن الملفوظات الإخبارية في القرآن الكريم، لا يمكن وصفها بالكذب، فهي صادقة حتما.

<sup>1</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 60.

<sup>2</sup> محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 78.

<sup>3</sup> طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م، ص 30.

ومما سبق يمكن القول أن هذا النوع من الأفعال موجود في تحليلات الزمخشري، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال بعض الشواهد و الأمثلة التي نوضح من خلالها القيمة الإنجازية لهذه الملفوظات: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ ذَلِكْ أَلَكْتُبْ لَا رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَوْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَفِيْمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَوْمِنُونَ بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُؤْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>1</sup> جمعت هذه الآيات في مضمونها مجموعة من الأفعال الإخبارية التقريرية حيث يقول الزمخشري في تحليله لهذه الملفوظات: "بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكلام، فكان تقريراً لجهة التحدي، وشدا من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبه به طرف من الرب، فكان شهادة وتسجيلاً بكماله، لأنه كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة ... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"<sup>2</sup>.

وقد دلت هذه الملفوظات الإخبارية على أفعال كلامية أشار إليها الزمخشري هي: الإخبار، والتقرير، والتنبيه، والوصف، ولذا يمكن القول أن " الملفوظ الخبري قد يحمل إلى جانب المحتوى القضوي قيمة إنجازية"<sup>3</sup>.

وهذا ما نستشفه من تحليل الزمخشري، فقد تضمنت هذه الملفوظات قوة إنجازية غير مباشرة، هي التعظيم، والتأكيد، والإثبات، والتعجيز، والإعلام، والتعريض. تعظيم لكتاب الله، وتأكيد وإثبات على صدق ما فيه، وتعجيز للكفار والمشركين، بأن نفى عنه الزيغ والريب وتحداهم أن يأتوا بمثله، والإعلام بإسناد الرزق لنفسه بأنهم ينفقون المال الحلال في قوله تعالى ( ومما رزقناهم ينفقون ) والتعريض في قوله

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 01 - 02 - 03.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 149-150.

<sup>3</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 53.

تعالى: (وبالآخرة هم يوقنون) تعريض بأهل الكتاب، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وتعريض بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة الله وهم ظاننون أنهم على الهدى.<sup>1</sup> والترغيب والإرشاد في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) حيث بين الزمخشري القيمة الدلالية التي أضافها اسم الإشارة والتكرير، والتعريف، وضمير الفصل، فهذه الآليات اللغوية كان لها أثر في بيان درجة وشدة القيمة الإنجازية لهذا الملفوظ أو درجة الشدة للغرض المتضمن في القول. وذلك في قوله: " ذكر اسم الإشارة، وتكريره، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك، ليبصر مراتبهم، ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدموا، ويشطك عن الطمع الفارغ، والرجاء الكاذب"<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>3</sup> فالخطاب هنا يتحدث عن الكفار والمشركين الذين ختم الله على قلوبهم بأن طبع عليها وجعلها تعرض عن الحق والايان والطريق الصحيح، وقد ذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية إلى القول بأن إسناد الختم إلى الله هو عن طريق المجاز، وذلك في قوله: "وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقى غير العرضي ... وقد وردت هذه الآية ناعية على الكفار، شناعة صفتهم، وشماجة حالهم، ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم"<sup>4</sup>.

فقد تضمنت هذه الآية فعلا كلاميا مباشرا هو الإخبار والوصف، وأفعالا كلامية غير مباشرة، أي قوة إنجازية مستلزمة أو متضمنة في القول هي: التنبيه والنعي والوعيد.

قال تعالى: ﴿ لَفَدَّ كَبَرِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>5</sup> أَقْلًا يَتُوبُونَ

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 157-158.

<sup>2</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 161.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 06.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 167.

إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْبِرُونََّهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>1</sup> تضمنت هذه الملفوظات القرآنية فعلا كلاميا اخباريا تمثلت قوته الإنجازية في بيان وحدانية الله وأنه المعبود وحده، وبيان كفر وظلال من أشرك به، وقد تضمنت الملفوظات في السياق نفسه أفعالا كلامية غير مباشرة تمثلت قوتها الإنجازية في الإعلام في تفسير قوله تعالى (ليمنن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أي ليمنن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم، أو ليمنن الذين بقوا منهم على الكفر عذاب أليم.

وفي قوله: ( أفلا يتوبون ) الوعيد والتعجب من إصرارهم على الكفر<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾<sup>3</sup> تضمن

هذا الملفوظ التقريري فعلا كلاميا غير مباشر تمثلت قوته الإنجازية المتضمنة في القول في التوبيخ<sup>4</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾<sup>5</sup> هذا الملفوظ الإخباري

هو خطاب موجه إلى النبي ( ص ) فيه تقرير بأن الله تعالى يعلم ما تظهر النفس وتخفي، وقد تضمن هذا الفعل الإخباري قوة إنجازية متضمنة في القول أو بتعبير سيرل فعلا كلاميا غير مباشر هو إما النهي عن الجهر بمعنى إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك. أو التعليم في معنى تعليم العباد أن الجهر ليس لإسماع الله، وإنما هو لغرض آخر. وقد أشار الزمخشري إلى مسألة مطابقة الجزاء للشرط الذي هو رأينا قد زاد من درجة شدة القوة الإنجازية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 76.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 276.

<sup>3</sup> سورة التوبة: الآية: 35.

<sup>4</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 41.

<sup>5</sup> سورة طه، الآية: 06.

<sup>6</sup> ينظر: ،لمصدر نفسه، ج4، ص 68.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكُفَّيرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزَّآ ﴾<sup>1</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إخباريا تمثلت قوته الإنجازية في الإقرار بأن الله تعالى لوشاء لمنع الشياطين عنهم، ولكنه خلى بينها وبينهم توسوس لهم بالمعاصي والذنوب. ويوجد في هذا الملفوظ قوة متضمنة في القول هي **التعجب** للرسول ( ص ) بعد الآيات التي ذكر فيها عناد الكفار ومعاندتهم للرسول، وتكذيبهم لهم<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا فَبَلَّتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فَبَلَّتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ فَبَلَّةَ بَعْضٍ وَلَيْسَ إِتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>3</sup> جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة مخالفة لاتجاه اليهود والنصارى، و في قوله تعالى ( ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب ... ) فعل إخباري تقريرى فيه إخبار وإقرار بعدم اتباع هؤلاء لقبلة النبي ( ص ) وعدم اتباع النبي ( ص ) لقبلتهم. وقد تضمن هذا الملفوظ قوة الإنجازية متضمنة في القول في قوله تعالى ( إنك إذا لمن الظالمين ) إذ يقول الزمخشري وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير، واستفطاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى، وتهيج وإلهاب للثبات على الحق وهذه كلها أفعال كلامية غير مباشرة<sup>4</sup>.

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن هذا الصنف من الأفعال كان له حضور عند الزمخشري من خلال وقوفنا على نماذج من تحليلاته تجلت فيها القوة الإنجازية المباشرة للإخباريات والمتمثلة في الوصف والإخبار والتقرير، والقوة الإنجازية غير المباشرة المتمثلة في مجموعة من الأغراض المستلزمة مقاميا كالنهى، والوعيد، والتعجب، والنعي، والتعليم، والتحذير، والتعظيم، التأكيد، والنفي ... .

<sup>1</sup> سورة مريم، الآية، 84.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 54.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 144.

<sup>4</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 344.

2- التوجيهيات: ( الطلبيات ) Directives

ذهب سيرل في حديثه عن هذا الصنف من الأفعال إلى القول بأن غرضها الإنجازي هو " محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ... وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل"<sup>1</sup>. وتندرج تحت هذا الصنف مجموعة من الأفعال الكلامية التي تختلف قوتها الإنجازية من فعل لآخر لإعتبارات عديدة منها السياق والمقام وظروف وملابسات الحديث وأطراف التخاطب... وقد تمثل هذا الصنف عند محمود أحمد نحلة في الطلبيات وهي عنده " تضم كل الأفعال الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها "<sup>2</sup>.

وعند الحديث عن هذا النوع من الأفعال ينبغي الإشارة إلى عنصرين هامين إضافة إلى الآليات اللغوية وهما: سلطة المتكلم، وجهة المنفعة الإنجازية اللتان تعطيان التوجيه قوته الإنجازية، ولما نتكلم عن هذين العنصرين ونحن بصدد التطبيق في المدونة القرآنية يمكن القول أن العنصر الأول موجود بقوة، فالله تعالى هو الأمر والنهي وله سلطة مطلقة على المخاطبين، وأما بالنسبة للمنفعة الإنجازية فهي في نظرنا تكون باتجاه المخاطبين دون المتكلم، فمنفعة الخطاب في القرآن عائدة إلى المخاطب وحده.<sup>3</sup> لأن منفعة الخطاب " تؤل إلى المخاطب تعويلا على حاجته هو مما يوجب عليه الالتزام بمقتضى الفعل التوجيهي، لأن مخالفته تحرمه من تحقيق ما يسعى إليه"<sup>4</sup>.

فالأفعال التوجيهية هي "المحاولات الخطابية التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل"<sup>5</sup>. ووفق هذا الاعتبار فنحن لسنا بعيدين من رأي سيرل الذي ذهب

<sup>1</sup> محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 79.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 100.

<sup>3</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 324.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 326.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 336.

فيه إلى أن هناك مجموعة من الأبعاد التي يختلف فيها كل فعل إنجازي عن الآخر من حيث القوة أو الدرجة التي يعرض بها الغرض الإنجازي كقولك: قم، و لتقم، ففي كليهما يتفق الغرض، ولكن درجة القوة تختلف بينهما، فالقول الثاني أقوى من الأول، والاختلاف أيضا في منزلة كل من المتكلم والمخاطب، فخطاب الله مع عباده أمر، وخطاب المؤمنين مع الله دعاء أو رجاء<sup>1</sup>.

ومن الأفعال الكلامية التي تندرج في هذا الصنف: الأمر، والنداء، والنهي، والاستفهام، وقد تناولها العلماء العرب وذكروا أغراضها البلاغية، وصنفوها ضمن الانشاء الطلبي. وقد تكلم الزمخشري أيضا في تفسيره عن هذا النوع محلا وشارحا ومبينا للقيمة الإنجازية المستلزمة مقاميا لهذه الأفعال، وأثرها في توجه الدلالة والتعبير عن الأغراض والمقاصد والدلالات الشرعية.

أ- الأمر: ذهب الزمخشري إلى أن الأمر هو: " طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور، لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به."<sup>2</sup> فقد اشترط الزمخشري في تعريفه للأمر سلطة المتكلم، فلا يمكن أن يكون الأمر ممن هو أعلى منك. وقد تناول الزمخشري هذا الفعل الكلامي في تفسيره، وبين أغراضه البلاغية، أو قوته الإنجازية المستلزمة بلاغيا بتعبير ( سيرل وأوستين ) وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال بعض الأمثلة:

قال تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>3</sup> تضمن هذا

الملفوظ القرآني فعلا كلاميا توجيهيا مباشرا هو الأمر تتمثل قوته الإنجازية المباشرة في طلب الأداة، وهو أمر الله تعالى للكافرين والمشركين بدعوة آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لتشهد لهم أنهم على حق، وأنهم أتوا بمثل كلامه، والدليل الإنجازي هو فعل الأمر ( ادعوا ) وهذا هو المعنى الحرفي المباشر الذي نستدل عليه بالقرائن النبوية، أما القوة الإنجازية غير المباشرة أو المعنى الضمني فهو **التهمك** ويتمثل في قول الزمخشري:

<sup>1</sup> ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 76.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 247.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 22.

"وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن بفصاحته: غاية التهكم بهم" والتعجيز والخذلان في قوله: " ادعوا من دون الله شهداءكم، يعني لا تستشهدوا بالله و لا تقولوا : الله يشهد ما ندعيه حق، كما يقول العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهداتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام، وهذا تعجيز لهم وبيان لانفطاعهم وانخذالهم"<sup>1</sup>. والفعل التأثيري هنا يتمثل في كشف كذبهم وزيغهم وتوبيخهم وإقامة الحجة عليهم للعودة إلى الحق.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>2</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا توجيهيا مباشرا هو الأمر، تمثلت قوته الإنجازية الحرفية في طلب الأداء، أي طلب فعل شيء ما، وهو أمر الله تعالى لملائكته بأن يخبروه بالأسماء التي علمها لآدم، والدليل الإنجازي هو صيغة الأمر ( أنبئوني )، أما القوة الإنجازية غير المباشرة المستلزمة مقاميا فهي التبكيت، إذ يقول الزمخشري: " وإنما اسنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت"<sup>3</sup>. والفعل التأثيري يتمثل في الرد على الملائكة ليعلموا الحكمة التي استخلف الله من أجلها آدم في الأرض، وليعلموا أن علم الله وسع كل شيء.

قال تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أ\_Fِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴾<sup>4</sup> يتضمن هذا الملفوظ فعلا كلاميا توجيهيا مباشرا وهو الأمر، تتمثل قوته الحرفية المباشرة في طلب الأداء والدليل الإنجازي هو صيغة الأمر ( أفيضوا )، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة والمستلزمة مقاميا فهي الحيرة والاضطراب، وذلك في قول

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 222.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 30.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 253.

<sup>4</sup> سورة الأعراف، الآية: 49.



صاحب الكشاف: " وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم، كما يفعل المضطر الممتحن"<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَيَفْقَهُمْ أَوْفُوا بِالْمِيزَانِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾<sup>2</sup> يتمثل الفعل الكلامي التوجيهي المباشر في الأمر، والدليل الإنجازي عليه هو صيغة الأمر ( أوفوا ) وأما الفعل الكلامي غير المباشر أو القوة الإنجازية المتضمنة في القول فهي متمثلة في الترغيب والبعث عليه، والقوة الإنجازية الداعمة لهذا المعنى هي مجيء النهي قبل الأمر في الآية التي قبلها، لأن النهي عن النقصان أمر بالإيفاء، ولذا ذهب الزمخشري إلى القول أنهم " نخوا أولا عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان، لأن في التصريح بالقبيح نعيًا عن المنهي وتعبيرًا له، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحًا بلفظه لزيادة ترغيب فيه، وبعث عليه"<sup>3</sup>.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا أَبْغِمْسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيْنَا فُلُوبَهُمْ قَلِيلًا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾<sup>4</sup> يتضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا توجيهيا مباشرا هو الأمر، والدليل الإنجازي هو اللام وصيغة الأمر ( ليضلوا )، وأما الفعل الكلامي غير المباشر أو الفعل المتضمن في القول فهو الدعاء لقول الزمخشري: " هو دعاء بلفظ الأمر " وذلك لأنه عرض عليهم آيات الله ونصحهم ووعظهم وحذرهم، ولما رأهم يتمادون في طغيانهم دعا عليهم، كأنه قال: ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 448.

<sup>2</sup> سورة هود، الآية: 84.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج3، ص 224.

<sup>4</sup> سورة يونس، الآية: 88.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج3، ص 167.

وقد ذهب الزمخشري إلى القول أن الخبر . وهو عند سيرل يصنف ضمن الإخباريات . قد يستعمل لإنجاز فعل من أفعال التوجيه، وعلى سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾<sup>1</sup> رأى الزمخشري أنه خبر في معنى الأمر المؤكد<sup>2</sup>.

ب- النهي: يصنف أسلوب النهي بتعبير أوستين أيضا ضمن التوجيهيات، ويعد فعلا كلاميا مباشرا معناه الحرفي هو طلب الترك، أو طلب الكف عن شيء ما، ولكنه يدل على أفعال كلامية غير مباشرة، أو قوة إنجازية متضمنة في القول تعرف من خلال السياق والمقام، وقد تكلم الزمخشري في تفسيره لبعض آي القرآن الكريم عن هذه الأغراض التي يخرج إليها النهي، وهذا ما سنتعرف إليه من خلال الأمثلة التالية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾<sup>3</sup>

تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا توجيهيا مباشرا، تمثلت قوته الإنجازية المباشرة في النهي، والدليل الإنجازي هو صيغة النهي ( ولا تسأل )، فقد نهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله، وأما الفعل الكلامي غير المباشر أو القوة المتضمنة في القول فهي **التعظيم** لقول الزمخشري في تفسير معنى هذا الفعل " ومعناه **تعظيم** ما وقع فيه الكفار من العذاب، كما تقول: كيف فلان؟ سائلا عن الواقع في بلية، فيقال لك: لا تسأل عنه، ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع من أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضره، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبر لا يحاشه السامع واضحاره، فلا تسأل"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 231.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 455.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 118.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 316.

قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا أَلْيَتَمِيَّ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾<sup>1</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا مباشرا هو النهي، والدليل الإنجازي هو صيغة النهي ( ولا تاكلوا )، وأما الفعل الكلامي غير المباشر أو القوة الإنجازية المتضمنة في القول فهي **النعي والتسميع**، حيث ذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية إلى القول: " ولا تنفقوها معها، وحقيقتها: ولا تضموها إليها في الإنفاق، حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يجل لكم، وتسوية بينه وبين الحلال. فإن قلت: قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلم ورد النهي عن أكله معها؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال الحلال، وهم على ذلك يطمعون فيها، كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك، فنعى عليهم فعلهم، وسمع بهم، ليكون أزر لهم"<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ ﴾<sup>3</sup> يتمثل الفعل المباشر في هذا الملفوظ القرآني في النهي، والدليل الإنجازي هو صيغة النهي في قوله تعالى ( لا تتخذوا )، فقد نهي الله عباده المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ومناصرتهم ومآحاتهم ومعاشرتهم، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة أو المتضمنة في القول، فهي **التغليظ والتشديد** من الله في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله<sup>4</sup>.

قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ ﴾<sup>5</sup> تتضمن هذه الآية فعلا كلاميا مباشرا هو النهي، وأما الفعل الكلامي غير المباشر فيتمثل في

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 02.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 13-14.

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآية: 53.

<sup>4</sup> ينظر المصدر نفسه، ج2، ص 249.

<sup>5</sup> سورة المجادلة، الآية: 21.

المبالغة والتوصية حيث ذهب الزمخشري إلى القول: " ( أن لا تجد ) من باب التخييل، خيل أن من الممتنع المحال: أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين، والغرض أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع، ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه، والزجر عن ملاسته، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم"<sup>1</sup>.

د - الاستفهام:

يصنف الاستفهام ضمن التوجيهيات، وهو فعل كلامي مباشر بتعبير سيرل، والمعنى الحرفي للاستفهام هو طلب السؤال والفهم، وهذا المعنى " لا يقع في كلام رب العزة لأن إحاطة علمه شاملة"<sup>2</sup> فالسؤال في القرآن الكريم ليس لغرض الفهم أو طلب العلم بالأشياء، وإنما للدلالة على أغراض بلاغية أو قوى إنجازية متضمنة في القول تعرف من السياق والمقام وقرائن الأحوال، وهذا ما سنتعرف إليه من خلال بعض الأمثلة والشواهد التي ذكرها الزمخشري.

قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>3</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا توجيهيا تمثلت قوته الانجازية المباشرة في الاستفهام، والدليل الإنجازي هو أداة الاستفهام (كيف)، وأما القوة الانجازية غير المباشرة، أو المتضمنة في القول فهي الإنكار والتعجب، وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: " معنى الاستفهام في كيف ... وهو الإنكار والتعجب"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج6، ص 71.

<sup>2</sup> محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف وأثرها في الدراسات البلاغية، ص 292.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 27.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 248.

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَقْبَلًا تَعْفَلُونَ ﴾<sup>1</sup> تتمثل القوة الإنجازية المباشرة في هذا الملفوظ القرآني في الاستفهام، والدليل الإنجازي هو حرف الاستفهام ( همزة )، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة، أو المتضمنة في القول فهي التقرير والتوبيخ والتعجب<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَعِيَ نَفْسَهُ، وَلَقَدْ إِصْطَبَقَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>3</sup> تتمثل القوة الإنجازية المباشرة لهذا الملفوظ في الاستفهام في قوله تعالى ( ومن يرغب ) وأما القوة الإنجازية المتضمنة في القول فهي الإنكار والاستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم<sup>4</sup>.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعِيَ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾<sup>5</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا توجيهيا مباشرا هو الاستفهام في قوله تعالى ( ءاسلمتم ) تمثلت قوته الإنجازية المباشرة في طلب الفهم والسؤال، والدليل الإنجازي هو ( همزة الاستفهام )، وأما الفعل الكلامي غير المباشر فقد تمثلت قوته الإنجازية غير المباشرة في الاستقصار، والتعبير، وقلة الإنصاف، وهذا ما يؤكد الزمخشري بقوله: " وفي هذا الاستفهام استقصار وتعبير بالمعاند، وقلة الإنصاف"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 43.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص260.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 129.

<sup>4</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص324.

<sup>5</sup> سورة آل عمران، الآية: 20.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ج1، ص539.

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُضِّعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾<sup>1</sup> تتمثل القوة الإنجازية المباشرة في هذا الملفوظ في الاستفهام، والدليل الإنجازي هو أداة الاستفهام ( كيف )، وأما الفعل الكلامي غير المباشر أو القوة الإنجازية المتضمنة في القول فهي الاستعظام والتهويل، حيث يقول الزمخشري: " فكيف يصنعون، فكيف تكون حالهم، وهو استعظام لما أعد لهم، وتهويل لهم، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخلص منه، وأن ما حدثوا به أنفسهم، وسهلوه عليها تعلق بباطل وتطمع بما لا يكون"<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾<sup>3</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني قوة إنجازية مباشرة في قوله تعالى ( ما منعك )، وهي الاستفهام، والدليل الإنجازي هو أداة الاستفهام ( ما )، وأما الفعل الكلامي غير المباشر، أو القوة الإنجازية المتضمنة في القول فهي التوبيخ والكشف والفضح، أي توبيخ إبليس على عصيانه لله وفضحه والكشف عن كبره ومعاندته وحسده وغله الذي يبطنه لآدم عليه السلام وذريته. إذ يقول الزمخشري: " فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود، وقد علم ما منعه؟ قلت: للتوبيخ، ولإظهار معاندته، وكفره، وافتخاره بأصله، وازدراؤه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه، لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب"<sup>4</sup>.

قال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾<sup>5</sup> تتمثل القوة الإنجازية المباشرة لهذا الملفوظ القرآني في الاستفهام في قوله تعالى ( هل علمتم ) والدليل الإنجازي هو

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 25.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 542.

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية: 11.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 426.

<sup>5</sup> سورة يوسف، الآية: 89.

أداة الاستفهام ( هل )، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة المتضمنة في القول فهي النصح والشفقة، حيث يقول الزمخشري في تفسيره للملفوظ: " أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا، فكلمهم مستفهما عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال: هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه، لأن علم القبح يدعو إلى الاستباحت، والاستقباح يجر إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم، وتنصحا لهم في الدين، لا معاتبة وتثريبا، ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب ...<sup>1</sup>.

ج- النداء: يصنف النداء ضمن التوجيهيات، وهو من الأفعال الكلامية المباشرة، وتمثل القوة الإنجازية المباشرة للنداء في طلب الإقبال، أو الأمر، أو النهي، أو الخبر، وللنداء قوة إنجازية غير مباشرة متضمنة في القول تعرف من خلال السياق والمقام وقرائن الأحوال، فالنداء هو طلب واستحضار يراد منه إقبال المدعو على الداعي ليتمكن من توجيه ما يريد، ويصحب في ذلك غالبا الأمر والنهي، ولذا يعد النداء مدخلا للأفعال الكلامية ووسيلة لتبليغ التوجيهيات، فهو يحفز ويهيئ المتلقي لرد فعل المتكلم<sup>2</sup>.

ومما سبق يمكن القول أن النداء استراتيجية من استراتيجيات التلطف التي يستعملها المتكلم قصد تهيئة المتلقي، أو لفت انتباهه، أو تنبيهه واستمالته، وقد ورد هذا الفعل كثيرا في الخطاب القرآني مما يدل على مراعاة القرآن الكريم للمتكلمين والمخاطبين، وأحوال التخاطب، لأن الفعل الكلامي " ينظر إلى عملية التخاطب على أنها مخاطبة مرتبطة بموقف تعبر عنه ... ويقاس نجاح التخاطب بمدى اكتشاف المتلقي للموقف المعبر عنه من خلال فهم قصد المتكلم"<sup>3</sup>. فالمتلقي لا يصل إلى قصد المتكلم إلا بعملية ذهنية استدلالية، وبمعونة السياق وأحواله، والقرائن النبوية.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 320.

<sup>2</sup> ينظر: محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ( سورة البقرة ) دراسة تداولية، جامعة باتنة، 2013. 2014، ص 177 - 178.

<sup>3</sup> محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 34.

وقد تكلم الزمخشري عن أسلوب النداء، وذهب إلى القول أن: الأصل في النداء أن ينادي بحرف الياء (يا)، ويكون للبعيد، ولكنه قد ينادى بها للقريب لأغراض بلاغية، حيث ذهب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>1</sup> إلى أن الخطاب لمشركي مكة و" يا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه، وأما نداء القريب فله ( أي، والهمزة )، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا..."<sup>2</sup>.

وقد بين الزمخشري السبب الذي كثر فيه ورود النداء بهذه الطريقة في النص القرآني وذلك " لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة، لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيته، وعظاته، وزواجره، ووعدته وووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام، وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون، فاقتضت الحالة أن ينادوا بالآكد الأبلغ"<sup>3</sup>.

وللنداء كما قلنا سابقا أغراضا بلاغية تعرف من السياق والمقام، وهي بتعبير ( سيرل ) قوة إنجازية غير مباشرة متضمنة في القول، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال بعض الأمثلة التطبيقية التي ذكرها الزمخشري:

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنْ

الْحَاطِئِينَ﴾<sup>4</sup> يتضمن هذا الملفوظ فعلا كلاميا مباشرا هو النداء تتمثل قوته الإنجازية المباشرة في التنبيه

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 20.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 210.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج1، ص 211.

<sup>4</sup> سورة يوسف، الآية: 30.



والاسحضار، والدليل الإنجازي محذوف لفظا مقدر معنى تقديره ( يا يوسف )، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة المستلزمة مقاميا فهي التقريب والتلطيف، حيث يقول الزمخشري: " وحذف منه حرف النداء، لأنه منادى قريب، مفاطن للحديث، وفيه تقريب له، وتلطيف لمحله"<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿ يَلْحَسِرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾<sup>2</sup> تتمثل القوة الإنجازية المباشرة لهذا الملفوظ في النداء، والدليل الإنجازي هو حرف النداء ( يا )، وأما القوة الإنجازية المتضمنة في القول فهي التحسر، أو على سبيل الاستعارة في معنى التعظيم، حيث يقول الزمخشري: " نداء الحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك ان تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسول، والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون، ويتلطف على حالهم المتلهفون، أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين، ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنحوه على أنفسهم ومخونها به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه"<sup>3</sup>.

قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّفُوهُنَّ لِعِذَّتِهِنَّ ﴾<sup>4</sup> تتمثل القوة الإنجازية المباشرة لهذا الملفوظ في النداء، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي الإظهار والاعتبار، حيث يقول الزمخشري: " خص النبي بالنداء وعم بالخطاب، لأن النبي إمام أمته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت، إظهارا لتقدمه، واعتبارا لثروته، وأنه مدرة قومه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 274.

<sup>2</sup> سورة يس، الآية: 30.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج5، ص 175.

<sup>4</sup> سورة الطلاق، الآية: 01.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج6، ص 138.

3- التعبيرات: Expressives

الأفعال التعبيرية هي أفعال كلامية " يعبر بها المتكلم عن مشاعره في حالات الرضا والغضب والسرور والحزن والنجاح والفشل ... وليس من اللازم أن تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاص بالمتكلم من الأحداث، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثاره النفسية والشعورية على المتكلم، ويدخل فيها أفعال الشكر، والاعتذار، والتهنئة، والمواساة، وإظهار الندم، والحسرة، والتمني، والشوق، والحب، والكره... وليس لهذا النوع اتجاه للمطابقة، إذ يغني عنه شرط الإخلاص فإذا تحقق أنجز الفعل إنجازا ناجحا"<sup>1</sup>.

وأما عن غرضها الإنجازي فهو " التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات. وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب."<sup>2</sup> فالفعل التعبيري هو الذي يعبر عن حالة المتكلم النفسية والشعورية اتجاه الآخرين.<sup>3</sup> والهدف منها التعبير عن حالة نفسية وشعورية محددة بشرط عقد النية والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحددة.<sup>4</sup>

وإذا كانت الأفعال التعبيرية تعبر عن انفعالات نفسية وشعورية، كالتهنئة، والفرح، والحزن، والغضب، فإن السؤال المطروح. هل يمكن أن تنطبق هذه الانفعالات على المدونة القرآنية؟ أو بصورة أخرى، هل يمكن اعتبار هذه الانفعالات صادرة عن الذات الإلهية في الخطاب القرآني؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول أن ما يوحي به النص القرآني أن هذه الانفعالات صنفين: انفعالات صادرة عن الذات الإلهية، وانفعالات صادرة عن الإنسان، ومن هذا المنطلق ينبغي التفريق بين

<sup>1</sup> محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 104. ينظر: جورج يول، التداولية، ص 90.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، محمود أحمد نخلة، ص 80.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 98.

<sup>4</sup> ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 158.

هذه الانفعالات، فانفعالات الذات الإلهية غير انفعالات الإنسان، فالله سبحانه وتعالى ليس كمثلته شيء، ولذا ينبغي تنزيهه عن كل فعل يصدر عن البشر كالأفعال النفسية، مثل: الغضب، والحزن، والفرح<sup>1</sup>... أو كما يقول الزمخشري " فذاته المميّزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم، فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور، فهي قادرة على المقدورات كلها"<sup>2</sup> وللتدليل على وجود هذا الصنف من الأفعال في الخطاب التفسيري عند الزمخشري نأخذ الأمثلة الآتية:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾<sup>3</sup> تضمن هذا الملفوظ فعلا كلاميا تعبيريا، فقد عبر المشركون عن حالتهم النفسية والشعورية يوم القيامة، إذ رأوا النار، وتبرأ منهم شفعاءهم فندموا وتحسروا وقالوا لو أن لنا كرة لتبرأنا منهم كما تبرؤا منا، وقد تمثلت القوة الإنجازية المتضمنة في القول في الندم والحسرة، وأما فيما يخص ( لو ) فهي حسب تحليل الزمخشري في معنى التمني، كأنهم قالوا: ليت لنا كرة فنتبرأ منهم. فكان لها أثر في درجة وشدة القيمة الإنجازية للفعل المتضمن في القول<sup>4</sup>.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَأَتَفَضُّنَّ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾<sup>5</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا تعبيريا مباشرا تمثل في الكشف عن الحالة النفسية والشعورية لسيدنا يعقوب عليه السلام لما قص عليه يوسف عليه السلام الرؤيا،

<sup>1</sup> ينظر: محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، سورة البقرة، ص 268.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 545.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 166.

<sup>4</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 355.

<sup>5</sup> سورة يوسف، الآية: 05.

فأدرك أن وراء هذه الرؤيا أمرا عظيما، فخاف عليه من إخوته إن قص عليهم الرؤيا أن يكيدوا له، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة والمستلزمة مقاميا فهي **التخويف والتحذير**، وقد ذهب الزمخشري إلى القول: أن الفعل ( فيكيدوا ) ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون أكد وأبلغ في التخويف، وقد كان لهذه الزيادة في المعنى أثر في درجة وشدة القيمة الإنجازية للفعل المتضمن في القول<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّي لَيُحْزِنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾<sup>2</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا تعبيريا يتمثل في الكشف عن الحالة الشعورية والنفسية لسيدنا يعقوب لما طلب منه أبناؤه أخذ يوسف للعب معهم فعبير عن ذلك الشعور بقوله: (ليحزني. وأخاف)، وأما الفعل الكلامي الإنجازي غير المباشر فهو يتمثل في **الخوف والمحبة والتحذير**، وقد لمح الزمخشري إلى ذلك بقوله اعتذر لهم بأمرين هما:

- ليحزني: أن ذهابهم به ومفارقتهم إياه مما يحزنه، لأنه كان لا يصبر عنه ساعة، و هذا يدل على شدة تعلقه به وحبه الشديد له، وعلو المكانة التي يحظى بها يوسف عند أبيه.

- أخاف: خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وفي هذا الخوف معنى التحذير من الذئب.<sup>3</sup>

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنَّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>4</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا تعبيريا تمثلت قوته الإنجازية المباشرة في الكشف عن

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 255.

<sup>2</sup> سورة يوسف، الآية: 13.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 259 - 260.

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية: 36.

الحالة النفسية والشعورية لامرأة عمران التي نذرت ما في بطنها محررا لخدمة بيت المقدس ظنا منها أنه ولد ذكر، فإذا هي أنثى، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة أو المتضمنة في القول فهي الحزن والتحسر، إذ يقول الزمخشري: " فإن قلت: لم قالت: إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول؟ قلت: قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها، فتحزنت إلى رها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا، ولذلك نذرت محررا للسدانة وتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن"<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿ فَأَلْفَيْ السَّحْرَةَ سَجْدًا فَالَوْءَ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴾<sup>2</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا تعبيريا تبين من خلاله الكشف عن حال السحرة بعد لقاء موسى عليه السلام عصاه، والتي تلقفت ما ألقوا فهذا الأمر يدعو إلى الإعجاب، فقد ألقوا حبالهم وعصيتهم للكفر والجحود، وبعد ساعة ألقوا رؤوسهم للشكر والسجود، وأما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فهي الشكر والحمد<sup>3</sup>.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَضَيْنَا عَلَيْهِ الِّمُوتَ مَا دَلَّهْمُ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الِّأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِ، فَلَمَّا خَرَ تَبَيَّنَتِ الِّجَنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الِّغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الِّعَذَابِ الِّمُهَيِّبِ ﴾<sup>4</sup> تضمن هذا الملفوظ فعلا كلاميا تعبيريا تمثل في الكشف عن الحالة الشعورية والنفسية التي عاشها الجن الذين كانوا يخدمون سيدنا سليمان بعد وفاته، ولكن عندما تبينوا موته قالوا لو كنا نعلم الغيب وعلمنا بموته ما لبثنا كل هذه المدة في العذاب المهين معبرين عن حزنهم ودهشتهم وأسفهم، وتبين لهم أن علم الغيب من اختصاص الله سبحانه وتعالى، وأنهم لو كانوا يعلمون الغيب هم وأدعيائهم لعلموا موت سليمان الذي لم تدلهم عليه إلا دابة الأرض، وهذا يدل على عجزهم. وأما القوة الإنجازية المتضمنة في

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 550.

<sup>2</sup> سورة طه، الآية: 69.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص 96.

<sup>4</sup> سورة سبأ، الآية: 14.

القول أو المستلزمة مقاميا فهي التهكم لقول الزمخشري: " وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته"<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمٌ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَآتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَظْلُ الْمُبِينُ ﴾<sup>2</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا تعبيريا تمثل في الكشف عن الحالة النفسية والشعورية لسيدنا سليمان لما تولى وراثة حكم والده، فلما خاطب الناس عبر عن ذلك الشعور بتعداد نعم الله عليه ومن بينها معجزة علم منطق الطير، تشهيرا بنعم الله، وتنويها بها، واعترافا بها، ودعاء إلى التصديق بها، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي الحمد والشكر لله على عظيم نعمه<sup>3</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْفِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>4</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا تعبيريا يتمثل في الكشف عن الحالة النفسية والشعورية التي عاشتها أم موسى عليه السلام خوفا وحزنا على ولدها، وأما القوة الإنجازية المتضمنة في القول فهي النهي عن الخوف والحزن، والوعد بما يسليها ويفرح قلبها، حيث يقول الزمخشري: " نهيته عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها، ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها، ويملؤها غبطة وسرورا"<sup>5</sup> فانظر إلى تبدل حالتها قبل الوحي عاشت حالة من الحزن والخوف، وبعده عاشت حالة من الاطمئنان والفرح والسرور.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 113.

<sup>2</sup> سورة النمل، الآية: 16.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج4، ص 437 - 438.

<sup>4</sup> سورة القصص، الآية: 07.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج4، ص 483.

4- الوعديات : ( الالتزاميات ) : Commissives

الوعديات وهي أفعال الكلام التي " يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي لأنها تعبر عما ينويه المتكلم، وهي وعود وتهديدات وتعهدات، ويمكن أن ينجزها المتكلم فقط، أو المتكلم باعتباره عضواً في مجموعة.<sup>1</sup> فالفعل الالتزامي هو أن يلزم المتكلم نفسه إنجاز فعل في المستقبل كقولك لصديقك: سأزورك غداً. فأنت ألزمت نفسك بفعل الزيارة في المستقبل، وهو الغد. وأما عن غرضها الإنجازي فهو الالتزام بفعل شيء في المستقبل واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائماً فعل المتكلم شيئاً في المستقبل.<sup>2</sup>

ومن هذا النوع أفعال الوعد، والوعيد، والضمان، والإنذار، والمعاهدة... وبالنظر إلى الخطاب القرآني نجد أن هذه الأفعال متواترة بكثرة في النص القرآني الذي وعد المؤمنين بالجنان وتوعد الكافرين بالنار، وضمن العهود وأعطى الحقوق، وحذر وأنذر وبشر، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال أخذ بعض الأمثلة من تفسير الزمخشري وبيان قيمتها الإنجازية.

قال تعالى : ﴿ قَبَائِلَ - اٰمَنُوۡا بِمِثْلِ مَاۤءَ اٰمَنْتُمْ بِهٖۤ - بَقَدِّ اِهْتَدَوْۡا۟ وَّ اِنْ تَوَلَّوۡۤا۟ قَبَائِلَ مَا هُمْ

فِيۤ شِقَاقٍۭ بَسِيۡكُفِيۡكَهُمُ اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيۡعُ الْعَلِيۡمُ ﴾<sup>3</sup> تضمن الملفوظ القرآني فعلاً كلامياً إلتزامياً

يتمثل في الإخبار بأن الله تعالى ناصر نبيه لا محالة، وقد تمثلت القوة الإنجازية غير المباشرة في الضمان والتعهد ، أي ضمان وتعهد من الله لإظهار رسول الله عليهم، وقد أنجز وعده بقتل قريضة وسبيهم وإجلاء بني النضير، وقد أضافت السين في قوله ( فسيفيكمهم ) معنى كان له أثر في درجة وشدة الفعل المتضمن في القول، وهو أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين، ( أن الفعل حاصل في المستقبل لا محالة )<sup>4</sup> وأما

<sup>1</sup> جورج يول، التداولية، ص 91.

<sup>2</sup> ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 79.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 136.

<sup>4</sup> ينظر: جورج يول، التداولية، ص 91.

في قوله تعالى ( وهو السميع العليم ) فقد تمثلت القوة الإنجازية غير المباشرة في الوعيد، أي أن الله يسمع ما ينطقون به وما يضمرون من الحسد والغل وسيعاقبهم عليه، أو الوعد، وهو بمعنى وعد لرسول الله بأن الله يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك، وسيستجيب لك ويوصلك إلى مرادك.<sup>1</sup> فقد توعد الله ووعد بفعل حاصل في المستقبل وهو إظهار نبوة محمد ونصرته، وعقاب المشركين والكفار.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا فَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالظَّالِمِينَ ﴾<sup>2</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إلزاميا يتمثل في الإخبار بأن الله على علم بما يفعل الظالمون في قوله ( والله عليم بالظالمين )، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي الوعيد، فقد توعدهم الله على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد.<sup>3</sup>

قال تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً وَيَحْذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾<sup>4</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إلزاميا في قوله تعالى ( ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ) وتمثلت قوته الإنجازية المباشرة في النهي عن موالاة الكافرين والمشركين والتحذير من ذلك، أي فلا تعترضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي الوعيد الشديد.<sup>5</sup>

قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

إِنفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يِّنْفَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 335.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 246.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 471.

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية: 28.

<sup>5</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 545.



الشَّكْرِينَ ﴿١﴾ تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إلزاميا تمثلت قوته الإنجازية المباشرة في الإخبار بأن الله سيجزي الشاكرين الجزاء الأوفى والمعنى " أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلا، ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك، فليس له أن يقبض إلا بإذن الله. "2 وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي التحريض والتشجيع والإعلام، أي " تحريضهم على الجهاد، وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع، وأن أحدا لا يموت قبل وقوع أجله "3.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْحِيكَ أَن تَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَنفْسًا وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَقَارُورٍ مُّكْوَّسَةٍ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا آَلِيمًا ﴿٥﴾ تضمن هذا الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إلزاميا تمثلت قوته الإنجازية المباشرة في بيان أن الله يقبل توبة الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، أي قبل فوات الأوان، فأولئك يتوب الله عليهم، فهذا إعلام بوجوبها، وأن الله يفي بما وجب عليه، وإعلام بأن الغفران لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب، ثم بين الله تعالى بأن الذين ماتوا على الكفر لا توبة لهم، كما أن من أعلن التوبة حين حضور الموت وفوات الأوان لا توبة له، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فقد تمثلت في:

- الوعد في قوله تعالى: (فأولئك يتوب الله عليهم)

1 سورة آل عمران، الآية: 144.

2 الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 637.

3 المصدر نفسه، ج1، ص 637.

4 سورة النساء، الآية: 17. 18.

- الوعيد في قوله تعالى: ( أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما )

وهذا الذي أشار إليه الزمخشري، فالسياق القرآني جعل الوعد للذين آمنوا نظير الوعيد للذين كفروا ليتبين أن الأمر كائنان لاحتمال، وهذا التزام بفعل مستقبلي<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنَّا يَا إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾<sup>2</sup> تضمن هذا الملفوظ القرآني أفعالا كلامية توجيهية وهي الاستفهام والأمر، وأما الفعل الإلزامي فهو في قول والد إبراهيم لابنه ( لأرجمك ) وهذا الفعل من أفعال الإنذار، أي لأرمينك بلساني، وأما الفعل الكلامي غير المباشر فهو التهديد والتفريع<sup>3</sup>.

#### 5- الإيقاعيات : ( الإعلانيات ) : declarations

الأفعال الإيقاعية: وهي الأفعال التي ينجز فيها الفعل بمجرد النطق بها، فبمجرد النطق بها فأنت توقع بالقول فعلا، ومن الأفعال الإيقاعية: أفعال البيع والشراء، والهبة والوصية، والوقف، والإجارة، والإبراء من الدين، والتنازل عن الحق، والزواج، والطلاق، والإقرار، والدعوى، والإنكار، والقذف، والوكالة...<sup>4</sup> واتجاه المطابقة فيها يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص، فإذا قلت لشخص يريد أن يشتري منك سلعة: بعتك، فأنت قد أوقعت فعل البيع<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 44.

<sup>2</sup> سورة مريم، الآية: 46.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص 25.

<sup>4</sup> ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 98.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 80. وينظر: جورج يول، التداولية، ص 89. ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص

ويكفي في الفعل الإيقاعي أدائه بنجاح لتحقيق المطابقة بين القول والعالم، والرغبة في تحقيق الفعل، والاعتقاد بصدقه كفيلاً بتحقيق الغرض المتضمن في القول<sup>1</sup>. ومن صنف هذا النوع من الأفعال نأخذ الأمثلة الآتية:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا أَلْبٌ وَلَدَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِّن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>2</sup> تضمن الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إيقاعيا وهو يتجلى في (الظهار) الذي يتحقق بمجرد التلفظ به، والقوة الإنجازية للملفوظ تتمثل في الإنكار، من خلال التوبيخ والاستهجان لعادة جاهلية كانت موجودة في المجتمع الجاهلي، وهي الظهار حيث كان الرجل يقول لزوجه: (أنت علي كظهر أمي)، وبمجرد النطق بهذا القول ينجز فعلا وهو: فعل الظهار. والذي يترتب عليه تحريم الزوجه، والغرض الإنجازي لهذا الفعل الإيقاعي هو بيان أحكام الظهار وما يترتب عليه، كالكفارة، وبالتالي فالظهار تلفظ بمجرد النطق به يصبح فعلا منجزا.<sup>3</sup> ولذا اعتبر التداوليون " اللغة مؤسسة اجتماعية تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية."<sup>4</sup> والكفارة هي حكم أصدره الشارع الحكيم في حق الجاني (الذي قام بفعل الظهار) والحكم واجب التنفيذ بمجرد النطق به، حيث يقول الزمخشري: " لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية، فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار، وتخافوا عقاب الله"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، ص 32.

<sup>2</sup> سورة المجادلة، الآية: 02 . 03.

<sup>3</sup> ينظر: الزمخشري الكشاف، ج6، ص 58.

<sup>4</sup> يسمينة عبد السلام، نظرية أفعال الكلام في ظل جهود أوستين، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 10، 2014م، جامعة بسكرة، ص 107.

<sup>5</sup> المصدر السابق نفسه، ج6، ص 60.

وفي اسم الإشارة ( ذلك ) بيان وتوضيح لدرجة وشدة المحتوى القضوي، إذ يقول الزمخشري: "البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره، ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم"<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَفْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّفُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾<sup>2</sup> تضمن المفظوظ القرآني فعلا كلاميا إيقاعيا في قوله تعالى ( فطلقوهن )، والغرض الإنجازي لهذا الفعل هو تنظيم أحكام الطلاق وبيانها من أجل حفظ حقوق المرأة، وقد استمد هذا الفعل قوته الإنجازية من سلطة الخطاب الإلهي، وبمجرد التلطف بالمنطوق الإنجازي، أي بمجرد صدور الأمر الإلهي إلى المخاطبين وهم المؤمنون، فإنه يتحقق وجوده ويمتثلوا لأمره والمسؤول عن المطابقة هم المؤمنون، والمراد من الآية أن يطلقن أزواجهن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن، ومما يدل على الالتزام بالقول وأنه أصبح فعلا الحديث الذي نقله الزمخشري، فقد (روي عن النبي (ص) أنه قال لابن عمر حين طلق زوجته وهي حائض، ما هكذا أمرك الله، إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا، وتطلقها لكل قرءة تطلقه)، وروي أنه قال لعمر (مر ابنك فليراجعها، ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر، ثم ليطلقها إن شاء، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء)<sup>3</sup>.

قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>4</sup>  
بَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج6، ص 61.

<sup>2</sup> سورة الطلاق، الآية: 01.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج6، ص 140.

<sup>4</sup> سورة التوبة، الآية: 01.

فقد تضمن الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إيقاعيا في قوله تعالى ( براءة )، وبمجرد التلفظ أصبح القول فعلا على معنى " أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم" فبمجرد التلفظ فسخ العقد الذي كان بين المسلمين والمشركين، وهذا الفعل من أفعال العقود والفسوخ التي تتعقد بفاعلين مع إتمام العقد بصيغة القبول والايجاب، وقد كان هذا العقد قبل الفسخ بين المسلمين والمشركين، ويوضح الزمخشري هذا القول بقوله: " لم علقتم البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين.؟ قلت: فقد أذن الله في معاهدة المشركين أولا، فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم، فلما نقضوا العهد أوجب الله - تعالى - النبد إليهم فخطب المسلمون بما نجدد من ذلك، فقيل لهم: اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين.<sup>1</sup> ففعل الإبراء فعل كلامي إيقاعي بمجرد التلفظ به أصبح فعلا منجزا تم بموجبه فسخ العقد الذي كان بين المسلمين والمشركين.

قال تعالى : ﴿ وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ

اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>2</sup> تضمن الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إيقاعيا تمثل في فعل الإجارة الذي تم بموجبه إقرار حكم من أحكام العهود والمواثيق كان موجودا في العصر الجاهلي بعد فسخ العقد بين المسلمين والمشركين، فبمجرد نطق الشخص وقوله لأجيره أجزتكم، فقد أنجز فعلا وأصبح بموجبه تحت حمايته ورعايته، فالإسلام أقر حكما جاهليا، والمحتوى القضوي صادق يعبر عن إنسانية الإسلام السمحة وعالميته فرغم نقضهم العهد إلا أن الإسلام أعطاهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق<sup>3</sup>.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَفُومُونَ إِلَّا كَمَا يَفُومُ الذِّمَّةُ يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 07.

<sup>2</sup> سورة التوبة، الآية: 06.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج3، 14- 15.

الرَّبِّوْا فَمَسْ جَاءَهُ؛ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِهٖ فَبَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ بِآءٍ وَنَجِيكَ أَصْحَابُ الْبَارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>1</sup> تضمن الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إيقاعيا غرضه الإنجازي إبطال صنف من المعاملات عرف في الجاهلية وهو الربا، وإقرار صنف آخر مشروع وهو البيع، والغاية من ذلك تنظيم المعاملات المالية بين الناس في البيع والشراء وهذا من **أفعال المنع**، وبمجرد التلفظ بهذا الملفوظ، والتلفظ هو الله - سبحانه وتعالى - والإمتثال لأمر الله يكون أنجز فعلا هو تحريم الربا، وإحلال البيع، وذلك إنكارا لتسويتهم بين الربا والبيع.

وفي قوله . تعالى . ( فانتهى ) المطابقة، والمسؤول عنها المخاطبون، وقد فسر الزمخشري هذا الكلام بقوله: " فتبع النهي وامتنع فلا يؤخذ بما مضى منه، لأنه أخذ قبل لزوم التحريم، وفي قوله ( ومن عاد ) إلى الربا فمصيره النار. فهذا حكم نهائي تم بموجبه الفصل في قضية البيع والربا، وتحديد العقوبة المترتبة عن التعامل بالربا<sup>2</sup>.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَذَرُوا مَا بَيْنَ مَنِ الرَّبِّوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٧﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾<sup>3</sup> تضمن الملفوظ القرآني فعلا كلاميا إيقاعيا، والغرض الإنجازي هو إعلان الحرب عن المرابين، وبمجرد التلفظ بالفعل الإنجازي تحقق الفعل، فالخطاب موجه إلى من بقي لهم بقايا من الربا فأمرُوا أن يتركوها ولا يطالبوا بها امتثالا لأمر الله، وبالرجوع إلى سبب النزول يتضح لنا نجاح هذا الفعل الإنجازي، فقد روي أن ثقيف كان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا، ولما نزلت الآية، قالت ثقيف: لا يدي لنا بحرب الله ورسوله. وقد نتج عن هذا الفعل

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 264.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 279.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 277 - 278.

حكما أو قانونا عاما أصدره الشارع الحكيم باعتباره المؤسسة التشريعية تمثل في قوله ( وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون )، أي أن الإمتثال لأمر الله هو أخذ رأس المال وترك الربا، إذ يقول الزمخشري: " هذا حكم إن تابوا، فما حكم أو لم يتوبوا، قلت: يكون ما لهم فينا للمسلمين"<sup>1</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾<sup>2</sup> تضمن المفعول القرآني فعلا كلاميا إيقاعيا المراد منه الانتقال من حال إلى حال حيث كان من عادة العرب في الجاهلية يأخذون مهور بناتهم، وكانوا يقولون: هنيئا لنا النافجة لمن تولد له بنت، يعنون تأخذ مهرها فتفجع به مالك، أي تعظمه، والخطاب قيل للأزواج، وقيل للأولياء، وفي قوله تعالى: ( فإن طبن )، المعنى، فإن وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاملتكم فأنفقوه<sup>3</sup>.

والغرض الإنجازي لهذا الفعل هو إعلان لحقوق المرأة، فالصداق من حقها، والهبة لها الخيار فيها، ففعل الهبة من الأفعال الإيقاعية التي تنجز بمجرد النطق بها، فإذا قالت الزوجة لوليها أو زوجها وهبتك كذا من صدقي، فقد أنجزت فعلا إيقاعيا. ومن هذا المنطلق " فالكلام بدون شك هو تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا تحقيق لأفعال ميسرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي، وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي، وينجر عن ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري، وتوجهه الدلالي، أي قيمته وقوته الدلالية"<sup>4</sup>.

وختاما لما سبق يمكن القول أننا سعينا من خلال هذا الفصل للعمل على استثمار نظرية أفعال الكلام في اللسانيات التداولية من أجل قراءة الموروث العربي، والكشف عن المفاهيم والأسس التداولية في

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 508.

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 04.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 18.

<sup>4</sup> يسمينة عبد السلام، نظرية أفعال الكلام في ظل جهود أوستين، ص 107.

الخطاب التفسيري عند الزمخشري، وقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن هذه النظرية كان لها وجود في التراث العربي من خلال حديث العلماء العرب عن نظرية الخبر والإنشاء، وحديثهم عن الأغراض البلاغية التي تخرج إليها هذه الأساليب.

وبالعودة إلى الزمخشري يمكن القول أن نظرتة إلى الخطاب القرآني كانت قائمة على رؤية تداولية وظيفية من خلال مراعاته في تحليله للنص القرآني لمقتضى الحال والمقام والسياق ومقاصد الخطاب، كيف لا، وهو أول من تمثل نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني التي طبقها على النص القرآني فكشف من خلالها عن الأوجه البلاغية والإعجازية للنص القرآني، ووقف من خلالها أيضا على البنى اللغوية للأفعال الكلامية، مبينا أنواعها وأغراضها ومقاصدها، وقد رأينا أن الزمخشري قد تناول في تفسيره الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة من خلاله حديثه عن الأساليب وأغراضها البلاغية، كالاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي... فهذه الأغراض بلغة المعاصرين أفعال كلامية.

وتجملت لنا أيضا من خلال وقوفنا على هذه الأغراض نظرة الزمخشري القائمة على أن البنى اللغوية انعكاس لوظيفتها التواصلية، وأن خروج الأساليب البلاغية عن أصلها ينتج عنه إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة تعرف من السياق والمقام، وهذا عناه كل من أوستين وسييرل حينما فرقا بين الأفعال الكلامية المباشرة direct والأفعال الكلامية غير المباشرة indirect. " فكلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة، تحصل على فعل كلامي مباشر direct speech act، بينما كلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة تحصل على فعل كلامي غير مباشر indirect speech<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> جورج يول، التداولية، ص 90.



الخاتمة

### الخاتمة :

تعتبر التداولية اليوم أحدث تيار لساني جاء كرد فعل على المناهج اللسانية السابقة، من خلال محاولتها سد الثغرة التي تركتها النظريات اللسانية التي كانت قبلها، والتي نظرت إلى الملفوظات باعتبارها بنية مغلقة وعزلتها عن سياقها التواصلية وأقصت كل مرجع خارجي يحيل إلى بنية الملفوظ.

وقد خلق هذا الإقصاء الكثير من المشكلات في التحليلات اللغوية البنيوية، مما جعل أنظار الباحثين تتجه صوب الاتجاه التداولي لحل هذه المشكلات من خلال إعادة الاعتبار لكل ما هو خارج عن النص والملفوظ بدء بعناصر العملية التلفظية المتكلم والمخاطب، وسياق التلفظ وما يحيط به، والإجابة عن كثير من الأسئلة التي لم تجب عليها النظريات الأخرى، وبالفعل قد أجابت على الكثير من التساؤلات، وقدمت حلولاً لكثير من المشكلات.

ونظراً لأهمية هذا التيار اللساني في ميدان البحث اللغوي عملنا من خلال هذا البحث على قراءة تفسير الكشاف للزمخشري قراءة لسانية حديثة في ضوء المنهج التداولي الحديث للوقوف على أهم الملامح التداولية الماثرة في هذا التفسير، وقيمة التفكير التداولي عند الزمخشري، وقد استثمرنا في دراستنا هذه بعض المباحث التداولية من قبيل لسانيات التلفظ، والحجاج، وأفعال الكلام، وقد لخصنا أهم النتائج المحصل عليها في ما يلي:

- يعتبر تفسير الكشاف من أهم الكتب التراثية فهو يزخر بثروة لغوية وبلاغية، كما يعد أول كتاب تبنى نظرية النظم، وفكر عبد القاهر الجرجاني.

- إن نظرة الزمخشري للغة وتحليله لتراكيبها كانت قائمة على أساس نظرية النظم، فهو لم يفصل المبني عن المعنى، وإنما جعل من البنية انعكاساً للوظيفة.

- لم يدرس الزمخشري التراكيب والملفوظات القرآنية في ذاتها، وإنما درسها من حيث استعمالها في طبقاتها المقامية المختلفة.

- لقد كان الزمخشري على وعي كامل بأهمية اللغة في التواصل والإبلاغ، ودور السياق وأطراف التواصل، وظروف وملابسات الحديث في بناء دلالة الملفوظ، وأثرها في تأدية معنى العبارة وتوجيهه.

- لقد تطرقنا في ظل تطبيقنا لهذا النظام ( النظام المفتوح ) في تفسير الكشاف إلى مستويين من مستويات الانفتاح:

\* يمثل المستوى الأول في انفتاح المعنى في السياق اللغوي ( السياق الداخلي ) حيث يكون فيه النظام منفتحاً انفتاحاً داخلياً بسبب ما يطرأ من تغيير في معطيات واقعه اللغوي وذلك من خلال تناولنا:

1/ ظاهرة الإعراب التي تتعدد فيها المعاني الإعرابية، إذ يعمل الإعراب على انفتاح المعاني على دلالات أوسع واحتمالات معنوية متعددة، تمنح المتكلم القدرة على التنوع في المعاني والتعبير عن الحاجيات والمقاصد والأغراض، باعتباره وسيلة من وسائل توليد المعاني وأفضل ظاهرة يمكن أن نلمس فيها هذا التنوع في مسالك التعبير هو النص القرآني ممثلاً في القراءات القرآنية وأوجه اختلافها. وهذا ما وقفنا عليه من خلال حديثنا عن أوجه القراءات القرآنية، واختلاف معانيها عند الزمخشري.

2/ ظاهرة التقديم والتأخير التي تتجلى فيها مرونة وحيوية وحركية النظام اللغوي للعربية الذي توحى فيه هذه الظاهرة بانفتاح المعاني للتعبير عن أغراض ومقاصد تداولية يتحكم فيها قصد المتكلم وغرضه، كالاختصاص، والتوكيد، والتنبيه...

- فالتقديم والتأخير عند الزمخشري هو آلية تبرز مدى مرونة الاستعمال اللغوي، كما أنه يعطي المتلفظ الكثير من البدائل والخيارات للتعبير عن أغراضه ومقاصده، وذلك في ضوء مراعاته لظروف التلفظ وأحواله ومقتضياته.

3/ ظاهر العدول الصرفي في النظام اللغوي للعربية تعد أيضا مظهرا من مظاهر الانفتاح الداخلي ويزر الانفتاح ههنا في حرية المتكلم حينما يتصرف في صيغ الكلام بما يخرج بها عن الأصل، ولكن في ضوء ما يسمح به النظام وتقره المواضع والاستعمال، حيث تخرج الصيغة الصرفية عن معناها الصرفي الأصلي إلى معان فرعية فينفتح فيها المعنى للتعبير عن أغراض وظيفية تداولية تعبر عن مقصدية المتلفظ.

\*يتمثل المستوى الثاني: في انفتاح المعنى في السياق المقامي ( السياق الخارجي ) الذي تتغير فيه المعاني بتأثير من الظروف الخارجية لمقام الكلام. وذلك من خلال تناولنا لسياق التللفظ وأثره في توجيه المعاني، وقد تجلى الانفتاح الخارجي عند الزمخشري في اهتمامه بأطراف التخاطب في تفسيره للنص القرآني وربطه بمقامه وظروف وملابسات نزوله.

- لقد بنى الزمخشري تفسيره الكشاف على أسس تواصلية مراعيًا في ذلك استراتيجيات التخاطب، خاصة استراتيجية الحوار التي طبعت كشافه، فالزمخشري أكد على ايضاح العلاقة بين الخطاب القرآني ومقامه الذي استعمل فيه مركزا على كل ما يحكم العملية التواصلية أو يؤثر فيها. - جعل الزمخشري من الخطاب القرآني في تفسيره انعكاسا للواقع العربي والبيئة العربية، باعتبار أن القرآن الكريم قد صور لنا حياة هذا المجتمع، فلم يعزل النص القرآني عن واقعه، وكثير من الآيات يرجع الزمخشري في تفسيرها إلى تأمل الواقع العربي مستحضرا عاداته وتقاليده وتاريخه ومعاملاته، ليتأتى له الوصول إلى المقصود من الآيات والملفوظات القرآنية.

- إن عادات العرب وأخبارها ومعاملاتها هي قرائن مهمة من سياق التللفظ اعتمد الزمخشري عليها في تحليله لآي القرآن الكريم.

- إن الوقوف على الظروف والأحداث والملابسة لنزول الملفوظات القرآنية هي ربط للنص أو الخطاب القرآني بواقعه، حيث تصبح هذه قرينة تداولية تساعد المتلقي للخطاب على فهمه، فأسباب النزول تدل على موافقة الخطاب القرآني لمقتضى الحال، وبذلك تكون الأهمية التي تنبني

عليها أسباب النزول هي استحضر سياق التلفظ وسببه الذي من أجله النصوص القرآنية نزلت، مما يعين على الفهم الدقيق لدلالات القرآن وأحكامه. وهذا ما أكد عليه الزمخشري من خلاله اهتمامه بأسباب النزول في تفسيره لكثير من الآيات والملفوظات القرآنية.

- جعل الزمخشري من أسلوب الحوار فعالية حجاجية يوظف من خلالها الأدلة والحجج لإقناع متلقي الخطاب، والبرهنة على صدق كلامه.

- إن استحضر الزمخشري للسياق بمجمل عناصره وخلفيته المعرفية المتعددة المواهب المتشعبة بالفكر والفلسفة واللغة والبلاغة والمنطق قد أتاحت له السبل لأن يوظف الحجاج بما يخدم آراءه، فطوع اللغة والبلاغة لخدمته باعتبارهما أهم وسيلة حجاجية يستعملها كيف شاء، وبواسطتها يختار حججه وطريقة بنائها.

- تعتبر اللغة من أهم وسائل الحجاج، فقد تظن الزمخشري إلى أهميتها، فهي ليست وسيلة للتعبير عن المقاصد والأغراض فقط، بل هي وسيلة للحجاج والإقناع.

- إن قيام بنية الخطاب التفسيري عند الزمخشري على صيغة (السؤال، والجواب)، هو في الحقيقة آلية تداولية خطابية تعكس قيمة وحركية وحيوية الخطاب التفسيري عنده، إنه خطاب يستحضر كل مقومات النص والخطاب البنيوي منها والتداولي.

- لقد أشار الزمخشري في كشفه إلى أهمية الروابط والعوامل الحجاجية في الربط بين الحجج وترتيبها ووصلها ببعضها البعض، وتقوية النتائج، وضبط العلاقات الحجاجية.

- إن الاعتماد على الاحتجاج باللغة يضمن نجاح الخطاب ويستجلي معاني الآي والسور ويجعلها قريبة من فهم المتلقي.

- لقد وظف الزمخشري العديد من الروابط والعوامل في خطابه التفسيري التي أسهمت في جعل خطابه التفسيري خطابا حجاجيا بما يتلاءم وسياق الكلام.

- يعتبر العدول الصرفي من الآليات اللغوية الحجاجية التي وظفها الزمخشري، فقد وقف الزمخشري على الفروق المعنوية التي يوحى بها العدول الصرفي وما لها من أثر في توجيه المعاني، ولذا فإن البحث في الأصول الاشتقاقية التي للكلم، ينجر عنه فعل حجاجي ودور برهاني، يضمن نجاعة التأويلات ويحقق استقامة الأدلة. وما التقليل الذي نعين وجوده في الكشاف، سوى دليل على قوة هذا النمط الحجاجي.

- وظف الزمخشري العدول الصرفي في بنية خطابه توظيفاً حجاجياً يهدف من خلاله إلى إقناع المخاطبين بصحة تأويلاته.

- يعتبر الالتفات في اللغة آلية من آليات الحجاج اللغوية التي أشار الزمخشري إليها في كشافه لما له من دور مهم في استمالة المتلقي وتهيئته ودفعه للإقناع، ولفت انتباهه.

- يعتبر الالتفات آلية من الآليات التي يستثمرها المتكلم في الإقناع، وبذلك أصبح وسيلة من وسائل الحجاج.

- جعل الزمخشري من الالتفات آلية حجاجية تعمل على تعديل القوة الحجاجية وتوجيه القول بما يحقق الاستدلال والإقناع.

- يعتبر القياس أيضاً من الآليات اللغوية التي وظفها الزمخشري في كشافه كوسيلة للاستدلال بها على صحة كلامه، لا سيما في حديثه عن معاني ودلالات وتراكيب اللغة، فللقياس دور كبير في دراسة اللغة وتقعيد أحكامها وضبط ألفاظها، والزمخشري كثيراً ما يستعين بالقياس ليدلل به في تفسيره لآي القرآن الكريم على صحة تأويلاته.

- تعد البلاغة من أهم الوسائل والآليات الحجاجية التي وظفها الزمخشري في كشافه، وذلك لما لها من أثر في استمالة المتلقي والتأثير فيه، ولما لها من قدرة فائقة وعجيبة تؤثر في العقل، والقلب، والذهن، فهي تحرك الوجدان، وتخطب العقل والعاطفة والحس.

- لقد اضفت البلاغة بأشكالها على خطاب الزمخشري مسحة فنية جمالية، وأعطت دافعية وفاعلية هيأت له قيما حجاجيا استطاع من خلالها أن ينفذ إلى عقول المتلقين، ويلفت انتباههم، ليتحقق له الإقناع.

- وظف الزمخشري الحجاج بما يناسب السياق والمقام إذ أن من شروط الحجاج التناسب بين الحجة والسياق.

- تعتبر كل من الاستعارة و التشبيه تقنية حجاجية لها فاعليتها في الإقناع والاستدلال، كما أنهما وسيلة من وسائل إيراد المعنى وتوضيحه.

- إن امتلاك الزمخشري لآلة البلاغة وبراعته في توظيفها مكنه من الوقوف على الأوجه التأويلية التي تحيل إليها العبارات القرآنية، ومن ثم اختيار الوجه الذي هو أكثر حجية وإقناعا بما يلائم السياق والمقام.

- إن نظرة الزمخشري إلى الخطاب القرآني كانت قائمة على رؤية تداولية وظيفية من خلال مراعاته في تحليله للنص القرآني لمقتضى الحال والمقام والسياق ومقاصد الخطاب، كيف لا، وهو أول من تمثل نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني التي طبقها على النص القرآني فكشف من خلالها عن الأوجه البلاغية والإعجازية للنص القرآني، ووقف من خلالها أيضا على البنى اللغوية للأفعال الكلامية، مبينا أنواعها وأغراضها ومقاصدها.

- لقد تناول الزمخشري في تفسيره الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة من خلاله حديثه عن الأساليب وأغراضها البلاغية، كالاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي... فهذه الأغراض بلغة المعاصرين أفعال كلامية.

- إن نظرة الزمخشري كانت قائمة على أن البنى اللغوية انعكاس لوظيفتها التواصلية، وأن خروج الأساليب البلاغية عن أصلها ينتج عنه إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة تعرف من السياق والمقام،

وهذا عناه كل من أوستين وسيرل حينما فرقا بين الأفعال الكلامية المباشرة direct والأفعال الكلامية غير المباشرة indirect. " فكلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة، تحصل على فعل كلامي مباشر direct speech act، بينما كلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة تحصل على فعل كلامي غير مباشر indirect speech .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقول أن هذا الجهد المقل قد اجتهد فيه قدر المستطاع، فإن وفقتم فيه فمن الله، وان أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



# المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم برواية ورش

ثانياً: المراجع والمصادر العربية:

01- ابن القيم الجوزية:

بديع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، د ط، د ت.  
إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا لبنان،  
1987م.

02- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زرزور، ط2، 1972م.

03- ابن خلدون مقدمة ابن خلدون، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

04- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر  
والتوزيع، د ط، د ت.

05- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد  
الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.

06- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: وشرح الدكتور محمد الخطيب السلسلة  
التراثية 21، ط1 الكويت، 2002.

07- ابن يعيش، شرح المفصل، الطباعة المنيرية، مصر، د ط، د ت.

08- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،  
د ط، د ت.

09- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب  
المصرية، د ت، د ط.

10- أبو بكر السيوطي، جلال الدين عبدالرحمان، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد  
شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

- 11- أبو بكر العزاوي،  
الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.  
اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م.
- 12- أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط1،  
1333هـ.
- 13- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق، عادل أحمد عبد الموجود و علي  
محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
- 14- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، دط،  
دت.
- 15- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1،  
1985م.
- 16- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر  
والتوزيع، 1979م.
- 17- الجلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،  
الجزائر، 1992م.
- 18- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر  
والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998م.
- 19- الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: عبدالرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي،  
ط1، 1904م.
- 20- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتح: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب،  
ط1، 1988م.

- 21- الزمخشري جار الله:  
أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1998م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق ودراسة، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998م.
- 22- السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح، أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1979م.
- 23- الشاطبي، الموافقات، تقديم بكر بن عبدالله أبو زيد، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1997م.
- 24- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1985م.
- 25- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م.
- 26- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت.
- 27- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية استمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، دار القصة للنشر، الجزائر، د ط، د ت.
- 28- بان الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2008م.
- 29- بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1984م.
- 30- بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.

- 31- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في تلخيص شرح المفتاح، تح: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
- 32- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
- 33- بومناش الرحموني، الضوابط التداولية للنص الديني، التفسير أمودجا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسة، الرباط.
- 34- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، د ط، د ت.
- 35- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، د ط، د ت.
- 36- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، د ط، د ت.
- 37- حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة، كنوز المعرفة، ط1 2014م.
- 38- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م.
- 39- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد. الأردن، ط1، 2008
- 40- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.
- 41- خولة طالب الابراهيمية، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، د ت.
- 42- ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت.
- 43- ردة الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ
- 44- سماء محمود الخالدي، الزمخشري ناقدا، دراسة في شواهد الكشاف الشعرية على الأساليب التركيبية، عالم الكتب الحديث، ط1.

- 45- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.
- 46- شرح الرضي على الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، ط2، 1996م.
- 47- شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1978 م.
- 48- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط9، دت.
- 49- صالح فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار بن حزم لبنان، ط1، 2000 م
- 50- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م.
- 51- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م.
- 52- طه عبد الرحمان:
- اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.
- 53- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2014م.
- 54- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004م.
- 55- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر 2007 م.

## المصادر والمراجع

- 56- عبد الرحمان حسن جسنك الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م.
- 57- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986م.
- 58- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م.
- 59- عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية.
- 60- عبد القاهر الجرجاني:  
أسرار البلاغة، تعليق: محمود شاكر، دار المدني جدة، دط، دت.  
دلائل الإعجاز، تعليق محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.
- 61- عبد الله صولة:  
في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.  
الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج . الخطاب الجديدة " لبرلمان وتيتيكا.
- 62- عبد المتعالي الصعيدي، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، دط، دت.
- 63- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديدمتحدة، ط1، 2004م.
- 64- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة و آفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 2010م.
- 65- عماد الدين محمد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، دار الشهاب، 1999م.

- 66- فاضل صالح السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970م.
- 67- قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م.
- 68- كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006م.
- 69- محمد الأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م، بيروت، لبنان.
- 70- محمد العمري، البلاغة العربية، الأصول والامتدادات، ط1، 1998م.
- 71- محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 72- محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، 1997م.
- 73- محمد بن لطف الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الاسلامي، بيروت، ط3، 1990م.
- 74- محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، د ط، د ت.
- 75- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة.
- 76- محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، جامعة الكويت، ط1، 2007م.
- 77- محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.



## المصادر والمراجع

- 78- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية للنشر لوئجمان، مصر، ط1، 1994م.
- 79- محمد عبد المنعم الجوجري، شرح شذور الذهب، تح: نواف بن جزاء الحارثي، ط1، 1424هـ.
- 80- محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، دط، دت.
- 81- محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار،
- 82- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004م.
- 83- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984م.
- 84- محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط3، 1995م.
- 85- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002م.
- 86- محمود طلحة، منوال الأصوليين في تحليل الخطاب، دراسة في المبادئ التداولية، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، ط1، 2013م.
- 87- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1985م.
- 88- مسعود بودوخة، دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط1، 2011م.

- 89- مسعود بودوخة، دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م.
- 90- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
- 91- مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف، ط2، د ت.
- 92- مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م.
- 93- معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقارنة تداولية، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2014م.
- 94- مقبول إدريس، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م.
- 95- مكّي بن طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: ياسين محمد الواس، د ط، دمشق، 1984م.
- 96- نور الدين اجعيط، تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م.
- 97- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط1، 2007م.
- 98- هشام الريفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الحجاج عند أرسطو، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.
- 99- يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز، تح د عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 2002م.

ثالثا: المراجع المترجمة:

01- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

02- ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ط، 1997م.

03- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتاي، الدار العربية للطباعة ناشرون، بيروت، ط1، 2010م.

04- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، 2000م.

05- فان دايك، علم النص، ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001م.

06- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية، الأعظمية، بغداد، 1985م.

07- فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار اللادقية، ط1، 2007م.

رابعا: المراجع الأجنبية:

01-Catherine Kerbrat Orccheoni L implicite paris Armand Colin 1986

02- DOMINIQUE MAINGUENEAU analyser les textes de communication Armand Colin 2éd 2007

03- j R searle les actes de langage ( essai de philosophie du langage ) collection savoirs lettres hermann paris nouveau tirage 1996

- 04- Kerbrat Orecchioni Catherine l'énonciation Armand  
colin PARIS 2006
- 05- Oswald Ducrot Le dire et Le dit edition de minuit paris  
1984
- 06- Jaque Moeschler Ane Reboul Dictionnaire  
encyclopedique de pragmatique Edition du seuil 1994
- 07- francois Recanati les enonces reformatifs les editions de  
minui 1979

خامسا: الرسائل والأطروحات الجامعية:

- 01- أحمد جمان الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير)  
أطروحة دكتوراه (1426 هـ - 1427 هـ).
- 02- بلقاسم حمامة، مبادئ لسانيات الكلام في البلاغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،  
2009. 2010م.
- 03- سعدون أحمد علي، أثر معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، في الكشف  
للزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، 2003م.
- 04- علي حميداتو، التأويل والحجاج في تفسير الزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2،  
موسم، 2010. 2011م.
- 05- فهد بن شتوي، دلالة المتشابه السياق أثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى،  
رسالة ماجستير، 2005م، جامعة أم القرى، السعودية.
- 06- محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ( سورة البقرة ) دراسة تداولية، جامعة باتنة،  
2013. 2014م.

سادسا : المجالات والدوريات

- 01- جمال حمود، مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة، مجلة المواقف للبحوث  
والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 09، 2014م.

- 02- الطيب دبة:  
خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية محكمة تصدر عن إتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 108.
- لسانيات التلفظ وتعليم العربية لغة ثانية. مجلة كلية الآداب، جامعة الأغواط.
- 03- باديس لهويل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7، 2011م.
- 04- عبد الحميد السيد، التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد 16، العدد الثاني، 2001م، الأردن.
- 05- عبد القادر السعدي، أهداف الإعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، ع 37 جمادى الثانية، 1424 هـ.
- 06- عمر أبو نواس، علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 7، العدد 2، نيسان 2011.
- 07- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر - ديسمبر، 2011م.
- 08- مسعود صحراوي:  
الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، العدد 10، الأغواط.
- تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مجلة الآداب واللغات، العدد 07، جوان 2011م، جامعة الأغواط.
- 09- مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، العدد 01، المجلد 33، 2004.
- 10- منادي محمد الحبيب، الجهود التداولية للجاحظ بين سبق التأصيل وضعف التفعيل

- 11- نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشرة، العدد 54، 2008م.
- 12- هيثم محمد مصطفى، القصصية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد 11، العدد 03.
- 13- يسمينة عبد السلام، نظرية أفعال الكلام في ظل جهود أوستين، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 10، 2014م.

# فهرس الآيات

## فهرس الآيات

رقم الصفحة	السورة / رقم الآية	الآية
169	{ الفاتحة: 07 - 08 }	﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
170	{ النساء: 90 }	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾
171	{ الأعراف: 01 }	﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ وَلَا يَكُونُونَ فِيهِ بِشْرًا وَلَا يُنذِرُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَرِهَ اللَّهُ لِضَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَصَابَهُمُ الضَّلَالَةُ فَذُكِرُوا بِحَدِيثِهِمْ بِحَدِيثِهِمْ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَيُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
171	{ الأعراف: 32 }	﴿يَلْبَسُهُمْ جُثَاثًا يُغْمِضُهَا لَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ لَبَّاسًا يُؤَارِعُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾
172	{ النساء: 74 }	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْفَرِيقِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾
173	{ الحج: 61 }	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ



		الْأَرْضِ مُخَضَّرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿
179	{فاطر: 28}	﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾
180	{المائدة: 71}	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَسَّ أَمْسٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
181	{البقرة: 01}	﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَنتَ أَلَكِ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
182	{مریم: 46}	﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَن-الِهَتِي يَتَّبِعُنِي يَتَّبِعُونَ هَيْمًا ﴾
182	{الفرقان: 49}	﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا وَنُسْفِيَهُ، مِمَّا خَلَفْنَا أَنْعَمًا وَأَنْاسِيَّ كَثِيرًا ﴾
183	{التغابن: 01}	﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
183	{الغاشية: 25 - 26}	﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾
184	{الحجرات: 07}	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾
185	{ص: 17 - 18}	﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ، يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ ﴾

187	{هود: 103}	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾
187	{النمل: 89}	﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَبِقَرَعِ مَسٍ فِي السَّمَوَاتِ وَمَسٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾
188	{فاطر: 09}	﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَسَفَنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾
189	{البقرة: 103}	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾
189	{الأعراف: 193}	﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ءَدَعَوْتُهُمْ ءَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾
190	{لقمان: 32}	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِيهِ وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾
194	{ق: 19}	﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ بِحِيدٌ ﴾

195	{العنكبوت: 06}	﴿وَأِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
195	{البقرة: 53}	﴿بَتَّابٌ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
196	{الملك: 10}	﴿فَكَذَّبْنَا وَفَلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾
197	{النساء: 135}	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾
197	{الحديد: 27}	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾
198	{النساء: 04}	﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبَّ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾
199	{البقرة: 20}	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

200	{البقرة: 23}	﴿بَاتَفَوْا النَّارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةَ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
200	{التحریم: 06}	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةَ عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
201	{النحل: 81}	﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَفِيكُمُ بِأَسْكُمُ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾
201	{الأعراف: 29}	﴿يَلْبَنجِ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾
202	{النور: 33}	﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَيْكُمْ﴾
203	{البقرة: 157}	﴿إِنَّ الصَّعْبَا وَالْمَرْوَةَ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ إِعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

204	{البقرة: 57 - 58}	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَا إِلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾
205	{البقرة: 194}	﴿ وَأَنْصِفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
212	{آل عمران: 65}	﴿ هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
212	{الأنعام: 81}	﴿ وَحَاجَّه قَوْمُهُ، قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْتُ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾
229	{المائدة: 20}	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ، فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾
230	{البروج: 18}	﴿ هَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٨﴾ فِرْعَوْنَ ﴾

		﴿وَتَمُودَ﴾
232	{البقرة: 134}	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا فُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
233	{البقرة: 101}	﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا﴾
234	{الأعراف: 60}	﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾
235	{الكهف: 25-26}	﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْسَ رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنْقَلَباً ﴿٢٥﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلاً ﴿٢٦﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾
237	{الحديد: 03}	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
238	{الزمر: 07}	﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا

		رَوْجَهَا ﴿
240	{التوبة: 60}	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
241	{الأعراف: 37}	﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾
241	{البقرة: 10}	﴿ وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ لَأُتْبَسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾
242	{الأنعام: 146}	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ؛ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
243	{آل عمران: 62}	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفِصْصُ الْحَقُّ وَمَا مِثْلُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
244	{هود: 103}	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾

245	{البقرة: 23}	﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
247	{يس: 21}	﴿ وَمَالِيَ لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
248	{الأعراف: 158}	﴿ فُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ اللَّهُ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي ۚ وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاكِرٌ ۚ وَكَلِمَتِهِ ۚ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
249	{الفاتحة: 02}	﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
249	{البقرة: 07}	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾
253	{الكهف: 03}	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَفِيئًا ﴾
254	{الحج: 44}	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ - إِذًا يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ ۗ أَلَمْ يَكْفِ يَافِعًا ۗ ﴾



255	{الأنعام: 60}	<p>﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾</p>
257	{الجمعة: 05}	<p>﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْبَارًا بَيْسَ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾</p>
259	{الحج: 29}	<p>﴿ حُنَبَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّطَّهَ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيبٍ ﴾</p>
260	{يونس: 24}	<p>﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَيْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْرَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾</p>
269	{البقرة: 23}	<p>﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾</p>

269	{البقرة: 286}	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾
269	{الاسراء: 27}	﴿ وَلَا تَفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾
270	{الزمر: 53}	﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا بَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾
271	{الأعراف: 150}	﴿ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾
271	{التكوير: 36}	﴿ فَأَيَّ تَذَهَبُونَ ﴾
284	{البقرة: 01-02-03}	﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُؤْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَأُوذِيَكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوذِيَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
285	{البقرة: 06}	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
285	{النساء: 76}	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ أَقْلًا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

286	{التوبة: 35}	﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوفُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾
286	{طه: 06}	﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾
287	{مریم: 84}	﴿الْمَ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَبِيرِينَ تُوْزُهُمْ أَزًّا﴾
287	{البقرة: 144}	﴿وَلَيْسَ آتِيَتِ الَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا فَبَلَّتْكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فَبَلَّتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ فَبَلَّةَ بَعْضٍ وَلَيْسَ إِتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾
289	{البقرة: 22}	﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
290	{البقرة: 30}	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
290	{الأعراف: 49}	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ آيِسُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَبِيرِينَ﴾

291	{هود: 84}	﴿ وَيَفْقَهُمْ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾
291	{يونس: 88}	﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ابْطِمْسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ فُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾
292	{البقرة: 231}	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾
292	{البقرة: 118}	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تَسْأَلُ عَن أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾
293	{النساء: 02}	: ﴿ وَعَاثُوا الَّتِي تَمَيَّيْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾
293	{المائدة: 53}	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾
293	{المجادلة: 21}	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾
294	{البقرة: 27}	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ

		إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿
295	{البقرة: 43}	﴿ أَتَمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
295	{البقرة: 129}	﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنِ سَمِعَهُ نَفْسَهُ، وَلَقَدْ إِصْطَبَقْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
295	{آل عمران: 20}	﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ إِتَّبَعَهُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَمْتُمْ ﴾
296	{آل عمران: 25}	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُضِّعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
296	{الأعراف: 11}	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾
296	{يوسف: 89}	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 20.

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 25.

298	{البقرة: 20}	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ مُعْبِدُونَ رَبَّكُمْ الَّذِينَ خَلَفَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
298	{يوسف: 30}	﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْبِرَ لِدُنْيِكِ إِنَّكَ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾
299	{يس: 30}	﴿ يَلْحَسِرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِءَ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾
299	{الطلاق: 01}	﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾
301	{البقرة: 166}	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾
301	{يوسف: 5}	﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَأَتَفَضُّصَ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾
302	{يوسف: 13}	﴿ قَالَ إِنَّي لَيُخْرِئُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰلِبُونَ ﴾
302	{آل عمران: 36}	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنَّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ

		<p>وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْاُنثَىٰ وَاِنَّ سَمِيَّتَهَا مَرْيَمَ وَاِنَّ اَعِيْذَهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيْمِ ﴿</p>
303	{طه: 69}	<p>﴿ فَاٰلِئِنَّا اَلَسْحَرَةَ سُجَّدًا قَالُوْا ؕ اٰمَنَّا بِرَبِّ هٰرُوْنَ وَمُوْسٰى ﴿</p>
303	{سبأ: 14}	<p>﴿ فَلَمَّا فَضَيْنَا عَلَيْهِ اَلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلٰى مَوْتِهٖٓ اِلَّا دَابَّةٌ اَلْاَرْضِ تَاْكُلُ مِنْسَاتِهٖٓ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ اَلْجِنَّ اَنْ لَّوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ اَلْغَيْبَ مَا لَبِثُوْا فِيْ اَلْعَذَابِ اَلْمُهِيْمِ ﴿</p>
304	{النمل: 16}	<p>﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ وَّقَالَ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَاوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ اِنَّ هٰذَا لَهٗوَ اَلْبَعْضُ اَلْمُبِيْنُ ﴿</p>
304	{القصص: 07}	<p>﴿ وَاَوْحَيْنَا اِلٰى اِمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيْهِ فَاِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَاَلْفِيْهِ فِيْ اَلْيَمِّ وَلَا تَخَافِيْ وَلَا تَحْزَنِيْ اِنَّا رَاَدُوْهُ اِلَيْكَ وَجَاعِلُوْهُ مِنْ اَلْمُرْسَلِيْنَ ﴿</p>
305	{البقرة: 136}	<p>﴿ فَاِنْ اٰمَنُوْا بِمِثْلِ مَا ءَاْمَنْتُمْ بِهٖ فَقَدْ اِهْتَدَوْا وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا هُمْ فِيْ شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيْكُمْهُمُ اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴿</p>

306	{البقرة: 246}	﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾
306	{آل عمران: 28}	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً وَيَحْذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾
306	{آل عمران: 144}	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾
307	{النساء: 17-18}	إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَاءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَّكَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُو۟لَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾
308	{مریم: 46}	﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَن-الْهَيْتِ يَا بَرَاهِيمُ لَيْسَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾



309	{المجادلة : 03-02}	<p>﴿ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا أَلْجٌ وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَبُورٌ عَبُورٌ ﴿٣٠٩﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِّن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَم تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾</p>
310	{الطلاق : 01}	<p>﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّفُوهُنَّ لِعِذَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾</p>
310	{التوبة : 01}	<p>﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١٠﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحِزِي الْكٰفِرِينَ ﴾</p>
311	{التوبة : 06}	<p>﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾</p>
312	{البقرة : 264}	<p>﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا</p>

		<p>كَمَا يَقُومُ الذِّمَّةُ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ  الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ  الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ  جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ  وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ  النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿</p>
312	{البقرة: 277-278}	<p>﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَذَرُوا مَا بَفِيَ  مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٧﴾ فَإِنْ لَمْ  تَفْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ  تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ  وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿</p>
313	{النساء: 04}	<p>﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ  لَكُمْ عَنِ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا  مَّرِيئًا ﴿</p>

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	التشكرات
07 - 02	مقدمة
35 - 09	مدخل: التعريف بالزمخشري وتفسيره الكشاف
09	التعريف بالزمخشري
09	اسمه ولقبه وكنيته
09	مولده
10	نشأته وحياته
14	شيوخه
15	تلاميذه
16	مؤلفاته
19	مذهبه
21	وفاته
21	أقوال العلماء فيه

23	التعريف بالكشاف
24	سبب تأليف الكشاف
25	زمن تأليف الكشاف
25	تاريخ تحقيق الكتاب وطباعته
26	القيمة العلمية للكشاف
27	أقوال العلماء في الكشاف
29	الدراسات العلمية حول الكشاف
31	منهج الزمخشري في الكشاف
<b>الباب الأول: التداولية بين الفكر الغربي والتراث العربي</b>	
72 – 38	الفصل الأول: التداولية النشأة والمصطلحات والمفاهيم
38	تمهيد
39	من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام
40	لسانيات اللغة
40	اللغة
40	اللسان
41	الكلام

41	الفرق بين اللغة والكلام
43	لسانيات الكلام
45	التداولية la pragmatique
45	مفهومها
45	مفهومها عند الغرب
48	مفهومها عند العرب
48	لغة
49	اصطلاحا
50	أهميتها
52	التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى
53	التداولية وعلاقتها باللسانيات
54	التداولية والنحو الوظيفي
54	التداولية وعلم الدلالة
55	التداولية والبلاغة
56	التداولية وتحليل الخطاب
57	التداولية وتعليمية اللغات

59	نشأتها
60	إسهام علم الاجتماع مع ريناتش
61	إسهام الدراسة اللغوية مع غاردنر
62	إسهام علم الفلسفة
62	فلسفة التحليل
64	اتجاهاتها
64	: Positivisme Logique : الوضعانية المنطقية
65	: Phenomenologie du Langage : الظاهرانية اللغوية
65	Philosophe du langage : فلسفة اللغة العادية: Ordinaire
67	درجاتها
67	تصور فرانسواز أرمينكو
67	تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية
67	تداولية التلفظ
68	تصور هانسون 1974 Hnsson
68	La pragmatique du premier : تداولية الدرجة الأولى degre

68	La pragmatique du deuxieme degre : تداولية الدرجة الثانية:
68	La pragmatique du troisieme degre : تداولية الدرجة الثالثة:
68	تصور جان سرفوني
68	وجهة نظر أوزوالد ديكر
69	وجهة نظر آلان بيريندوني
69	وجهة نظر ر مارتان
70	اتجاهاتها
70	الاتجاه الأول: النظريات الخطية
71	الاتجاه الثاني: النظريات المدججة
71	الاتجاه الثالث: النظريات المعرفية
72	فروعها
72	sociopragmatics : التداولية الاجتماعية:
72	Linguistic pragmatics : التداولية اللغوية:
72	applied pragmatics : التداولية التطبيقية:
72	generale pragmatics : التداولية العامة:



113 – 74	الفصل الثاني: الفكر التداولي في التراث العربي
74	تمهيد
75	الفكر التداولي عند النحاة واللغويين
96	الفكر التداولي عند البلاغيين
102	الفكر التداولي عند المفسرين
107	الفكر التداولي عند الفقهاء والأصوليين
150 – 115	الفصل الثالث: التداولية في الفكر الغربي
115	تمهيد
116	1/ أفعال الكلام Actes de langage
116	أ/ مفهوم الأفعال الكلامية
117	ب/ أوستين والأفعال الكلامية
119	1. فعل القول: Acte locutoire
119	أ/ الفعل الصوتي: Acte phonetique
119	ب/ الفعل التبليغي أو الوصلي: Acte phatique
119	ج/ الفعل الإحالي أو الخطابى: Acte rethique
119	2. فعل الكلام الإنجازى: Acte illocutoire

119	3. فعل الكلام التأثيري: Acte perlocutoire
120	ج/ سيرل والأفعال الكلامية
121	الأخبار أو التأكيدات: assersifs
121	الأوامر directifs
121	الالتزامات commissifs
121	التصريحات expressifs
122	الادلاءات أو الإنجازيات declarations
124	2. نظرية التلفظ Theorie de l Enonciation
124	التلفظ
125	الملفوظ
126	عناصر دورة التواصل التلفظي
129	3. الحجاج Argumentation
129	أ. الحجاج في الفكر الغربي القديم
130	الحجاج عند السفسطائيين
131	الحجاج عند أفلاطون
134	الحجاج عند أرسطو

136	ب . الحجاج في الفكر الغربي الحديث
136	الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه
139	الحجاج عند ديكر و أنسكومبر
141	الحجاج عند مشال ماير
143	4/ الاستلزام الحواري LimplicationConversationnelle
144	قاعدة القدر: Quantite
144	قاعدة الكيف: Qualite
144	قاعدة الملاءمة: Pertinence
144	قاعدة الجهة: Modalite
145	1/ المعاني الصريحة:
145	2/ المعاني الضمنية
146	5. الافتراض السابق Presupposition
148	6/ نظرية الملاءمة
<b>الباب الثاني: المنحى التداولي في تفسير الكشاف</b>	
206 – 153	الفصل الأول: لسانيات التلفظ في تفسير الكشاف
153	1/ تمهيد

155	2/لسانيات التلفظ وعلم التفسير
157	3/النظام المغلق والنظام المفتوح
157	أ/النظام المغلق
157	ب/النظام المفتوح
159	4./السياق
161	5/السياق ونظرية النظم
164	6/القصد
165	7/مظاهر الانفتاح في السياق اللغوي
165	8/السياق اللغوي
166	أ/ أثر قصد المتلفظ في تأويل معاني الإعراب وتوجيهها
175	ب/ أثر قصد المتلفظ في توجيه دلالة التقديم والتأخير
185	ج/ أثر قصد المتلفظ في توجيه دلالة الصيغ الصرفية
191	9/مظاهر الانفتاح في سياق التلفظ
191	10/ سياق التلفظ
194	أ- طرفا التلفظ
195	- أثر المتلفظ ( المتكلم ) في توجيه الدلالة

197	- أثر المتلفظ له ( المتلقي ) في توجيه الدلالة
198	ب- أثر زمان ومكان التلفظ وبيئته في توجيه الدلالة
199	- أثر الزمان والمكان في توجيه الدلالة
200	- أثر البيئة في توجيه الدلالة
202	ج- أثر ظروف التلفظ وملاساته في توجيه الدلالة
261 – 208	الفصل الثاني: الحجاج في تفسير الكشاف
208	تمهيد
211	1/ الحجاج Argumentation
211	أ/ لغة
213	ب/ اصطلاحا
214	2/ أنواعه
214	أ/ الحجاج التوجيهي
215	ب/ الحجاج التقويمي
215	ج/ الحجاج التجريدي
216	3/ تقنيات الحجاج ووسائله
216	أ/ الأدوات اللغوية الصرفة

216	ب/ الآليات البلاغية
216	ج/ الآليات شبه المنطقية
216	د/ الوسائل اللسانية
217	هـ/ الوسائل الأصولية والفلسفية
217	و/ الوسائل البلاغية
217	4/ علاقاته
217	أ/ العلاقة الاستدلالية
218	ب/ العلاقة التخاطبية
218	ج/ العلاقة المجازية
219	5/ المحجاج وعلم التفسير
222	6/ الآليات المحجاجية في كشف الزمخشري
225	أ/ الآليات اللغوية للمحجاج عند الزمخشري
227	Les connecteurs الروابط المحجاجية
228	الرابط المحجاجي: " بل "
233	الرابط المحجاجي: " لكن "
237	الروابط المحجاجية " الواو " و " ثم "

239	العوامل المحجاجة: les operateurs
240	العامل المحجاجة " إنما "
242	العامل المحجاجة " ما إلا "
244	حجاجة العدول الصرفي
246	حجاجة الالتفات
249	حجاجة القياس
251	ب/ الآليات البلاغية للحجاجة عند الزمخشري
253	حجاجة الاستعارة
257	حجاجة التشبيه
263 - 314	الفصل الثالث: أفعال الكلام في تفسير الكشاف
263	تمهيد
264	أفعال الكلام في التراث العربي
264	نظرية الخبر والإنشاء
265	مفهوم الخبر والإنشاء
276	معايير التمييز بين الخبر والإنشاء
279	أفعال الكلام بين التراث العربي و الفكر الغربي

280	الأفعال الكلامية عند الزمخشري
283	الإخباريات ( التقريريات ) Assertives
288	التوجيهيات: ( الطلبيات ) Directives
289	الأمر
292	النهي
294	الاستفهام
297	النداء
300	التعبيريات: Expressives
305	الوعديات ( الالتزاميات ) Commissives
308	الإيقاعيات : ( الإعلانيات ) : declarations
316	الخاتمة
324	قائمة المصادر والمراجع
338	فهرس الآيات
358	فهرس الموضوعات
	الملخص



# الملخص

لقد سعينا من خلال هذا البحث إلى قراءة تفسير الكشاف للزمخشري قراءة لسانية حديثة في ضوء المنهج التداولي، محاولين من خلاله الوقوف على الأبعاد التداولية في هذه المدونة، وقد انطلقنا في دراستنا هذه من عقد مقارنة لسانية بين الخطاب التفسيري للزمخشري وبعض المباحث التداولية من قبيل لسانيات التلفظ، والحجاج، وأفعال الكلام.

وقد استطعنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على القيمة العلمية، واللغوية، والبلاغية التي تزخر بها هذه المدونة، إذ يعتبر صاحبها أول من تبنى منهج عبد القاهر الجرجاني، وأول من طبق فكره، فكانت نظرتة للغة وتحليله لتراكيبها قائمة على أساس نظرية النظم، فلم يفصل المبنى عن المعنى، وإنما جعل من البنية انعكاسا للوظيفة.

كما كان الزمخشري على وعي كامل بأهمية اللغة في التواصل والإبلاغ، ودور السياق وأطراف التواصل، وظروف وملابسات الحديث في بناء دلالة الملفوظ، وأثرها في تأدية معنى الملفوظ القرآني وتوجيهه، وفقا للطبقات المقامية المختلفة.

فلم تكن طروحات الزمخشري بعيدة عما تدعو إليه التداولية اليوم، فقد مارس المنهج التداولي وطبقه في كشافه قبل أن يذيع صيته في العالم الغربي ويصبح نظرية لسانية، إذ أن دراسته وتحليله للخطاب القرآني كان قائما على أساس البحث في سياقات التخاطب ومقاصد المتكلم.

وختاما لما سبق يمكن القول أن تفسير الزمخشري وتحليله لأي القرآن الكريم كان قائما على أسس تداولية وظيفية توحى بتصوير عميق يعكس القيمة الفكرية والعلمية لتراثنا العربي، ولعلمائنا القدماء، وفي طليعتهم الزمخشري، الذي عد بحق رائدا من رواد اللغة والبلاغة، بغض النظر إلى معتقده ومذهبه.